**الجامعة الإسلامية غزة**
**عمادة الدراسات العليا**
**كلية الآداب**
**قسم التاريخ والآثار**

# دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني
# ١٦٥٦-١٩١٧

**إعداد الطالب:**
**نهاد محمد سعدي الشيخ خليل**
**إشراف الدكتور:**
**عصام ناجي سيسالم**

"قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير (بحث تكميلي) في التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة".

**غزة**
**١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م**

# الإهداء

إلى أبي الذي غرس البذور وقدم لها الرعاية وطال انتظاره للحظة الحصاد.

إلى أمي التي قدمت كل ما تستطيعه أم بإخلاص وصمت.

إلى الملاك الطاهر الذي واصل العطاء بلا مقابل عمتي ملك.

إلى أخواتي الحانيات وإخواني الأعزاء.

إلى من قصرت في حقهم طيلة فترة إعداد الدراسة صلاح وأحمد.

إلى زوجتي الوفية.

إلى كل أقاربي ومن يهمهم أمري.

إلى من أحببتهم من كل قلبي سواء من ارتقى منهم شهيداً إلى العلا أو بقي رهن القيد يعاند قسوة السجان، أو لا زال قابضاً على الجمر يبحث، بعقله أو بيده، عن ضوء في عتمة النفق.

أقدم هذا الجهد المتواضع لعله يضئ زاوية من عتمة هذا الزمان

نهاد

# شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى مشرفي الدكتور الفاضل عصام سيسالم الأب والأستاذ العالم والإنسان على ما قدمه لي من عون ومساندة في مراحل إعداد الدراسة، حيث تبنى الفكرة وشجع على إنجازها إلى أن أصبحت خطة، ثم واصل رعايتها وقدم النصح والإرشاد، وفتح أمامي بملاحظاته وتوجيهاته أبواب الأمل بإمكانية إنجاز هذه الدراسة.

وأتقدم بالشكر أيضاً للدكتور محمد النيرب، والدكتور أكرم عدوان اللذان شرفاني بقبولهما نقاش وإجازة هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي أعضاء الهيئة التدريسية في قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية على الجهود التي بذلوها في توفير الأجواء الأكاديمية المناسبة لإنجاح برنامج الماجستير الذي تشرفت بالالتحاق به.

وأتقدم بالشكر الجزيل لأمناء وموظفي المكتبات في الجامعة الإسلامية بغزة، والعاملات في مكتبة مركز التخطيط الفلسطيني.

وأوجه شكري كذلك إلى والدي العزيز صاحب الفضل الكبير –بعد الله عز وجل- في مواصلتي لمسيرة التعليم، إضافة لما قام به من جهد في تدقيق الرسالة لغوياً.

وإلى زوجتي نهى السقا التي شاركتني عناء إعداد هذه الدراسة من خلال ترجمة بعض المواد من اللغة الإنجليزية.

وأتقدم كذلك بالشكر لإخواني، ولجميع الأصدقاء –وهم كثيرون- الذين ساعدوني على إنجاز هذه الدراسة من خلال توفير العديد من الكتب والمراجع.

## الفهرس

## المختصرات

| | |
|---|---|
| م. س. ذ. | مرجع سبق ذكره. |
| ن. م. | نفس المرجع أو المصدر. |
| د. م. | دون مكان نشر. |
| د. ت. | بدون تاريخ. |
| ص | صفحة. |
| ج | جزء. |
| م | مجلد |
| W.D. | بدون تاريخ نشر |

# ملخص

تناولت الدراسة "دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني منذ عـام ١٦٥٦ وحتـى العام ١٩١٧". وعالجت في الفصل التمهيدي علاقة اليهود بالمجتمع الإنجليزي وملوكه مـن الأسر النورماندية المالكة. وأكدت أن اليهود دخلوا إنجلترا عام ١٠٦٦م حيث جلـبهم ولـيم النورماندي أو الفاتح إلى إنجلترا إبان غزوها وتأسيس مُلك النورمانديين فيهـا. وأوضـحت الدراسة أن اليهود اشتغلوا بالربا لصالح الملك والإقطاعيين. الأمر الذي جرّ عليهم غـضب الجماهير وسخطهم، وانتهى الأمر بطردهم من إنجلترا عام ١٢٩٠م على يد الملـك إدوارد الأول بعد أن تعرضوا لعدد من الاعتداءات ومصادرة الأملاك ووجهت لهم الكثير من التهم مثل تهمة الدم. وبيّنت الدراسة أن إقدام الملك إدوارد الأول على طرد اليهـود جـاء بعـد الحروب الصليبية، وبعد أن ضعف الدور الاقتصادي لليهود في إنجلترا.

كما أوضحت الدراسة أن إنجلترا بقيت شبه خالية من اليهود حتى منتصف القرن السابع عشر حيث استجدت مجموعة من العوامل جعلت السماح لليهود بدخول إنجلترا والاسـتقرار فيها أمراً مطروحاً بقوة ومثاراً للجدل بين النخب السياسية والاقتصادية والدينية في المجتمع البريطاني، وتتمثل هذه العوامل في صعود البيوريتان ،وهي طائفـة بروتـستانتية تتمـسك بالعهد القديم وما يشتمل عليه من نبوءات بشأن عودة اليهود إلى فلـسطين، لحكـم إنجلتـرا بقيادة أوليفر كرومويل. إضافة إلى ظهور يهود المارانو ذوو الخبرة التجارية الكبيرة علـى المستوى العالمي. وتزامن ظهور هذين العاملين مع تصاعد التنافس التجاري والاسـتعماري بين الدول الأوروبية المطلة على المحيط الأطلسي خاصة بين إنجلتـرا وهولنـدا. وكانـت هولندا قد استقطبت أعداداً من يهود المارانو إثر طردهم مـن شـبه جزيـرة أيبريـا عـام ١٤٩٢م، واستفادت من خبراتهم التجارية. وبيّنت الدراسة أنه قد جـرت مراسـلات بـين البيوريتان ويهود المارانو المقيمين في هولندا توجت بعرض قضية السماح لليهـود بـدخول إنجلترا والاستقرار فيها على البرلمان البريطاني، وأوضحت الدراسة أن البرلمان لم يوافـق على إعادتهم فقام رئيس الحكومة أوليفر كرومويل بإعلان تأييده لعودة اليهود لكن المـسألة بقيت دون اتخاذ قرار جديد.

وتناولت الدراسة العلاقة بين للإصلاح الديني البروتستانتي في أوروبا ،وبالتالي في بريطانيا، وبين الصهيونية، وأوضحت أن انفتاح المسيحيين على دراسة العهد القديم وتفسيره بشكل حرفي ساعدت على نشر الثقافة العبرية وروح التسامح لدى المسيحيين البروتستانت تجاه اليهود. وأكدت الدراسة أن توسع دوائر التأييد للفكرة الصهيونية في بريطانيا كانت مرتبطة بالإصلاح الديني وبالتطورات الاقتصادية بدءاً من عهد الرأسمالية التجارية ثم الرأسمالية الصناعية وما تخلل هذه الفترة من انتشار للأفكار السياسية سواء تلك التي دعت إلى احترام حقوق الفرد وحرياته ونشر التسامح الديني مثل جون لوك، إضافة إلى الأفكار التي أججت روح الصراع من خلال نشر مفاهيم التطور والبقاء للأقوى والأصلح على الصعيد البيولوجي والاجتماعي والسياسي، حيث أصبح العالم كله مسرحاً لنشاط الإنسان الأبيض المتفوق الذي أباح لنفسه قتل الآخر ضماناً لبقائه وتأكيداً لقوته. وأوضحت الدراسة أن هذه الأجواء ساعدت على توسيع دائرة التأييد للفكرة الصهيونية، فبعد أن كانت الدعوات الصهيونية المسيحية مقتصرة على بعض دوائر المتدينين في القرن السابع عشر، والمثقفين في القرن الثامن عشر، أصبحت مع بداية القرن التاسع عشر تضم عسكريين وسياسيين ودبلوماسيين ورحالة. إضافة إلى أن القرن التاسع عشر شهد تطوراً هاماً على صعيد انتقال العمل لإعادة اليهود إلى فلسطين من العمل الفردي العشوائي الذي يقتصر على مجرد توجيه النداءات أو الاقتصار على القيام ببعض الاتصالات إلى العمل المنظم من خلال إنشاء المؤسسات لهذا الغرض.

وبيّنت الدراسة أن النظرة لليهود كأمة ظهرت للمرة الأولى في الأوساط الدبلوماسية البريطانية على يد القنصل البريطاني في القدس وليم يونغ في أربعينيات القرن التاسع عشر حينما عمل على منح حمايته لليهود سواء كانوا من رعايا الدولة العثمانية أو اليهود المهاجرين الجدد إلى فلسطين. وأكدت الدراسة أن مفهوم الشعب اليهودي، والمشروع الصهيوني تبلور في أوساط المسيحيين البروتستانت بشكل كامل على يد شافتسبري ولورانس أوليفانت ووليم هيكلر قبل أن يبدأ المفكرون الصهيونيون اليهود بالدعوة إلى إقامة الدولة اليهودية، وأوضحت الدراسة أن صدور وعد بلفور لم يكن (فقط) نتيجة أو ثمرة لجهود المنظمة الصهيونية العالمية وإنما جاء كجزء من الاستراتيجية البريطانية التي

زاوجت بين الرؤى الدينية البروتسانتية المستمدة من العهد القديم وبين المصالح الاستعمارية في الشرق الإسلامي، وأثبتت الدراسة ذلك من خلال استقصاء دور السياسيين الصهاينة اليهود والمسيحيين ومن ثم التفاعل بينهم في مطلع القرن العشرين وإبان الحرب العالمية الأولى إلى أن تم إصدار وعد بلفور الذي يُعتبر من الناحية العملية البلورة الحقيقية للمشروع الصهيوني.

# المقدمة

# دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني ١٦٥٦-١٩١٧

## مقدمة

لا شك أن الحديث عن الصهيونية وما ترتب عليها من آثار ونتائج قد استحوذ على اهتمام كثير من الباحثين والدارسين، باعتبار أن هذا الموضوع هو التحدي الأكبر للأمة العربية الإسلامية على مدى قرن من الزمان، ولذا تزخر المكتبة العربية بالكثير من المؤلفات المتعلقة بهذا الموضوع.

لكن الحديث عن نمو المشروع الصهيوني داخل بريطانيا، وتعقّب جذوره في الفكر الديني المسيحي ومصادره الأساسية خاصة العهدين القديم والجديد، وارتباطه بالمصالح الاقتصادية والاستعمارية، واستفادته من التطور الفكري والسياسي داخل بريطانيا فلم يحظ بكثير اهتمام، خاصة ما يتعلق بتشابك وتداخل الأدوار التي قامت بها النخب الدينية والثقافية وبعد ذلك العسكرية والسياسية لإنجاز هذا المشروع. ولهذا كان لا بد من المساهمة في سد هذه الثغرة، ورفد المكتبة العربية بدراسة تتناول الكيفية التي نما ونضج فيها المشروع الصهيوني في بريطانيا.

وبناءً عليه اختار الباحث العنوان التالي لرسالة الماجستير "**دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني ١٦٥٦-١٩١٧**". وتجدر الإشارة إلى أن المقصود بـ "دور بريطانيا" في هذه الدراسة لا يقتصر على الدور الرسمي، وإنما يشمل دور النُخب الدينية والثقافية والعسكرية والسياسية. أما مفهوم "بلورة المشروع الصهيوني" فإنه يعني نشأة الفكرة الداعية إلى إقامة كيان لليهود في فلسطين، ثم نمو هذه الفكرة إلى أن أصدرت بريطانيا وعد بلفور الذي التزمت من خلاله بتقديم المساعدة لليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين.

### أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في أنه:

١- يدرس نمو المشروع الصهيوني في إطار السياق العام للتاريخ البريطاني خلال ثلاثة قرون.

٢- يقدم للقارئ العربي ولصانع القرار في الوطن العربي صورة عن حقيقة العلاقة وطبيعة التحالف بين الحركة الصهيونية والغرب المسيحي ممثلاً في بريطانيا، الأمر الذي يُضيف لتحليل علاقات إسرائيل وتحالفها مع الغرب بعداً جديداً يساعد على التنبؤ بمستقبل هذا التحالف وإمكانية اختراقه لصالح العرب.

**أهداف البحث**

يهدف البحث إلى

١- كشف علاقة المسيحية الأصولية في بريطانيا بظهور المشروع الصهيوني وتطوره.

٢- توضيح دور الفكر الصهيوني اليهودي وحركته المنظمة النشطة في الاتصال مع بريطانيا لبلورة المشروع الصهيوني.

٣- توضيح موقف يهود بريطانيا من الحركة الصهيونية.

٤- إبراز دور الأوساط السياسية البريطانية في بلورة المشروع الصهيوني.

**أسئلة البحث**

وتحقيقاً لأهداف الدراسة يسعى الباحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

١-متى وكيف ولماذا نشأ المشروع الصهيوني في بريطانيا؟

٢-ما هي طبيعة المشروع الصهيوني وأهدافه؟

٣-أيهما أسبق الصهيونية المسيحية أم الصهيونية اليهودية؟

٤-ما هو دور كل من الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية في بلورة المشروع الصهيوني وصدور وعد بلفور؟

٥- ما هو موقف يهود بريطانيا من المشروع الصهيوني؟

٦- ما هو أثر التطورات الفكرية والاقتصادية وظاهرة الاستعمار على بلورة المشروع الصهيوني في بريطانيا؟

**حدود الدراسة**

بالنسبة للمكان فإن البحث يقتصر على دراسة الصهيونية في بريطانيا، ذلك أن هذه الدولة هي التي منحت اليهود الوعد بإقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين. أما بالنسبة

للتحديد الزماني، فقد تم اختيار سنة ١٦٥٦م كبداية للدراسة؛ وذلك لأنها السنة التي بلغ فيها النقاش البريطاني، رسمياً، أوجه فيما يتعلق بالسماح لليهود بالعودة إلى بريطانيا، والعيش فيها في إطار رؤية للاستفادة من قدراتهم التجارية في المجال الدولي في ذلك الوقت الذي احتدم فيه الصراع التجاري بين بريطانيا وهولندا. وتم اختيار سنة ١٩١٧ كنهاية للفترة الزمنية للدراسة، وذلك لأن هذا العام شهد صدور وعد بلفور الشهير، وبهذا اكتمل تبلور المشروع الصهيوني، ومن ثم بدأت عملية التخطيط لتنفيذه على أرض الواقع.

**منهج البحث**

تعتمد الدراسة منهج البحث التاريخي، والذي يعني استخدام المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

**الدراسات السابقة**

تدعي الحركة الصهيونية أنها حركة يهودية ذاتية تشكلت بجهود اليهود وبسبب ما لاقوه من معاناة وعذاب، وساعد على ذلك ما يربطهم بفلسطين من عوامل دينية، ويحاول زعماء الصهيونية تصوير حركتهم على أنها حركة تحرر قومي يهودي استهدفت العودة لأرض "الآباء والأجداد"، وينفون بشدة أي ارتباط للصهيونية بالاستعمار. ومن هذه الكتابات:

Vital, David: The origins of the Zionist Movement.

Vital, David :Zionism The Formative Years.

גרינבוים יצחק: התנועה הציוניה، 4 חלקים.

أما الباحثون العرب فقد تناولوا الصهيونية من جانبين، ويتمثل الجانب الأول في اعتبارها تعبيراً قومياً يهودياً في عصر حافل بالروح القومية في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر، ومن ثم تحالفها مع الاستعمار البريطاني لإنجاز مشروعها الاستيطاني على الأرض العربية الإسلامية في فلسطين، ويعبر عن هذا الجانب مجموعة من الدراسات والأبحاث لعل أبرزها كتاب موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية من إعداد حسان حلاق. وكتاب تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة من إعداد محمد عب الرؤوف سليم. إضافة إلى كتاب سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين العربية في النصف الأول من القرن

العشرين من تأليف حسن صبري الخولي. وكتاب تاريخ الصهيونية من تأليف صبري جريس.

أما الجانب الثاني لطريقة تناول موضوع الصهيونية لدى الباحثين العرب فيتمثل في محاولتهم نقد مزاعم الصهيونية ودعاواها بشأن ما تدعيه من حق في أرض فلسطين، وقد نُشر في هذا المجال العشرات من الكتب والمقالات والأبحاث والدراسات ومنها كتاب المرتكزات النفسية للفكرة الصهيونية من تأليف عبد الرحمن غنيم.

ويمكن القول أنه بدأ يبرز في العقدين الأخيرين اتجاه جديد لدراسة الصهيونية، يتمثل في محاولة اكتشاف علاقة الغرب بإيجاد المشروع الصهيوني، وليس مجرد التحالف معها، وقد صدر في هذا الإطار كتاب البعد الديني في السياسة الأميركية تجاه الصراع العربي الصهيوني من إعداد يوسف الحسن. وكتاب الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، من تأليف بشير نافع. ومؤلفات عبد الوهاب المسيري عن الحركة الصهيونية، ومن أبرزها موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. وقد تناول البحث الأول (البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني) دور أمريكا في حماية المشروع الصهيوني، وتوفير الدعم والرعاية له، فيما تناول الكتاب الثاني (الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية) دور الغرب المسيحي عموماً في ولادة المشروع الصهيوني مع التركيز على دور بريطانيا في هذا المجال. أما أبحاث المسيري فقد تناولت مواضيع اليهود واليهودية والصهيونية بشكل موسوعي شامل.

وتأتي هذه الدراسة إسهاماً متواضعاً في محاولة تعميق البحث بشأن اكتشاف علاقة الغرب، وتحديداً بريطانيا، في نشأة ثم بلورة المشروع الصهيوني وإخراجه إلى حيز الوجود. وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث لا يهتم بقضية الحق وإثباته أو الباطل ودحضه بشأن الادعاءات الصهيونية، وإنما يسعى الباحث إلى رصد ووصف وتحليل الأحداث حتى يتم فهم ما حدث ولماذا حدث؟ بعيداً عن أية مواقف مسبقة.

**موضوع البحث ومحتوياته**

ولتحقيق أهداف البحث فقد تم تقسيمه إلى أربعة فصول إضافة إلى فصل تمهيدي. تناول الفصل التمهيدي مقدمة عن دخول اليهود إلى بريطانيا في العصور الوسطى، ثم

طردهم منها؛ مع الإشارة إلى خلفيات وأسباب هذا الطرد. أما الفصل الأول فقد ناقش موقف بريطانيا من اليهود في عصر الإصلاح الديني، وركز على التغيرات التي حدثت نتيجة للإصلاح الديني فيما يتعلق بالسماح لليهود بالعيش في إنجلترا من جديد، والأسباب الكامنة وراء هذا الأمر، سواء تلك المتعلقة بالنواحي الدينية، أو الاقتصادية ذات العلاقة ببروز يهود المارانو ذوي الخبرات الواسعة في مجال التجارة اليهودية، أو تلك المتعلقة بتصاعد التنافس التجاري بين دول أوروبا، خاصة بين إنجلترا وهولندا، وتوظيف اليهود في هذا الإطار. أما الفصل الثاني فقد تناول تطور نظرة البريطانيين لليهود في القرن الثامن عشر، وبروز دعوات مسيحية مستمدة من التفسير البروتستانتي للعهد القديم، مع تركيز على توضيح جذور الفكرة الصهيونية كما توردها نصوص الكتاب المقدس. وأولى الفصل الثاني اهتماماً خاصاً لدور الأفكار والأحداث السياسية البارزة على الفكرة الصهيونية، وعلى توجه بريطانيا نحو الشرق وفلسطين حتى نهاية القرن الثامن عشر.

أما الفصل الثالث فقد حمل عنوان "العمل المنظم لتأسيس كيان يهودي في فلسطين خلال القرن التاسع عشر في بريطانيا"، وتناول هذا الفصل ظاهرة الاستعمار وأثره على اهتمام بريطانيا بفلسطين، إضافة إلى الضغط النخبوي على القيادة البريطانية بهدف تأسيس كيان يهودي في فلسطين، وإنشاء عدد من المؤسسات لخدمة الهدف، مع الإشارة إلى جهود بعض الصهاينة المسيحين لنقل الفكرة الصهيونية لليهود. أما الفصل الرابع والأخير فقد جاء تحت عنوان "المشروع الصهيوني في مرحلة التبلور"، وتناول الجهود الأخيرة التي بذلها السياسيون البريطانيون واليهود من أجل التوصل لوعد بلفور الذي يمثل من الناحية العملية المشروع الصهيوني؛ بمعنى تبني بريطانيا لفكرة إقامة دولة لليهود على أرض فلسطين. وينتهي البحث بخاتمة تناولت أهم النتائج التي أسفر عنها البحث.

**الصعوبات التي واجهت الباحث**

لقد واجه الباحث مصاعب جمة في تحصيل المصادر المطلوبة للدراسة، ولولا فضل الله عز وجل الذي يسّر لي الأمر لما كان بالإمكان إتمام هذه الدراسة. وجاء الحصول على الكثير من مصادر الدراسة ومراجعها من خلال موقع على شبكة المعلومات العالمية www.questia.com. ويحتوي هذا الموقع على ما يزيد عن سبعين ألف كتاب إضافة إلى

المقالات باللغة الإنجليزية، ويتيح الموقع لزائريه من خلال اشتراك أن يتصفحوا كـل هـذه الكتب والمقالات ويستخرجوا ما يشاؤون من معلومات.

وفي الختام أسأل الله أن يوفقني فهو الهادي إلى سواء السبيل فإن وُفقـت فالفـضل لله وحده، وإن اعترى الدراسة بعض القصور فهذه شيمة البشر.

**مصادر الدراسة**

لقد اعتمد الباحث في إعداد هذه الدراسة على عدد من المجموعات الوثائقية وهي كالتالي:

1- Joel H. Wiener (Editor): Great Britain Foreign Policy and The Span of Empire 1689-1971, A Documentary History.

وتحتوي هذه المجموعة على المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع الدول الأوروبية، خاصة ما يتعلق بالعملية الاستعمارية. وقد استفاد الباحث من هذه الوثائق في إثبات التفوق البريطاني على بقية الدول في مرحلة الدراسة.

2- George Burton Adams (Editor): Select Documents of English Constitutional History.

وتحتوي هذه المجموعة على القوانين التي حكمت الحياة السياسية الداخلية في بريطانيا في فترة الدراسة. وقد استفاد منها الباحث في رصد التحولات السياسية خاصة على صعيد ضمانات حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير والتي شكلت أرضية مناسبة لانتشار الأفكار المؤيدة إقامة كيان يهودي في فلسطين.

3- Samuel Rawson Gardiner (Editor): The Constitutional Documents of The Puritan Revolution 1625-1660.

وتشمل هذه المجموعة الوثائق الخاصة بطائفة البيوريتان أثناء وجودهم في المعارضة وقيامهم بالثورة، وكذلك في مرحلة استلامهم للسلطة بزعامة كرومويل. وقد استفاد منها الباحث في الفصل الأول من الدراسة فيما يتعلق بثورة البيوريتان ودورهم في إثارة موضوع السماح لليهود بالعيش في بريطانيا من جديد.

4- Documents Illustrative of English Church History.

وتحتوي هذه المجموعة عل الوثائق الخاصة بتاريخ الكنيسة الإنجليزية. واستفاد الباحث منها فيما يتعلق بالإصلاح الديني في بريطانيا.

5- ملف وثائق فلسطين. وهو مجموعة وثائقية من تجميع وزارة الإرشاد القومي في لبنان. وقد استفاد الباحث من العديد من وثائقه مثل مراسلات حسين مكماهون، واتفاقية سايكس بيكو، وغيرها من الوثائق المتعلقة بالفترة من مطلع القرن العشرين وحتى الحرب العالمية الأولى.

واعتمدت الدراسة على عدد من الكتابات التأريخية أو الكتابات الفكريـــة للأشـــخاص والزعماء والمفكرين الذين تناولتهم الدراسة وهي كالتالي:

1- William of Newburgh: History of England.

وهو من أهم مصادر التاريخ البريطاني في العصور الوسطى خاصـــة فيمـــا يتعلـــق بدخول اليهود إنجلترا وحياتهم فيها وما تعرضوا له من متاعب فيها إلى أن تم طردهم منها.

2- John Dillenberger (Editor): Martin Luther Selection from his Writings.

وقد استند الباحث إلى هذا الكتاب في توضيح دور مارتن لوثر في الإصلاح الـــديني، خاصة مقال لوثر الذي يتكون من خمسة وتسعين بنداً والذي جاء رداً على صكوك الغفران.

3- Martin Luther: The Jews and Their Lies.

وقد استفاد منه الباحث في توضيح موقف مارتن لوثر من اليهود في المرحلة الثانيـــة من حياته عندما انقلب عليهم وشن عليهم حملة شعواء ووجه لهم الكثير من الاتهامات.

4- Nahum Socolow: History of Zionism 1600-1918.

يعتبر هذا الكتاب هو التاريخ الرسمي للحركة الصهيونية وذلك لأن ناحوم سوكولوف هو أحد قيادات هذه الحركة. ويتميز هذا المؤلّف بوجود عدد كبير من الملاحق؛ خاصة تلك المتعلقة بالنزعة الصهيونية في أوساط المسيحيين.

5- Marvin Lowenthal(Editor): The Diaries of Theodore Herzl

وقد استند إليه الباحث في توثيق النشاطات الدبلوماسية التي قام بها تيودور هرتزل.

6- John Locke: A letter Concerning Toleration.

7- John Locke: Two Treatises about Civil Government

وقد استند الباحث إلى هذين الكتابين في توضيح أفكار جون لوك وأثرها على إشـــاعة أجواء التسامح في بريطانيا، وذلك عند تحليل الظروف التي ساعدت على تعميـــق النزعـــة الصهيونية وإنضاجها.

واعتمد الباحث على عدد من الكتابات لزعماء ومفكرين صهاينة مثل:

1- מאכס נורדאו: כתבים ציונים وهو تجميع لنصوص الكتب والمقالات التي كتبهـــا الزعيم الصهيوني ماكس نورداو، رجع الباحث إليه في توضيح أفكار هذا الزعيم.

2- מושה הס: רומי וירושלים. وهو كتاب موسى هس "روما والقــدس. اســتند إليــه الباحث في عرض أفكار هذا المفكر الصهيوني.

3- אחד העם: אגרות אחד העם. وهي كتابات أحاد هعام، استفاد منها الباحــث فـــي عرض أفكار هذا المفكر الصهيوني.

4- تيودور هرتزل: الدولة اليهودية. وقد استفاد الباحث منـــه فـــي توضـــيح أفكـــار هرتزل.

كما استفاد الباحث من عشرات المراجع باللغة العربية الإنجليزية والعبرية ممـــا ورد ذكره في قائمة المراجع.

# الفصل التمهيدي

## بريطانيا منذ أقدم العصور حتى الإصلاح الديني

المبحث الأول: جغرافية بريطانيا.

المبحث الثاني: بريطانيا منذ أقدم العصور حتى الغزو النورماندي

المبحث الثالث: الغزو النورماندي لإنجلترا

المبحث الرابع: التواجد اليهودي في إنجلترا حتى سنة ١٢٩٠

المبحث الخامس: الحروب الصليبية وأثرها على وضع اليهود ومكانة فلسطين في إنجلترا

المبحث السادس: التطورات الرئيسية في إنجلترا منذ طرد اليهود منها حتى انتهاء حرب الوردتين

# الفصل التمهيدي

## بريطانيا منذ أقدم العصور حتى الإصلاح الديني في القرن السادس عشر

يصعب الحديث عن دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني قبل الاستهلال بعرض موجز لجغرافية بريطانيا وتاريخها منذ القدم. إن العودة إلى الجذور توفر إمكانية كبيرة لفهم ما يمكن أن تتطور إليه الأحداث، ولهذا فإن الفصل التمهيدي هو محاولة من الباحث للتعريف بجغرافية بريطانيا وما وفره لها الموقع من مزايا جعلها قادرة على حماية نفسها لفترات طويلة، ومكّنها من التفكير في وقت مبكر في غزو البلدان الأخرى والسيطرة عليها.

ويعالج الفصل التمهيدي التكوين التاريخي للشعب البريطاني منذ أقدم العصور، واعتناقه المسيحية، كما يدرس التكوين الحديث للشعب البريطاني منذ الغزو النورماندي لها سنة ١٠٦٦. ويتناول مسألة دخول اليهود إلى بريطانيا في ركاب الغزو النورماندي لها، ويصف الدور الذي لعبوه فيها، وينتهي إلى تقييم أسباب طردهم منها سنة ١٢٩٠. كما يعالج الفصل التمهيدي الحروب الصليبية وأثرها على اهتمام بريطانيا بفلسطين وعلى أوضاع اليهود في بريطانيا، وهما عناصر المشروع الصهيوني.

وقدم الباحث في الفصل التمهيدي عرضاً سريعاً لأهم التطورات التي شهدتها بريطانيا بعد طرد اليهود منها، وتتمثل هذه التطورات أساساً في حرب المائة عام، ثم حرب الوردتين ووصول أسرة تيودور Tudor للحكم، وحاول الباحث اكتشاف أثر هذه التطورات على توجه بريطانيا في العصور التالية وعلاقة ذلك بدورها في بلورة المشروع الصهيوني.

## المبحث الأول: جغرافية بريطانيا

تقع بريطانيا العظمى أو المملكة المتحدة[١]بجوار الساحل الغربي لأوروبا، وتمتد بين خطي العرض ٥٠ درجة و ٦١ درجة شمال خط الاستواء في أقصى الطرف الشمالي لقارة أوروبا. ويفصلها عن قارة أوروبا قناة بحرية عرضها ٣٥ كيلومتر هي بحر المانش. ويفصلها عن البلدان الاسكندنافية بحر الشمال، وعن جمهورية إيرلندا بحر إيرلندا، وكل هذه البحار جزء من المحيط الأطلسي[٢].

يوجد للبحار المحيطة بالجزر البريطانية تأثيرات نافعة لأنها منفتحة على التيارات القادمة من المحيط الأطلسي فهي تسخن بالمياه التي تتسلل إلى بحر المانش في شهر تموز، وبحر إيرلندا في آب، وإلى بحر الشمال في أيلول، وتؤلف في فصلي الخريف والشتاء كتلة مائية دافئة لا تبرد مطلقاً قبل شهر آذار، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على أحوال المناخ في إنجلترا. كما تعمل موجات المد والجزر على تنشيط الموانيء[٣].

وتتكون المملكة المتحدة من أربع مقاطعات هي: إنجلترا[٤] وويلز[٥]واسكتلندا[٦]وتسمى ثلاثتها بريطانيا العظمى. أما القسم الرابع فهو ايرلندا الشمالية. ومن هنا جاء اسمها "المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية". وبمرور الزمن أصبح اسم بريطانيا العظمى

---

(1)هي الاسم الرسمي للوحدة السياسية التي تشمل انجاترا واسكتلندا وويلز وشمال إيرلندا.
Lands and Peoples, vol. 3, p. 85

(2)Ibid, p. 86

(3) حميدة، عبد الرحمن: جغرافية أوروبا الغربية، ص٣٥.

(4) إنجلترا England هي أكبر قسم سياسي من أقسام المملكة المتحدة، وتقع في الجزء الجنوبي من بريطانيا العظمى، وعاصمتها لندن.

البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ج٤، ص٦٠،

Encyclopedea Britannica, vol. 4, p. 494.

(5) ويلز Wales جزء من المملكة المتحدة، وهي عبارة عن شبه جزيرة تقع في الجزء الغربي من جزيرة بريطانيا العظمى، وعاصمتها كارديف.

البعلبكي، منير: م.س.ذ.، ج ١٠، ص ١١٥.

(6) اسكتلندا Scotland وهي الجزء الشمالي الأقصى من بريطانيا العظمى، يحدها من الشمال والغرب المحيط الأطلسي، ومن الشرق بحر الشمال، ومن الجنوب إنجلترا.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٩، ص ١٠،

Encyclopedea Britannica, vol. 10, p. 562.

هو الأكثر استعمالاً، وأحياناً تسمى إنجلترا لأن هذه المقاطعة تمثل القسم الأعظم من المملكة، إذ تبلغ مساحتها حوالي ٦٢% من المساحة الكلية للمملكة[١].

تتسم جغرافية بريطانيا العظمى بالتنوع والاختلاف، ويمكن القول أن أفضل تصنيف لجغرافيتها يتمثل في تقسيمها إلى قسمين رئيسيين[٢] أولهما الأراضي المنخفضة Lowland ، أما القسم الثاني فهو الأراضي المرتفعة Highland[٣].

تبلغ مساحة مجموع الجزر البريطانية ٢٤٤،٠١٩ كيلومتر مربع بما فيها ٣،٩٦ كيلو متر مربع مساحات مائية داخلية. وتتوزع المساحة الكلية كالتالي: إنجلترا ١٣٠،٣٦٨ كيلومتر مربع، وتبلغ مساحة ويلز ٢٠،٧٦١ كيلومتر مربع، واسكتلندا ٧٨،٧٣٩ كيلومتر مربع، وايرلندا الشمالية ١٤،١٤٧ كيلومتر مربع[٤].

تمتعت بريطانيا بسبب موقعها داخل مياه المحيط بمزايا دفاع عالية جعلتها في حصانة من أي غزو أجنبي منذ سنة ١٠٦٦ لفترة طويلة من تاريخها. وكانت إنجلترا أول بلاد العالم التي ظهرت فيها الثورة الصناعية، الأمر الذي جعلها من أهم دول العالم التجارية التي تستورد المواد الخام، ثم تعيد تصديرها على هيئة مواد مصنعة، ومع توسع بريطانيا التجاري وتفوقها الصناعي تمكنت من أن تبسط نفوذها على أجزاء متفرقة من سطح الكرة الأرضية لدرجة أن هذه الجزيرة الصغيرة أصبحت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين مركزاً للإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس[٥].

---

(1)Great World Atlas, p. 32.

(2)De blij, H. and Muller, Peter: Geography Realms, Regions and concepts, p. 70.

(3)Ibid, p. 70. .

حميدة، عبد الرحمن: م.س.ذ.، ص٣١.

(4)Ibid, pp. 30-35.

(5)الجوهري، يسري: الجغرافيا الحضارية، ص ٢٥٥-٢٦٠.

## المبحث الثاني: بريطانيا منذ أقدم العصور حتى الغزو النورماندي

تعرضت الجزر البريطانية في القرن السادس قبل الميلاد لغزوات قبائل الكلت Celt[١] . وفي القرن الأول قبل الميلاد نزلها فريق منهم يُعرف بالكلت البريتون Briton [٢] الذين استقروا في ويلز وكورنوول Cornwall[٣] وإلى هذا الفريق من الكلت تنتسب بريطانيا[٤].

غزا يوليوس قيصر (١٠٠-٤٤ ق.م) [٥] Julius Caesar إنجلترا سنة ٥٥ قبل الميلاد، وأخذ الرومان يوسعون سيطرتهم في تلك الجزر لتشمل ويلز والأراضي المنخفضة في اسكتلندا[٦]، وبالتدريج اكتمل الفتح الحقيقي لتلك البلاد سنة ٤٣م حيث تم إخضاع بريطانيا بشكل كامل[٧]. سيطر الرومان في البداية على جنوبي بريطانيا، ومن الجنوب امتد حكمهم إلى غربي البلاد وشمالها. ولم يبذل الرومان سوى اليسير من الجهد لاقتحام

(1)الكلت أو الكلتيون أو السلتيون Celts هي مجموعة من الشعوب الناطقة باللغات السلتية (التي تشمل الإيرلندية والويلزية، ولا تزال حية في إيرلندا واسكتلندا). ويعتبر جنوب غرب ألمانيا مهد الكلت، ومن هناك انتشروا عبر فرنسا في شمال أسبانيا وفي الجزر البريطانية خلال القرن السادس قبل الميلاد.

البعلبكي، منير: م.س.ذ.، ج ١، ص ١٩٦.

(2)البريتون Britons اسم عام يطلق على مجموعة الشعوب التي سكنت بريطانيا قبل تعرضها للغزوات الأنجلوسكسونية ابتداءً من القرن السادس للميلاد، وكان الكلت هم أبرز هذه الشعوب، وقد اشتقت لفظتا Britons و Britain من اسم فرع من فروع الكلت وهو البريثونيون Brythons .

البعلبكي، منير: م.س.ذ.، ج ٢، س ١١٩.

(3)كورنوول Cornwall إقليم في أقصى الجنوب الغربي من إنجلترا. يشغل شبه جزيرة يحدها المحيط الأطلسي شمالاً وغرباً، والقناة الإنجليزية جنوباً، وكان سكانه ينطقون حتى مطلع القرن التاسع عشر باللغة الكونوولية.

البعلبكي، منير: م.س.ذ.، ج ٣، ص ٩٨.

(4)موسوعة تاريخ أوروبا العام، ج ١، ص ٩١.

Trevelyan: A shortened history of England, pp. 22-28.

(5)عاش يولويس قيصر بين (١٠٠-٤٤ ق.م)، وهو سياسي ومؤرخ وقائد عسكري روماني، ويعتبر أعظم القادة العسكريين في تاريخ الغرب. غزا بريطانيا سنة ٥٥ ق.م. وتسبب في حدوث حرب أهلية عندما رفض تسريح جيشه.

البعلبكي، منير: م.س.ذ.، ج ٢، ص ١٤٧.

Encyclopedia Amercana, vol. 5, pp. 135-138.

([6] )Gibbon, Edward: The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol.1, P25.

([7] ) ديورانت، ول: قصة الحضارة، ج١١، ص٥٥.

المرتفعات الشمالية خاصة وأن المقاومة في وجههم كانت عنيفة في الشمال[١]، ولهـذا شـيّد هادريان(٧٦-١٣٨م) [٢] Haderian سوراً ضخماً ليحمي بريطانيا الرومانية مـن هجمـات قبائل الشمال[٣].

وعلى الرغم من أنه ليس معروفاً تماماً الوقت الذي انسحبت فيـه القـوات الرومانيـة نهائياً من بريطانيا، فإن روما لم تكن لتتخلى عن هذه الولاية بسهولة وهي الولايـة الغنيـة التي ظلت مصدراً للثروة طيلة أربعة قرون، ولكنها أجبرت على سحب فرقها منهـا سـنة ٤٤٢م، حين غدا أمن روما ذاتها موضع خطر كبير على أثر هجمات القبائل الجرمانية [٤].

دخلت المسيحية إلى بريطانيا عن طريق الجنود الرومان والتجار، ثم قويـت الديانـة النصرانية هناك في القرن الرابع الميلادي. وفي سنة ٥٩٧ –أي بعد حوالي قـرن ونـصف من زوال الحكم الروماني عن إنجلترا- سافر القديس أوغسطين[٥] Saint Augustine مـن روما، بتشجيع من البابا جريجوري الأول[٦] Saint Gregory I، على رأس جماعـة مـن القساوسة إلى إنجلترا، فرحب بهم الملك إيثلبيرت[٧] Aethelbert ملك كنت. وقـد حوّلـت مواعظ القديس أوغسطين آلافاً من الإنجليز، بمن فيهم الملك إلى الديانة النـصرانية. وأقـام

---

([1]) Gibbon, Edward: op. cit., Vol.1, P6.

([2]) هادريان Haderian (٧٦-١٣٨م) وهو إمبراطور روماني اهتم بتقوية الحكومة، وسن التـشريعات، وقام بتحصين الحدود من خلال الأسوار الحجرية المتينة. الموسوعة العربية العالمية، ج٢٦، ص١٦.

(3) الشيخ، محمد مرسي: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١١٩.
Gibbon, Edward: op. cit., Vol.1, P7.

(4) الشيخ، محمد مرسي: م. س. ذ.، ص ١١٩،١٢٠.

(5) القديس أوغسطين Saint Augustine توفي سنة (٦٠٤/٦٠٩) وهو أول أسقف لكنيسة كانتربري.
Amrecana, Vol. 2, P685.

([6]) جريجوري الأول (٥٤٠-٦٠٤). تولى منصب البابوية من (٥٩٠-٦٠٤) وكان يطلق عليه جريجوري العظيم. لهتم بنشر المسيحية في إنجلترا وسائر أوروبا. ويعتبر نموذجاً للأسقف الفعال والمؤثر والتقي.
Ibid, Vol.13, P468.

([7]) أيثلبرت ملك إنجلترا وويسكس في إنجلترا، وكان قد ورث كنت عن والده أيثلولف، أما ويسكس فقـد ورثها عن أخيه أيثلبالد.
Ibid, Vol.1, P239.

القديس أوغسطين في مدينة كانتربري وشيد كاتدرائيتها[١]. وفي عام ٦٠١ نصّبه البابا رئيساً لأساقفة كانتربري[٢].

انتشرت بعد انتهاء الحكم الروماني حالة من الفوضى في الجـزر البريطانيـة بـسبب تعرضها لغزوات القبائل الأنجلوسكسونية[٣] Anglosaxon القادمة من شمال أوروبا، ولكن مع الوقت أسس هؤلاء الغزاة مجموعة من الممالك الأنجلوسكسونية برزت من بينها ثـلاث ممالك رئيسية هي نورثمبريا[٤] Northumbria وميرسيا[٥] Mercia، والمملكة الثالثة هـي مملكة ويسيكس[٦] Wessex. وتعرضت إنجلترا لهجمات الفايكنج[٧] في نهاية القرن الثـامن

---

(1) الكاتدرائية هي كنيسة تُستخدم للصلاة والتعليم. ومن أشهر الكاتدرائيات في إنجلترا كاتدرائيـة درهـام ولنكولن وكانتربري.

الموسوعة العربية العالمية، ج١٩، ص١٧.

(2) الشيخ، محمد مرسي: م. س. ذ.،ص١٢٦،١٢٥.

انظر نص رسالة البابا: عاشور، سعيد عبد الفتاح: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص٧١٩.

Sayles, G.: The Medieval Foundation of England, P15.

(3)الأنجلوسكسون Anglosaxon اسم يطلق علـى القبائـل الجرمانيـة الـثلاث (الأنجلـز Angles والسكسون Saxon والجوت Jutes) التي استقرت في إنجلترا في القرنين الخامس والسادس للميلاد والتـي بسطت سيطرتها عليها حتى الفتح النورماندي سنة ١٠٦٦. وبعد الفتح النورماندي أطلق المؤرخـون فـي إنجلترا هذا الإسم على الشعب الإنجليزي.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ١، ص ١١٢.

(4)نورثمبريا Northumbria مملكة أنجلوسكسونية قديمة في الجزء الشمالي مـن إنجلتـرا (٦٠٠-٩٠٠) ترامت رقعتها من البحر الإيرلندي إلى بحر الشمال، وبلغت أوج قوتهـا العـسكرية فـي القـرن الـسابع الميلادي، وتم القضاء عليها في القرن الثامن الميلادي على يد الدانيين (الدانمركيين).

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٧، ص ١٤٢.

(5)مرسيا أو مرشيا Mercia إحدى الممالك الأنجلوسكسونية القديمة، شملت أراضيها القسم الأعظـم مـن وسط إنجلترا، وبلغت مرسيا في القرن الثامن أوج قوتها، وسقطت على يد الدانيين سنة ٨٧٧م.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٧، ص ١٤.

(6)ويسيكس Wessex مملكة أنجلوسكسونية قديمة، نشأت جنوب إنجلترا أواخر القرن الخامس المـيلادي، وتعتبر أقوى وأكبر المالك الأنجلوسكسونية، ووقع عليها عبء مقاومة الدانيين في القرن التاسع الميلادي.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ١٠، ص ١٤٢.

(7)الفايكنج Vikings هم سكان شبه جزيرة اسكندناوة القدامى، وهم الدانيون أو الدانمركيون والنرويجيون والسويديون، وكانوا يقومون بأعمال النهب والسلب والغزو في أوروبا الشرقية، وأقاموا عدد من الممالك في أوروبا الغربية.

وأوائل القرن التاسع الميلاديين، ونجحوا سنة ٨٧٠ في الاستيطان في جزء من الأراضي الإنجليزية. ووقع عبء الدفاع عن الجزر البريطانية على مملكة ويسيكس بعد أن سيطر الفايكنج على نورثمبريا وجزء كبير من مرسيا(١).

وفي بداية الألفية الثانية تطلع وليم السادس (٢) William VI –دوق نورمانديا(٣) Normandy - إلى عرش إنجلترا. وبدأ وليم يخطط لتحقيق رغبته فزار إنجلترا سنة ١٠٥١، ولكن بعض المساندين لجودوين هاجموه، فطلب الملك إدوارد من جودوين معاقبتهم لكنه رفض فتم نفيه. وتطور الأمر، حيث قام هارولد(٤) Harold ابن جودوين بمهاجمة شاطئ نورمانديا، لكنه وقع في الأسر، ومن أجل الحصول على حريته أقسم بمساعدة وليم ليكون ملكاً على إنجلترا بعد وفاة إدوارد، ولما مات إدوارد المعترف سنة ١٠٦٦ حنث هارولد بوعده، ونصّب نفسه ملكاً على إنجلترا. لكن وليم غزا إنجلترا في ١٤ أكتوبر من العام نفسه وسيطر عليها(٥).

---

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ١٠، ص ٩٧.

(1)Trevelyan: op. cit., pp. 37-53.

(2)المقصود به وليم الأول أو وليم الفاتح William 1 the Conqueror (١٠٢٨-١٠٨٧) هو دوق نورماندية ابتداءً من ١٠٣٥ وملك انجلترا ابتداءً من ١٠٦٦ ، قاد الحملة النورماندية على إنجلترا، وفتحها بعد انتصاره على على قوات الملك هارولد الثاني في معركة هيستنجز سنة ١٠٦٦.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ١٠، ص ١٥٣.

Encyclopedia Britanica vol. 8, p. 766.

(3)نورماندي Normandy إقليم ومقاطعة سابقة في الجزء الغربي من فرنسا. تقع على القناة الإنجليزية، توحدت مع إنجلترا منذ سنة ١٠٦٦ (أي منذ الفتح النورماندي لإنجلترا). وفي سنة ١٢٠٤ انتزع الفرنسيون نورماندي من الإنجليز، لكن هؤلاء استردوها سنة ١٤١٧، ليعاود الفرنسيون تحريرها نهائياً سنة ١٤٥٠.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٧، ص ١٣٩.

Encyclopedia Britanica, vol. 8, p. 768.

(4)هو هارولد الثاني Harold 2 وهو آخر ملوك إنجلترا الأنجلوسكسون، لم يدم حكمه غير تسعة أشهر إذ صرعه النورمانديون بقيادة وليام الفاتح في معركة هيستنجز.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٥، ص ٧٤.

(5)لمزيد من التفاصيل انظر: عمران، محمود سعيد: م. س. ذ.، ص ٢٣٨.

Encyclopedia Britanica, vol. 8, p. 766.

## المبحث الثالث: الغزو النورماندي لإنجلترا

قام وليم الفاتح في أواخر شهر سبتمبر سنة ١٠٦٦ بالنزول على الساحل الإنجليزي وسار مع جيشه إلى هيستنجز[١] Hastings، حيث التقى في ١٥ أكتوبر بفرق الملك هارولد الثاني التي كانت منتعشة بالنصر الذي أحرزته قبيل هذه الأحداث على النرويجيين في الشمال، وجرت بين الطرفين معركة حاسمة عند مدينة هيستجز وعُرفت باسمها (أي هيستنجز)، وكان النصر حليف وليم الفاتح[٢]. وبعد انتهاء المعركة أتم وليم فتح إنجلترا، ومن ثم أخذ يرتب إجراءات تتويجه ملكاً على إنجلترا، وبذلك اصبح ملكاً على إنجلترا[٣].

بعد الغزو النورماندي أصبحت إنجلترا مرتبطة بالأحداث الرئيسية في أوروبا ومشكلاتها السياسية، وتابعة للشؤون الكنسية والمؤثرات الثقافية والفكرية بعد أن كاد الغزو الأنجلوسكسوني يفصل بينها وبين قارة أوروبا. وتلقت إنجلترا لغة فرنسا وأدبها وفنونها[٤]. ويمكن القول أن أعظم نتائج الفتح النورماندي لإنجلترا ظهرت في الميدان السياسي، حيث تمخض هذا الفتح عن قيام دولة منظمة لها قوانينها وأعرافها الإدارية الراسخة[٥].

وتمكن وليم الفاتح من تنظيم أوضاع إنجلترا والحفاظ على الاستقرار فيها بعد أن أتم فتحها وأخمد ما واجهه من ثورات فيها. ونجح في مسح أراضي الدولة جميعها وتسجيلها

(1)هيستنجز Hastings مدينة في الجنوب الشرقي من إنجلترا على بعد ٨٨ كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من لندن، دارت على مقربة منها معركة هيستنجز الحاسمة سنة ١٠٦٦.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٥، ص ٧٧.

(2)لمزيد من التفاصيل حول معركة هيستنجز Hastigs انظر:

الشيخ، محمد مرسي: م. س. ذ.، ص ٤١٠-٤١٦،

وانظر كذلك نص رواية وليم المنسوب إلى مالميسبري William of Malmesbury

Robinson, James Harvey: Readings in European History, vol. 1, pp.224-229.

(3)هامرتون، السير جون: تاريخ العالم، ج ٤، ص ٦٨٠.

هلستر، س: م. س. ذ.، ص٢٠٢،٢٠١.

Sayles, G.: op. cit., P.80.

(4)هامرتون: م. س. ذ.، ج ٥، ص ٧٠-٨٠.

(5)لمزيد من التفاصيل حول نتائج الغزو النورماندي على إنجلترا انظر:

عاشور، سعيد عبد الفتاح: م. س. ذ.، ٤٦٥-٤٧٠،

هلستر، س: م. س. ذ.، ص ٢٠٣.

في سجل عُرف بالإنجليزية باسم Domesday Book[١]. وبناءً عليه عمل الملك وليم على بناء النظام الإقطاعي في إنجلترا مستفيداً من تجارب الإقطاع الأوروبي[٢] فقرر جعل جميع الأراضي ملكاً للتاج، وأعاد توزيعها على البارونات والإيرلات وفــق النظــام الإقطــاعي النورماندي، لكنه أدخل تعديلاً بحيث عمل على تفتيت ملكية البارونات، وجعلها موزعة على عدة مناطق، وليست قطعة أرض كبيرة في منطقة واحدة، وذلك حتى يمنع حــدوث تمــرد ضده من النبلاء والإقطاعيين. ومن المعروف أن النظام الإقطاعي يتكون من ثــلاث فئــات اجتماعية أساسية، وأولها فئة النبلاء والفرسان الذين حملــوا مــسؤولية الحــرب والقتــال والحكومة المحلية، والفئة الثانية هي فئة القساوسة الذين حملوا مسؤولية الــصلاة واللحمــة الفكرية وحرسوا بوابة الكنيسة، أما الفئة الثالثة فتتمثل في الخدم والعبيد الذين كــان علــيهم مسؤولية الكدح والعمل في المزارع والمدن. ولم يكن في أوروبا حتى ذلــك الوقــت طبقــة وسطى تقوم بالأعمال التجارية والمالية فملأ اليهود هذا الفراغ وعملوا فــي هــذا المجــال، ولهذا الغرض حث وليم الفاتح يهود نورمانديا على مرافقته إلى إنجلترا ليقوموا بدور مشابه لدورهم في بقية أوروبا[٣].

---

Domesday Book(1) هو كتاب الإحصاء الإنجليزي، وتم الانتاهاء من إعداده سنة ١٠٨٦، وكان ولــيم الفاتح قد أصدر أوامره لرجاله بإحصاء كل الممتلكات والأشخاص في المملكة، ويعتبر من أعظم الإنجازات في العصور الوسطى فهو أول كتاب إحصائي بالمعنى المعروف. وقد أمر وليم بإعداده لتحديد دخل الدولــة من الضرائب بدقة.

. Encyclopedia Amrecana, Vol. 9, p. 266,
Sayles, G: op. cit., PP.83-85.

(2)الإقطاع الغربي هو النظام الاقتصادي والاجتماعي المبني على ملكية الأرض الزراعيــة والــذي ســاد أوروبا في العصور الوسطى، وتعود بدايات هذا النظام إلى مملكة شارلمان الفرنجية في فرنسا، في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وانتشر منها عن طريق الغزو إلى إسبانيا وإيطاليا وألمانيا، ونقله الغزاة النورمان إلى إنجلترا سنة ١٠٦٦.

المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٤، ص ٢٧٥.

لمزيد من التفاصيل انظر: هامرتون، السير جون: م. س. ذ.، ج ٤، ص ٩٩٧.

(3)Ludovici, Anthony: the Jews in England, Vol. 3, p. 2.

## المبحث الرابع: التواجد اليهودي في إنجلترا حتى سنة ١٢٩٠

تُرجّح الموســوعة اليهوديــة[١] Jewish Encyclopedia وموســوعة جودايكــا[٢] Encyclopedia Judaeca، إضافة إلى العديد من الكتابات اليهودية والكتابات البريطانيــة، أن اليهود لم يدخلوا إنجلترا إلا في العصور الوسطى، وتحديداً مع غزو وليام الفاتح لإنجلترا عام ١٠٦٦[٣] . ورغم ذلك تثير بعض الكتابات التاريخية جدلاً حول دخــول اليهــود إلــى الجزر البريطانية، مشيرة إلى أن اليهود دخلوها، وأقاموا فيها، في العــصور القديمــة مــن خلال التبادل التجاري عبر البحر المتوسط. وفي هذا الإطار يقول ريكس ويلدون فين Rex Welldon Finn، وهو مؤرخ بريطاني متخصص في تاريخ العــصور الوســطى: " مــن المحتمل أن يكون اليهود أو بعض الأجناس السامية قد وصلت إنجلترا قبل مــيلاد المــسيح، وذلك لأن التجار كانوا يأتون إلى إنجلترا من كل موانئ البحر الأبــيض المتوســط، مثــل مارسيليا والبحر الأدرياتيكي وفينيقيا، وكذلك من المراكز التجارية في شمال أفريقيا. ولا بــد أن بعض هؤلاء استقروا واختلطوا وتزاوجوا هناك (خاصة في كــورن وول Cornwall)، ولهذا نجد أن جزءاً من سكان هذه المدينة يحمل ملامح مختلفة عن سكان بقيــة الدولــة"[٤]. ويذكر آخرون أن الرومان هم أول من أدخل اليهود إلى بريطانيا حيث تم جلبهم من القــدس خلال الغزو الروماني، ويؤكد المؤرخ اليهودي هايمسون Hyamson علــى أن " الأصــل السامي له جذور في الجزر البريطانيةٍ، ودليل ذلك وجود التــشابه بــين اللغــات العبريــة والكورنوولية (نسبة إلى كورنوول).. وربما يرجع اتصال اليهــود بــإنجلترا إلــى النــشاط التجاري في فترات مبكرة من التاريخ، وربما يرجع إلى فترة استيلاء الرومان على القــدس وجلبهم لليهود من هناك"[٥].

---

(1)Encyclopedia Judaieca, Vol. 6, P. 747.

(2)Ibid, Vol. 6, p. 748.

Ludovici, Anthony: op. cit., Vol. 3, p. 2.

(3)Ibid, vol. 3, pp. 1,2.

Glick, Leonard: Abraham's Heirs (Jews and Meedieval Europe), p.204.

(4 )Finn, Rex Welldon: The English Heritage, pp. 10-11.

(5 )Hyamson: p. 21.

يتضح مما سبق أن الباحثين الذين يميلون إلى القول بوجود اليهود في إنجلترا منذ فترات تاريخية مبكرة لا يستندون إلى أدلة تاريخية قاطعة، وإنما يستنتجون ذلك من خلال وجود بعض التشابه بين اللغة العبرية واللغات الكورنوولية، أو من خلال وجود سكان يحملون الملامح السامية. لكن مثل هذه الاستنتاجات غير كافية للجزم بوجود اليهود في إنجلترا حتى لو صح ما يذهبون إليه من وجود التشابه بين اللغات والملامح، إذ ليس بالضرورة أن تكون هذه الأمور من مخلفات اليهود، فاللغات السامية متشابهة، وأهل المشرق العربي يحملون نفس الملامح. وعلى صعيد آخر، تذكر بعض الدراسات التاريخية المتعلقة بهذا الشأن أنه "لم يُسمع شيء عن التواجد اليهودي في إنجلترا قبل قدوم وليام الفاتح"[١]. على كل حال فإن كان اليهود قد تواجدوا في إنجلترا منذ القدم أم لا، فإنه لا شك في أن وليام الفاتح هو المسئول عن تدفق اليهود إلى إنجلترا بأعداد أخذت في التزايد على مدار قرنين من الزمن، إضافة إلى تمكينهم من لعب دور اقتصادي، ومنحهم امتيازات عديدة في مجال التجارة والإقراض[٢]. وكانت أول مجموعة استقرت هناك؛ هي تلك التي دخلت مع جيش وليم الفاتح سنة ١٠٦٦، وكان المهاجرون الأوائل يشكلون مجموعة صغيرة من رجال المال والتجارة القادمين من روين[٣] Rouen ، وتوزعت هذه المجموعة على معظم المدن الكبيرة في ذلك الوقت خاصة لندن وبريستول وكانتربري[٤].

ويبدو أن وليام الأول أو الفاتح قد وضع تصوراً أولياً عن الطريقة التي سيحكم بها إنجلترا، والدليل على ذلك أن وليم تواجد في بريطانيا أكثر من مرة وخطط لغزوها، وعندما تم له ذلك باشر فوراً في إحصاء كل أراضيها، وأعاد تقسيم هذه الأراضي وتأسيس النظام الإقطاعي على أسس جديدة تضمن له السيطرة المطلقة على جميع أرجاء البلاد، ولهذا قرر جلب رجال المال والتجارة اليهود، وشجعهم على العمل في مجال التجارة والربا وتحصيل الأموال.

---

(1 )Ramsay, James: The Foundation of England B.C. 55-A.D. 1154.), p. 153.

(2 )Ibid, p. 53.

(3) روين Rouen مدينة في الجزء الشمالي من فرنسا، ويرقى تاريخها إلى عهد الرومان.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٨، ص١٦٩

(4) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٤، ص٣١٧.

وقد سُمح لليهود بمقتضى القانون أن يتقاضوا نسبة فائدة عالية وصلت إلى ٢% مقابل كل مبلغ يُستدان لمدة أسبوع، أما إذا كانت مدة الاقتراض سنة كاملة فتصل نسبة الفائدة إلى ٥٠%(١). وفي مقابل الامتيازات الواسعة التي كان يتمتع بها اليهود كان الملك يجبي منهم الضرائب الباهظة. وقد بلغت نسبة ما يقدمه اليهود لميزانية الدولة في نهاية القرن الثاني عشر ١٢/١ من مقدارها الكلي. وعندما أراد الملك هنري الثاني سنة ١١٨٧ جمع مبلغ كبير من المال من كل رعاياه فقد جمع من اليهود وحدهم مبلغاً مساوياً لما جمعه من المسيحيين، وكان الملك قد قرر أخذ ما قيمته ٢٥% من ممتلكات البهود، ويقدر المبلغ الذي جمعه منهم بـ ٦٠ ألف باوند، وهو مبلغ كبير، ويذكر المؤرخ أنتوني لودوفيسي أن قيمته تعادل ٢،٤مليون باوند زمن الحرب العالمية الأولى. وفي نفس الوقت اقتطع الملك ما نسبته ١٠% من ممتلكات بقية رعاياه المسيحيين فجمع منهم ٧٠ ألف باوند*(٢).

وعلاوة على ذلك فقد كان الملك يطلب من اليهود مبالغ كبيرة مقابل تدخله لصالحهم في أي مشكلة، أو في حالة توجههم إليه طلباً للمساعدة في أي أمر من الأمور، وفي هذا الإطار فقد حدث في عهد هنري الأول سنة ١١٣٠ أن قام أحد اليهود بقتل رجل مريض، فقام الملك بفرض غرامة كبيرة على اليهود تقدر بـ ٢٠٠٠ باوند (أي ما يعادل ٨٠ ألف باوند في زمن الحرب العالمية الأولى) وذلك لحمايتهم ومنع الاعتداء عليهم وتجديد مواثيق حمايتهم(٣).

ومنذ مطلع القرن الثاني عشر الميلادي بدأ اليهود يعانون من بعض الصعوبات نظراً للهجوم عليهم من قبل الكنيسة والبارونات أولاً، ثم أخيراً من قبل العناصر الشعبية. أما عن الكنيسة فقد لجأ الكثير من الأديرة والكاتدرائيات للاستدانة من اليهود، وبلغ حجم الديون التي اقترضتها الأديرة الإنجليزية ما قيمته ٢٥٠ ألف باوند(٤)، الأمر الذي جعل رجال الكنيسة

---

(1 )Ludovici, Anthony: op. cit., vol.3, p.3.

* (والباوند هو وحدة النقد الإنجليزية، وبدأ التعامل به منذ العصور الوسطى وتحديداً سنة ٧٧٥
Encyclopedia Britannica,Vol., 9, P. 65.

(2 )Ludovici, Anthony: op. cit., vol.3, p.3.

(3 )Ludovici, anthony: op. cit., p.3.

(4) Hyamson: p. 28.

يحقدون على اليهود الذين يمتلكون كل هذه القدرات المالية. وبخصوص البارونات فقد أقلقهم الدور الاقتصادي الذي كان يلعبه اليهود، خاصة وأن إسهامات اليهود في الميزانيـــة كانـــت تعطي الملك استقلالية ضدهم، وهذا ما جعل النبلاء يحقدون على اليهود نظراً لما يقومـــون به من دور اقتصادي له تأثير على المكانة السياسية لفئة النبلاء والبارونات. وتزامن اعتلاء ريتشارد قلب الأسد(١١٨٩-١١٩٩) [١] Richard 1 The Lionheart سنة ١١٨٩ العرش مع تصاعد الحملة ضد اليهود، حيث قامت الجماهير بمنعهم من الوصول إليه وتقديم الهـــدايا لتهنئته[٢]. وحينما شارك في الحملة الثالثة من الحروب الصليبية، انتهزت القـــوى المعاديـــة لليهود الفرصة وهاجمتهم في أماكن عدة من أهمها يورك[٣] York وتم إحراق الوثائق التي تشتمل على إثبات الديون[٤]. ورأى الملك أن هذا الهجوم موجه ضده، ولهذا ثأر لنفسه وأمر بمصادرة أموال زعماء الهجوم[٥]، وعندما عاد الملك لإنجلترا ســنة ١١٩٤ قـــرر تنظـــيم العلاقة بين اليهود المشتغلين بالتجارة والإقراض وبين بقية المجتمـــع، وبمقتـــضى الوضـــع الجديد أصبح حفظ الوثائق والعقود يتم في صناديق توضع في البلديات[٦].

---

(1)ريتشارد الأول Richard 1 (١١٥٧-١١٩٩): ملك إنجلترا (١١٨٩-١١٩٩) قضى معظم سني حكمـــه خارج البلاد. شارك في الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢) ابتغاء الإستيلاء على بيت المقدس، عرف بشجاعته، ومن أجل ذلك أُطلق عليه لقب "قلب الأسد".

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٨، ص ١٥٠.

(2 )Roger of Hovden: The History of England, Vol. 2, p. 117.

عبد القوي، زينب: م. س. ذ.، ص ١٣٤.

(3)يورك York مدينة في الجزء الشمالي الشرقي من إنجلترا، ويرقى تاريخها إلى عهد الرومان.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ١٠، ص ١٨٨.

(4)Roger of Hovdin: op. cit., Vol. 2, P. 118.

(5)Ibid, 119.

(6)William of Newburg: History of English Affairs, Vol. 4, pp. 9-16.
Abrahams, Israel: Jewish Life in the middle ages, p. 399.

اتسم حكم الملك جــون(١١٩٩-١٢١٦) [١] John بالــصراع بينـــه وبـــين الكنيـــسة والبارونات بسبب محاولة الملك السيطرة على الكنيسة، إضافة إلى فرضه ضرائب باهظـــة لتمويل حربه ضد فرنسا، لكن الملك في النهاية خضع لإرادة النبلاء والكنيسة ووقـــع علـــى وثيقة العهد الأعظم Magna Carta ليلتزم بمقتضاها بعدم التعسف في إدارة البلاد. وتتألف الوثيقة من مقدمة وثلاث وستين مادة تدور حول بـــضعة محـــاور هـــي حريـــة الكنيـــسة، والعلاقات بين الملك وتابعيه من رجال الإقطاع، وسياسات الحكم الملكي وإجراءاته، وقواعد تسوية النزاع بين الملك والنبلاء. ولعل المادة التاسعة والثلاثين هي أهم هذه المـــواد جميعـــاً ذلك بأنها نصت على عدم جواز اعتقال أي مواطن أو سجنه أو نفيه من غير محاكمـــة [٢]. وفي إطار الصراع بين الملك والنبلاء ورجال الكنيسة كان الملـــك قـــد لجـــأ ســـنة ١٢٠٢ لإصدار قرار بوضع اليهود تحت سلطته القانونية المباشرة أو تحت سلطة الحكام المحليـــين، وشرّع لهم حقوق مهمة مثل أن يكون لهم محاكمهم الخاصة لفض المنازعات التـــي تنـــشب فيما بينهم حتى لا يضطروا للاحتكاك بالإقطاعيين ومحاكمهم[٣].

ولم يترد وضع اليهود في إنجلترا بين عشية وضحاها بل استغرق الأمر مـــا يقـــارب قرنين من الزمان، ويمكن القول أن توجيه الإنجليز تهمة الدم "blood Libel" لليهود هي أحد أبرز المؤشرات أو التجليات لتدهور أوضاع اليهود في إنجلترا، وقد وُجهت أول تهمـــة دم لليهود في إنجلترا سنة ١١٤٤ في نوريتش[٤] Norwich حيث اتُهم اليهود بـــذبح طفـــل

(1)جون John (١١٦٧-١٢١٦): ملك إنجلترا (١١٩٩-١٢١٦) نشب صراع شـــديد بينـــه وبـــين البابـــا إنوسنت الثالث سنة ١٢٠٥، فأصدر البابا قراراً بخلعه، وحاول الملك جون تقويض سلطة النـــبلاء فثـــاروا عليه وأكرهوه سنة ١٢١٥ على إقرار الوثيقة العظمى Magna Carta.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٦، ص١٦٠.

(2) عاشور، سعيد عبد الفتاح: م. س. ذ.، ص ٤٧٤،

انظر نص العهد الأعظم الماجنا كارتا.

Adams,George Burton: Select Documents of English Constitutional History, p.35.

(3)Jacobs, Joseph: The Jews of Angevin England Documents and Records,pp.212-215.

(4)نورويتش Norwich مدينة في الجزء الشرقي من إنجلترا. ورد ذكرها لأول مرة سنة ١٠٠٢ للمـــيلاد، وفيها كاتدرائية ترقى إلى الفتح النورماندي سنة ١٠٦٦.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٧، ص ١٤٣.

يُدعى وليم عمره أربع سنوات ونصف قبل يومين من عيد الفصح عند اليهود. ثم وُجهت تهم دم أخرى لليهود في مناطق مختلفة من إنجلترا بين عامي ١١٦٨-١١٩٢[١].

بغض النظر عن مدى صحة أو بطلان الاتهامات التي وجهــت لليهــود بــشأن قتــل الأطفال المسيحيين؛ فإن ما يهم الموضوع هو مجرد إطلاق الاتهام ضد اليهود، وهذا ثابــت في تاريخ بريطانيا في العصور الوسطى. ويمكن القول أن توجيه تهمة الدم لليهود في ذلــك الوقت كان، في نتيجته، يجلب فائدة لجهات عديدة في المجتمع الإنجليزي في ذلــك الوقــت؛ فمجرد إطلاق هذه التهمة كان يعني شنق بعض اليهود، ومن بينهم عدد كبير من المــرابين، حيث كان الربا العمل الرئيسي لليهود، وعندما يُشنق المرابون تسقط ديونهم عــن الجهــات المستدينة. وكانت الخزانة الملكية ذاتها تستفيد من تهمة الدم، حيث ترث ممتلكات المرابــي الذي يُشنق أو يُطرد، كما أن النخبة الحاكمة كانت تنتهز هذه الفرصة لتعرض على اليهــود تجديد المواثيق الممنوحة لهم والتي تضمن حمايتهم، وتكفل لهم المزايا نظير مبــالغ جديــدة يدفعونها كما حدث في عهد الملك هنري الأول، وكان ريتشارد قلب الأسد قد تمكن من سن قانون ينص على حقه في وراثة ممتلكات وأموال اليهود الذين ذبحوا في هجوم عيد الفــصح سنة ١١٩٠[٢].

وفي هذا الإطار يرى المسيري "أن اليهود كانوا مجرد أداة في يــد الطبقــة الحاكمــة يستغلونها في امتصاص ثروات المجتمع، ثم يقوم الملك باعتصارهم عن طريق الــضرائب الباهظة التي يفرضها عليهم"[٣]. وقد شبّه أحد المؤرخين اليهود بأنهم مثل "غــشاء الجنــين حيث يتواجدون بين الملك وجسد شعبه، ويقومون بدور الوسيط حيث يمتصون الأموال مــن الناس ثم يقدمونها للملك، وبينما يستفيد الملك من أموال رعيته التي جمعها اليهــود بوســائل مختلفة؛ وغالباً ما تكون غير مقبولة من قبل المجتمع، فإن الرعيــة لا تــستطيع إلا رؤيــة الغشاء الفاصل بينهما( أي الوسيط أو الوسيلة وهو اليهود هنا) وبهذا تتوجه الكراهية للوسيلة

---

(1 )Glick, Leonard: op. cit., PP. 205,206.

(2) عبد القوي، زينب: م. س. ذ.، ص ١٣٣. نقلاً عن:
William of Newburge: op. cit., Vol.1, P306.

(3) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٤، ص٣١٧.

وليس للمستغل المتوحش الأساسي"[١]. لكن لا يمكن التسليم بهذا المنطق فاليهود أنفسهم كانوا يقومون بأعمال تثير الكراهية ضدهم مثل التباهي بالثراء من خلال ملابسهم ومجـــوهراتهم، وكذلك احتكارهم لمهنة الطب، وسخريتهم من معتقدات الناس الخاصة بـــالأمراض وطـــرق العلاج منها ووصفها بالخرافية[٢]. وقد أدى وضع اليهود بوصفهم أداة في يـــد الملـــك إلـــى عزلتهم عن بقية طبقات المجتمع، إذ كانوا في حالة صراع مع النبلاء والبارونـــات بـــسبب علاقتهم الفريدة بالملك، وبسبب الفائدة التي تعود عليه منهم، كما كـــان الفلاحـــون يقعـــون ضحية المرابي اليهودي الذي يتمتع بحماية الملك. لكن سكان المدن كـــانوا أكثـــر الطبقـــات عداءً لليهود لأن المدن هي مركز الاقتصاد، واليهود يركـــزون فيهـــا نـــشاطاتهم التجاريـــة والربوية، وهذا ما يفسر بروز تهمة الدم ضد اليهود لأول مرة في مدينة نورويتش.

بناءً على ما تقدم يمكن القول أن المعاناة التي لاقاها اليهود في إنجلترا نتجـــت بـــسبب الدور الذي كان يلعبه اليهود كأداة في يد الحاكم، وليس لكونهم يهود (أي أصـــحاب ديـــن). وهذا يعني أن ما حدث ضد اليهود من انتقام ومذابح وتوجيه اتهامات يمكن اعتباره ضـــرباً من ضروب الثورة الشعبية ضد الاستغلال، وليس عداءً للسامية أو حقداً على اليهود بـــسبب الدين، فالجماهير لم تكن تفهم آليات الاستغلال الاقتصادي وطابعها المركب، ولم تكن تـــرى سوى أداة الاستغلال المباشرة والملموسة، وكانت هذه الأداة هي اليهـــود الـــذين يـــستخدمهم الملك ويقوم بحمايتهم. ولذلك كانت الثورة تندلع ضد اليهود في حالة ضـــعف الـــسلطة، أو غياب الملك في إحدى الحملات الصليبية كما حدث في عهد ريتشارد الأول.

لكن لا يمكن أن نتجاهل الخلفية الدينية أو الإثنية لأعمال الاحتجـــاج والانتقـــام ضـــد اليهود ومنهم، فالعامل الديني هو الذي جعل اليهود وحدهم يمارسون مهنة الربا التي تحرمها الديانة المسيحية[٣]، واليهود هم قتلة المسيح في نظر المسيحيين. كما أن اليهود هم عنـــصر غريب قادم من نورمانديا إلى إنجلترا بعد أن استقر الأنجلوساكسون فيها قرابة سبعة قرون.

(1)Ludovici, Anthony: op. cit., vol. 3, p. 4.

(2)Ibid,vol. 3, p. 4.

(3) انظر: جالبريث، جون: تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، ص٣٣-٣٦.

حاول إدوارد الأول بعد اعتلائه العرش سنة ١٢٧٢ أن يجد حلاً لمسألة يهود إنجلترا، فكان يرى أن اليهود في إنجلترا أصبحوا مجموعة صغيرة لم تعد تؤدي وظيفة اقتصادية. ومن ثم حاول توجيههم للعمل بالزراعة والحرف ومنعهم من الاشتغال بالربا، فأصدر قانون اليهودية سنة ١٢٧٥[١]. لكن هذه المحاولة باءت بالفشل حيث لجأ الكثير من اليهود الفقراء إلى السبل غير الشريفة للعيش مثل برد حواف العملات الذهبية، وهو ما كان يُنقص قيمتها. وحينما اكتشف أمر بعضهم سنة ١٢٧٨ أمر الملك بتفتيش بيوتهم، وشنق ٢٣٩ منهم. ولكن رجال الكنيسة والبارونات كانوا يعرفون أن سر احتفاظ الملك باليهود هو أنه يوظفهم لحسابه ويحقق الأرباح من خلالهم، فقرر رجال الكنيسة والبارونات إعطاء الملك عُشر الأملاك المنقولة إن هو طرد رعاياه اليهود، وبالفعل أصدر الملك بتاريخ ١٨ يوليو ١٢٩٠ قراراً يقضي بوجوب مغادرة كل اليهود من إنجلترا، بحيث يتم الأمر كلياً مع بداية شهر نوفمبر من نفس العام، وكل من سيبقى من اليهود بعد هذا التاريخ في إنجلترا سيتم إعدامه[٢].

يتضح مما تقدم أنه تكوّن خلال القرن الثالث عشر توجهاً معادياً لليهود في إنجلترا، وبدأ هذا التوجه نخبوياً في أوساط رجال الدين والبارونات ثم انتقل إلى الدوائر الشعبية، وقد كان هذا التوجه مثقلاً بالأبعاد الدينية مثل ادعاء المسيحيين بقتل اليهود لعيسى عليه السلام، والأبعاد الاقتصادية مثل الاقتراض والربا وتكوين رؤوس الأموال الضخمة، والسياسية مثل علاقة اليهود بالملك وتأثير ذلك على البارونات. واضطر الملك في النهاية لاتخاذ قراره بطرد اليهود تحت ضغط كل هذه الاعتبارات نظراً لما يتسبب به وجودهم من توترات داخل المجتمع البريطاني.

---

(1) المقصود بقانون اليهودية هو إعادة تأهيل اليهود في إنجلترا لكي يمكنوا من العمل في المهن المنتجة. انظر نص قانون اليهودية لسنة ١٢٧٥ في:

The Statutes of the Realm, Vol. 1, pp. 220,221,
Brand, Paul: Jews and the Law in England 1275-1290, English Historical Review, Nov. 2000, pp. 1-6.

(2)Abrahams, Israel: op. cit., p. 243,
Glick, leonard: op. cit., p.232.

## المبحث الخامس: الحروب الصليبية وأثرها على وضع اليهود ومكانة فلسطين في إنجلترا

تعتبر الحروب الصليبية[١] جزءاً من المواجهة التاريخية بين الحضارة الغربية وحضارة الشرق، والتي تمثلت في الحروب بين الفرس واليونان، ثم غزو الرومان للشرق وسيطرتهم على أجزاء واسعة منه. وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: الإمبراطورية الشرقية (البيزنطية) والإمبراطورية الغربية، بقيت الأولى في مواجهة الدولة الإسلامية الصاعدة بقوة. وبالتدريج ومع توالي الانتصارات الإسلامية انحسر النفوذ الغربي داخل القارة الأوروبية[٢]. وانهزمت الدولة البيزنطية تحت هجمات السلاجقة، واستمر التوسع السلجوقي حتى تم الاستيلاء على أنطاكية سنة ١٠٨٥، الأمر الذي اضطر البيزنطيون إلى طلب العون من الغرب[٣]، وقد وجد استجابة سريعة تعبر عن شهية غربية مفتوحة للحرب[٤].

وكانت نهاية الألف الأولى لميلاد المسيح قد شهدت تطوراً لمفهوم "الحج المسيحي"، وكذلك مدلول الحرب المقدسة". أما بالنسبة للحج المسيحي فقد كان في بداية الألف الأولى لميلاد المسيح بسيطاً جداً، أما في نهايتها فقد شاعت في أوروبا الغربية أفكار وحكايات تتحدث عن قرب نهاية العالم مع اكتمال الألف سنة الأولى لميلاد المسيح،

---

(1)رغم شيوع تسمية "الحروب الصليبية" في الكتابات العربية والأجنبية، إلا أن بعض المؤرخين العرب يخطئون استخدامها، ويعتبرون أن التسمية الأكثر دقة هي "حروب الفرنجة"، مستدلين على ذلك بأن المصادر العربية الإسلامية وكذلك الأوروبية لم تستخدم تسمية الحروب الصليبية.

للمزيد حول الموضوع انظر:

المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج ٦، ص ١٢٤.

قاسم، قاسم عبدة: ماهية الحروب الصليبية، ص ٩-١٥.

(2) انظر: الشيخ، محمد مرسي: عصر الحروب الصليبية، ص ٤١-٦٩.

السيد، محمود: تاريخ الحروب الصليبية، ص٢١-٧٩.

(3) السيد، محمود: م. س. ذ.، ص١١.

(4) ن.ج.، ص٨٣، ٨٤.

وأن هذه الفترة ستشهد عودة المسيح، وأن ملك الفرنجة هو الذي سيقود المؤمنين للقدس لينتظر العودة الثانية للمسيح ليؤسس مملكة السلام والعدل في القدس[١].

وقد سيطرت هذه الأفكار الألفية على وجدان الناس لدرجة جعلت الكثيرين تواقين لضمان الخلاص من خلال الرحلة إلى بيت المقدس وذلك للتقرب إلى الله وللتكفير عن الذنوب. وكان القساوسة يوصون في بعض الأحيان بالحج لمن يرون أنه اقترف إثماً فاحشاً[٢]، حتى أن البابوات أخذوا يمنحون الغفران للحجاج والمحاربين الذين يذهبون للقدس. ثم حدث تطور هام حيث صارت البابوية تمنح الغفران لمن يرسلون المحاربين بدلاً منهم، ولمن يساهمون بأموالهم في تمويل إحدى الحملات الصليبية عوضاً عن المشاركة بأنفسهم، ثم تطور مفهوم الغفران فأصبح بالإمكان شراؤه بالمال دون الحاجة للقتال أو حتى الذهاب لأداء فريضة الحج في بيت المقدس. والأمر المهم في موضوع الحج لتكفير الذنوب؛ أن الحجاج عند عودتهم من فلسطين كانوا يحملون معهم القصص والحكايات عن أهمية الشرق وثرائه والبطولات التي قاموا بها في سبيل الوصول إلى الأماكن المقدسة[٣].

ومثلما تطور مفهوم الحج منذ بداية المسيحية حتى عشية الحروب الصليبية، تطور كذلك مفهوم الحرب المقدسة الذي كان من أهم روافد الأيديولوجية الصليبية، فمن المعروف أن تعاليم المسيحية تدعو إلى السلم ونبذ الحرب. لكن لم يعد المجتمع الغربي مستعداً لقبول هذه الدعوات السلمية، بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي نجمت عن الغزوات الجرمانية التي اجتاحت أوروبا بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين، وأسفرت عن قيام عدة ممالك، فأصبحت الضرورة الثقافية والاجتماعية تحتم تبرير استمرار القيم والمثل الجرمانية في ثياب مسيحية. ولم تستطع الكنيسة شيئاً حيال هذه المفاهيم والقيم الجديدة، ولهذا عملت على توجيه الطاقات العسكرية باتجاه تنفيذ الحملات الصليبية[٤].

---

(1)انظر نص رواية رالف جلابير Ralph Glaber الذي ورد في:
قاسم، قاسم عبدة: الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية، ص ٤٣، ٤٤.
قاسم، قاسم عبدة: ماهية الحروب الصليبية، ص ٢٦-٣٠.
(2)انظر: قاسم، قاسم عبدة: الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية، ص ٤١،٤٢.
(3) قاسم، قاسم عبدة: ماهية الحروب الصليبية، ص ٤٠.
(4)انظر: ن.ج.، ص ٣٤.

تضافرت مجموعة العوامل السابقة، بابعادها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية، وشكلت أرضية مناسبة أدت إلى استجابة الجماهير الأوروبية لدعوة البابا إربان الثاني[١] في مجلس كليرمون للخروج في أول حرب صليبية ضد المسلمين في الشرق[٢]. فخرج الفلاح المسيحي حاملاً صليبه وفأسه مدفوعاً برغبة دينية حقيقية، وإن كان هذا لا ينفي وجود دوافع مادية، فهو حين كان يفعل ذلك كان يهرب من الفاقة والدين ويحمل في وجدانه أحلام الثراء والخلاص.

ويمكن القول أن الحملات الصليبية هي التطور المنطقي للحج المسيحي إلى فلسطين، إذ لم تكن فكرة الحملة الصليبية تخطر على بال أحد لو لم تكن رحلات الحج قد استمرت منذ فترة طويلة، ذلك أن تكرار الزيارات أدت بالضرورة إلى التفكير بالسيطرة على الأرض التي شهدت ميلاد المسيح وفيها ضريحه، وتخليص هذه الأرض المقدسة من سيطرة المسلمين، ولهذا كان من الضروري تنظيم حملة حج مسلحة، وهي الحملة الصليبية الأولى لتحقيق هذا الهدف، لكن الأمر لم يتوقف عند الحملة الأولى بل استمر الصراع المسلح على مدى قرنين من الزمان، خاصة وأن التنظير للحروب الصليبية شمل قطاعات شعبية واسعة في أوروبا، ويجدر التذكير بأن الحملة الصليبية الأولى أُطلق عليها اسم حملة الشعوب[٣].

وبخصوص مشاركة إنجلترا في الحروب الصليبية، فإن استجابتها الأولية لم تكن فعالة في الحملة الصليبية الأولى، ويمكن القول أن المشاركة الإنجليزية في الحملة الصليبية الأولى كانت هامشية، إذ أن ملك إنجلترا وليم الثاني William II لم يشارك في هذه الحملة، واقتصرت الحملة على مشاركة بعض البحارة الإنجليز مع روبرت Robert دوق

---

(1)إربان الثاني Urban 2 (١٠٣٥-١٠٩٩): بابا روما (١٠٨٨-١٠٩٩) دعا إلى عقد مجمع كليرمون للبحث في إصلاح الكنيسة، وقد خطب فيه حرضاً المسيحيين على حمل السلاح ضد المسلمين، وبذلك بدأت الحروب الصليبية.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ١٠، ص ٦٣.

(2)انظر نص الروايات المتعددة لخطاب إربان في كليرمون في:

قاسم، قاسم عبدة: الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية، ص ٧٣-٨٩.

(3) رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص١٨٩.

نورماندي وشقيق الملك الإنجليزي ولا يمكن بحال من الأحوال القول بأن مشاركة روبرت هي مشاركة للملكية الإنجليزية، لأن الخلافات كانت محتدمة بين روبرت وشقيقه ملك إنجلترا بشأن العرش الإنجليزي وبشأن تبعية نورماندي للملك. وحدثت المشاركة الإنجليزية الفعالة في الحملة الصليبية الثالثة بقيادة الملك ريتشارد قلب الأسد(1).

وخلال الحملات الصليبية تعرض اليهود لإعتداءات في إنجلترا، ويرجع السبب في ذلك إلى كونهم أداة الملك في جمع الضرائب، وكذلك بسبب ما كان لهم من ديون ربوية على الناس، فلهذا كانوا يمثلون رمز الظلم والإجحاف بالنسبة للعامة. كما أن كبار الممولين اليهود شاركوا في تمويل بعض حملات الفرنجة عن طريق إقراض الملوك أو النبلاء الإقطاعيين، وقد اضطر هؤلاء إلى رهن ضياعهم لدى المرابين اليهود لتدبير الأموال اللازمة للحرب، كما أن كثيراً من صغار الملاك والحرفيين كانوا مدينين لليهود، لكل هذا كان من مصلحة كثير من القطاعات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في إنجلترا الهجوم على اليهود كوسيلة للتخلص من الأعباء المالية، إضافة إلى صغار رجال الدين من رهبان فقراء ووعاظ متنقلين. ومن هنا سادت فكرة أنه إذا كان الهدف من الحملات هو استعادة القدس والقضاء على "الكفرة المسلمين" في أقصى البلاد فلم لا تبدأ عمليةتنظيف البيت الداخلي من قتلة المسيح؟!

لكن تأثير الحروب الصليبية في بريطانيا لم يقتصر على وضع اليهود، وإنما تعدى ذلك إلى تأكيد أهمية نزع القدس وفلسطين من المسلمين، في الوعي البريطاني، أو على الأقل فقد زرعت الحملات الصليبية في الوعي الإنجليزي قناعة بأحقية الإنجليز في السيطرة على فلسطين وأماكنها المقدسة. ويمكن القول أن فترة الحروب الصليبية شهدت بداية التطلع الأوروبي العام، بما يشمل الإنجليزي، للاستيلاء على القدس. وفي نفس الوقت فقد شهدت هذه الفترة عملية نبذ متدرج لليهود في إنجلترا انتهت بطردهم من هناك سنة ١٢٩٠ لأسباب عديدة تم التطرق إليها فيما تقدم، ويقف على رأسها الاستغناء عن دورهم التجاري والمالي.

---

(1) انظر عبد القوي، زينب: م. س. ذ.، ص٩٦-١٥٩،
السيد، محمود: م. س. ذ.، ص ٨٤، ٨٥،
رنسيمان، ستيفن: م. س. ذ.، ج١، ص١٦٨،٧٤.

## المبحث السادس: التطورات الرئيسية في إنجلترا منذ طرد اليهود وحتى انتهاء حرب الوردتين (١٤٥٥-١٤٨٥)

شهدت بريطانيا خلال القرون الأخيرة من العصور الوسطى أحداث هامة كان لها أثر كبير على تحديد مستقبل إنجلترا في القرون التالية، ويمكن القول أن تطور الصراع بين إنجلترا وفرنسا يعتبر من أهم هذه الأحداث، حيث ظل العداء يسود بين الطرفين منذ الفتح النورماندي سنة ١٠٦٦، ذلك أن ملوك إنجلترا احتفظوا بممتلكاتهم الواسعة في غرب فرنسا، ووجد ملوك فرنسا في هذا الأمر خطراً عظيماً يهدد وحدة ممتلكاتهم ويخدش كبرياءهم، ولهذا عمل ملوك فرنسا باستمرار على طرد ملوك إنجلترا من ممتلكاتهم في صلب القارة، في حين تمسك الأخيرون بهذه الممتلكات، وناضلوا في سبيل الاحتفاظ بها، مما جعل الحرب بين الطرفين لا تكاد تهدأ إلا لتشتعل من جديد، وذلك حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وتعتبر حرب المائة عام[١] (١٣٣٧-١٤٥٣) المرحلة الأخيرة من مراحل الصراع بين إنجلترا وفرنسا، وانتهت هذه الحرب بهزيمة الإنجليز بحيث لم يبق لهم أية ممتلكات في فرنسا. لكن إنجلترا، التي خرجت مهزومة من الحرب، استفادت من حالة الهدوء وتمكنت من توحيد الجزر البريطانية وتكوين مملكة قوية تتطلع لتكوين إمبراطوريتها فيما وراء البحار بعيداً عن القارة الأوروبية[٢].

وبالفعل فقد تمكنت إنجلترا من التحرك نحو العالم الخارجي، خاصة وأن حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار، التي بدأها البرتغاليون سنة ١٤١٥؛ قد اتسعت وبلغت أوجها مع نهاية القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر. ولم تعد البرتغال وأسبانيا قادرتين على الاستمرار في تزعم هذه الكشوف والاستعمار، الأمر الذي جعل بريطانيا

---

(1) حرب المائة عام هي حرب استمرت على مدى عهود خمسة ملوك إنجليز وخمسة ملوك فرنسيين تصارعوا للسيطرة على فرنسا. وهي عبارة عن سلسلة من الحروب المتعاقبة؛ تخللتها العديد من اتفاقيات الهدنة. وفي نهاية الحروب خسرت إنجلترا أراضيها في أوروبا ما عدا كاليه التي استولى عليها الفرنسيون بعد ذلك سنة ١٥٥٨.

الموسوعة العربية العالمية، ج٩، ص ٢٥٩.

(2)فشر، هارولد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ١٦٩.

ودول الشمال الأوروبي تتزعم هذه الحركة وتستفيد من تراكم الثروة الهائل الذي جـاء بـه توسع التجارة ونهب العالم الجديد، خاصة بعد وصول الإنجليز لشواطئ أمريكا الـشمالية ١٤٩٧ وبداية حركتهم الاستعمارية الواسعة[١].

وخلال القرون الثلاثة الأخيرة من القرون الوسطى حدثت تطورات داخلية هامة مـن أبرزها دعوة الإصلاح الديني التي نادى بها جون وايكليف[٢] John Wyclif؛ حيـث دعـا لتقوية السلطة الزمنية والحد من سلطة رجال الدين، كما طالب بتنحيتهم عـن مناصـبهم إن أساؤوا استخدام الصلاحيات الممنوحة لهم، وشن حملة شعواء على فساد الرهبان. وفي ظل هذه الأجواء قامت ثورة الفلاحين سنة ١٣٨١ التي ساهمت في إضعاف النظام الإقطـاعي. إضافة إلى أن إنجلترا أكملت وحدتها الداخلية بعد انتهاء حرب الوردتين[٣] (١٤٥٥-١٤٨٥) وبدأ بعد ذلك حكم هنري تيودور[٤]، الذي تمكن من إنهاء الحروب، وأسـس لبدايـة تقـدم اقتصادي كبير قام على سواعد الطبقة الوسطى التي استفادت من الكشوف الجغرافية وحركة

---

(1) بخصوص الكشوف الجعرافية انظر:

نوار، عبد العزيز و جمال الدين محمود: التاريخ الأوروبي الحديث، ص ٥١-٨٣.

(2)جون وايكليف John Wyclif (١٣٢٠-١٣٨٤): لاهوتي إنجليزي، ويعتبر من رواد حركة الإصـلاح الديني، هاجم الكنيسة الكاثوليكية في معتقداتها وممارساتها. ودعا رجال الدين إلى التخلي عـن ممتلكـاتهم وأموالهم، كما طالب بالحد من صلاحياتهم، وقام بترجمة الإنجيل.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ١٠، ص ١٧٥.

(3)حرب الوردتين Wars of Roses هي حرب أهلية متقطعة نشبت في إنجلترا بين أسرة يورك York وأسرة لانكستر Lancaster للاستيلاء على العرش. دُعيت بذلك لأن شعار أسرة يورك كان وردة حمراء، أما شعار أسرة لانكستر فكان وردة بيضاء. وقد ثار خلال هذه الحرب اليوركيون سنة ١٤٥٥ على هنـري السادس اللانكستري، وخلعوه سنة ١٤٦١ رافعين إدوارد الرابع اليوركي على العرش. واسـتمر الـصراع على العرش إلى أن استولى سنة ١٤٨٥ باسم أسرة لانكستر هنري تيودور على العرش الذي اتخـذ لقـب هنري السابع. وفي سنة ١٤٨٦ تزوج هنري من إليزابيث ابنة إدوارد الرابع (يـوركي) وبـذلك اتحـدت الأسرتان المتنافستان.

الموسوعة العربية العالمية، ج٩، ص٢٦٢.

(4)هنري السابع Henry 7 (١٤٥٧-١٥٠٩): ملك إنجلتـرا (١٤٨٥-١٥٠٩) وهـو أول ملـوك أسـرة تيودور، ووالد الملك هنري الثامن، في عهده انتهت حرب الوردتين وأقر النظام وعزز التجـارة وتجنـب التورط في الحروب الخارجية.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج ٥، ص ٩٤.

النهضة وإحياء العلوم، فانصرف الناس للعلم والكسب والتجارة، ولم تعد الخلافات السياسية والطائفية تهمهم كثيراً، وأصبح الملك هو صاحب الحل والعقد في الشؤون السياسية. وبلغت انجلترا في عهد أسرة تيودور درجة من الانسجام القومي، وضعف في عهدها النظام الإقطاعي(١).

بعد الاستعراض السابق نخلص إلى أن إنجلترا خرجت من العصور الوسطى موحدة تحت حكم ملكي يسيطر على البلاد، تتطلع لبناء إمبراطورية كبيرة فيما وراء البحار، وكنتيجة للحروب الصليبية بدأ الإنجليز مثل بقية الأوروبيين يتطلعون للسيطرة على القدس وفلسطين و"تخليصها" من يد المسلمين، كما أثارت هذه الحروب موجة من العداء ضد اليهود الذين يُعتبرون حسب العقيدة المسيحية قتلة المسيح، إضافة إلى أن الإنجليز خلال العصور الوسطى، وتحديداً سنة ١٢٩٠، طردوا اليهود بعد أن أذاقوهم أصناف مختلفة من العذاب. وقد جاء هذا القرار، كما تبين سابقاً بعد ضغوط مارسها رجال الدين والبارونات والشعب البريطاني على الملك. وبكلمات أخرى فإن القرون الوسطى قد شارفت على الانتهاء بعد أن أدرك البريطانيون أهمية فلسطين، وبعد أن تكون في بريطانيا ما يشبه الاجماع الكامل على نبذ اليهود. فهل ستبقى فلسطين محل اهتمام، واليهود محل نبذ البريطانيين في العصر الحديث؟!

(1) نوار، عبد العزيز و جمال الدين، محمود: م. س. ذ.، ص١٨٥-٢٠٠.

# الفصل الأول

# موقف بريطانيا من اليهود في عصر الإصلاح الديني

**المبحث الأول: الإصلاح البروتستانتي في أوروبا**

**المبحث الثاني: انفصال إنجلترا عن الكنيسة الكاثوليكية**

**المبحث الثالث: ثورة البيوريتان في إنجلترا**

# الفصل الأول

## موقف بريطانيا من اليهود في عصر الإصلاح الديني

تسلم آل تيودور الحكم في إنجلترا في نهايات القرن الخامس عشر، وتحديداً سنة ١٤٨٥م، عندما تمكن هنري السابع من اعتلاء عرش إنجلترا. وتمكن الملك الجديد من بناء دولة قوية يسيطر ملكها على الأوضاع الداخلية فيها بشكل جيد[١]. وفي عهد هذه الأسرة حدث انفصال الكنيسة الإنجليزية عن الكنيسة الكاثوليكية في روما[٢]، وبدأ عهد الإصلاح البروتستانتي في إنجلترا[٣].لكن الحديث عن الإصلاح الديني في إنجلترا يتطلب توضيح ظروف الكنيسة الكاثوليكية التي انفصلت عنها إنجلترا، ومعرفة حيثيات الإصلاح الديني في أوروبا بشكل عام وكيف تأثرت به بريطانيا، خاصة وأن الإصلاح الديني كان له أثر كبير في تغيير موقف الأوروبيين، ومن ثمّ الإنجليز، من اليهود. وهذا ماسيتناوله الفصل الحالي،حيث

---

(1) Harrison, David: Tudor England, vol. 1, p 26.

(2) الكنيسة الكاثوليكية Roman Catholic Church هي شعبة رئيسية من الكنيسة المسيحية تعتبر البابا رأس الهرمية النصرانية، وقد سيطرت على أوروبا بأسرها خلال القرون الوسطى. وبلغ الهجوم عليها أشده خلال الإصلاح الديني البروتستانتي، لكنها استطاعت تلافي بعض مفاسدها خلال ما عُرف باسم حركة الإصلاح الديني المضاد. وفي القرن العشرين بدأت الكنيسة تعيد النظر في تقاليدها الأيديولوجية وتعمل من أجل الوحدة المسيحية. وهي تؤمن بالأسرار المقدسة Sacraments. والأسرار المقدسة عبارة عن طقوس يعتقد النصارى أن المسيح سنها وأنها تُغدق على الإنسان نعمة الله، وهي عند أتباع الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية سبعة. الأول منها هو سر المعمودية وبه يكتسب الوليد عضويته في الكنيسة ويسقط عنه نصيبه من خطيئة آدم. والثاني: سر الكفارة أو الإعتراف وقوامه أن يعترف صاحب الخطيئة بخطيئته للكاهن. وأن يرضى بالتكفير عنها عن طريق التصدق أو الحج. والثالث هو سر القربان المقدس، ويعني تقديم الكاهن للخبز والخمر واستحالتهما إلى دم المسيح وجسده. وتقديمهما من ثم لجمهور المؤمنين. والرابع فهو سر التثبيت وبه يمسح الكاهن جبين الفتى أو الفتاة (عند سن اثنا عشر عاماً)بالزيت المقدس والبلسم لجعلهما أقوى على مغالبة الإغواء في معركة الحياة. والخامس فهو سر رسامة الكاهن وبه يمنح الأسقف المرشح للكهنوت صفة الكاهن ويجيز له منح الأسرار المقدسة باستثناء سر التثبيت المقصور على الأساقفة. والسادس فهو سر الزواج وبه يربط الرجل والمرأة برباط الزوجية. والسابع فهو سر مسحة المحتضر وهو يقضي بأن يمسح الكاهن المحتضر بالزيت المقدس مشجعاً إياه على الرحلة الأبدية. أما الكنائس البروتستانتية فلا تعترف إلا بسرين اثنين هما سر المعمودية وسر القربان المقدس.
البعلبكي، منير:م. س. ذ.، ج٨ ، ص١٨٣،١٦٢.

(3) Scarisbrick, J.: Henry VIII, pp. 325-330.

سيتطرق المبحث الأول لموضوع الإصلاح البروتستانتي في أوروبا إذ سيبدأ بتمهيد عن المسيحية وما طرأ عليها من انحرافات استدعت قيام حركات الإصلاح الديني. أما المبحث الثاني فسيعالج الكيفية التي انفصلت بها إنجلترا عن الكنيسة الأم في روما. والمبحث الثالث سيتابع تطورات وتفاعلات الإصلاح الديني في إنجلترا والتي بلغت أوجها في منتصف القرن السابع عشر حيث نجح أتباع المذهب البروتستانتي من إثارة موضوع السماح لليهود بالعيش في بريطانيا من جديد.

# المبحث الأول

# الإصلاح الديني في أوروبا

الديانة المسيحية هي ديانة سماوية أُنزلت على عيسى عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، وموجهة خاصة لبني إسرائيل. لكن اليهود لم يقبلوا دعوة عيسى عليه السلام بل ناصبوه العداء(١). ولم تكترث الدولة الرومانية بدعوة عيسى عليه السلام في البداية، لأن دعوته موجهة لبني إسرائيل فقط. لكن الأمر لم يستمر على هذا الحال إذ سرعان ما تبدل الحال، وانتهى الأمر بمحاكمته بتهمة الخيانة والسعي إلى صلبه. ويزعم النصارى أنه صُلب وقُتل(٢)، ولكن الحقيقة أن الله نجّاه من كيدهم ورفعه إليه.

واستمرت الدعوة بعد عيسى عليه السلام، ورفع لواءها حواريوه، واستمرت محاربتهم واضطهادهم من جانب الأباطرة الرومان(٣)، ولم يُرفع الاضطهاد عنهم إلا بصدور مرسوم ميلان ٣١٣(٤) حيث تم الاعتراف بالمسيحية من قبل الإمبراطورية الرومانية. وخلال تلك القرون الثلاثة كان هناك صراع يدور بين حواريي عيسى عليه السلام والجماعات المؤيدة لهم، وبين تيار نصراني آخر بقيادة بولس(٥) (٥-٦٧م) Paul، الذي كان يهودياً متعصباً ضد النصارى، وممن شاركوا في اضطهادهم(٦)، ثم انقلب فجأة ليدافع عنهم مدعياً أنه تلقى وحياً ضمنّه فيما يُعرف بالرسائل المنسوبة إليه. واستمر هذا الصراع حتى تغلب تيار بولس وأُسكت صوت التوحيد. وظهرت نصرانية مستندة إلى تعاليم بولس التي استمدها من

---

(1)مظهر، سليمان: قصة الديانات، ص٣٩٨.

(2) لوريمر، جون: تاريخ الكنيسة، ج١، ص٤١.

(3) (Artz, Frederick: The Mind of The Middle Ages 200-1500, P61.

(4) انظر نص المرسوم: عاشور، سعيد عبد الفتاح: م. س. ذ.، ج١، ص٦٩٧.

(5) بولس هو أحد أكبر رؤساء الكنيسة المسيحية القدامى. اضطهد النصارى في بادئ الأمر ثم تنصر وانصرف للتبشير بالديانة الجديدة، وبخاصة في آسيا الصغرى واليونان. اعتقل في بيت المقدس ثم حوكم وأُعدم في روما في عهد نيرون.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٧، ص٢١٤.

(6) سعيد، حبيب: سيرة حياة بولس الرسول، ص١٧-٢١.

الفلسفات القديمة والديانات الوثنية. فأدخل في النصرانية تأليه المسيح وعقيدة التثليث وغيرها من العقائد، لكن النصارى يعتبرون بولس من أهم وأعظم شخصياتهم التاريخية والدينية، وينسبون له حوالي كتابة ثلث العهد الجديد [١].

قرر بولس أن النصرانية ليست مذهباً يهودياً خاصاً ببني إسرائيل، بل هي دين جديد وأن عليها أن تجعل دعوتها مفتوحة لغير اليهود[٢]، وورد في الكتاب المقدس في سفر أعمال الرسل ( ٩: ١٥) أن الله أمر بولس بتوسيع الدعوة لتشمل الأمم " فأمره الرب: اذهب فقد اخترت هذا الرجل ليكون إناء يحمل اسمي إلى الأمم والملوك وبني إسرائيل". وتساهل بولس في الكثير من التشريعات والعقائد والطقوس، وجاء بنصرانية جديدة خالف بها دعوة عيسى عليه السلام، وما زال العالم المسيحي، في معظمه، يعيش على معتقدات هذا الرجل الذي حرّف بها النصرانية الموحدة[٣].

وبعد ذلك اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية على مذهب بولس. ومنح بولس وأتباعه حرية العبادة، كما أن المجامع النصرانية التي انعقدت تحت سلطة الإمبراطور ووفقاً لتوجيهاته، انحازت لآراء بولس وطاردت الموحدين والمخالفين للكنيسة في الرأي[٤]. وبحلول سنة ٣٩٢ أصبحت النصرانية الديانة الرسمية للدولة الرومانية وانتشرت على إثر ذلك في أوروبا الغربية جميعها، بل إن تاريخ أوروبا ارتبط في مساره العام بالنصرانية. ولم يلبث أن بدأ الضعف يدب في أوصال الإمبراطورية الرومانية. وفقد آخر إمبراطور روماني سلطته سنة ٤٧٦، وحينها انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: الشرقية والغربية. واستولى على الأخيرة القبائل الجرمانية التي قسمتها إلى ممالك صغيرة، لكن أوروبا الغربية بقيت موحدة دينياً. وتبع الانقسام السياسي انقساماً دينياً، فأصبح هناك كنيسة شرقية مركزها القسطنطينية، وأُخرى غربية مركزها روما. ويُعرف أتباع الكنيسة الشرقية بالأرثوذكس،

---

(1) لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج١، ص٦١.

(2) سعيد، حبيب: م. س. ذ.، ص ٨٧.

(3) زكي، أحمد: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ص٧٢-٧٦.

(4) لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٣، ص٢١.

وينتشرون في روسيا وبعض دول البلقان بينما يُعرف أتباع الكنيسة الغربية بالكاثوليك، ويعيشون في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال.

وفي العصور الوسطى طغت سلطة الكنيسة، ومارست أبشع أنواع الاضطهاد والظلم. فبالإضافة إلى ما أدخلته الكنيسة من تحريف في العقائد وانحرافات أعطتها قدسية من خلال المجامع الكنسية، فقد مارست الكنيسة أنواعاً من الطغيان الروحي والعقلي، فجعلت لنفسها حق التفرد بمعرفة أسرار العقيدة وفهم الكتاب المقدس، وربطت الكنيسة إيمان الناس بها من غير فهم ولا مناقشة، فحجبت العقول عن التفكير وفهم الدين، بل منعت الناس من التفكير في مسائل الكون والحياة وفقاً لما يقتضيه العلم من الملاحظة والمشاهدة. ونشأت دواوين التحقيق تصادر كل رأي مخالف لما تقرره الكنيسة من أفكار. ومارست الكنيسة ألواناً من الطغيان المادي بما فرضته من ضرائب وإتاوات على الأراضي والناس. وأعطت الكنيسة لنفسها حق منح صكوك الغفران للمسيحيين مقابل دفعهم مبالغ مالية لقاء ذلك، وساد في أوساط الكنيسة نوع من الفساد الأخلاقي والانغماس في الترف والملذات[١].

بلغ النفوذ البابوي ذروته في القرن الثاني عشر والثالث عشر، لكن مركز البابا تعرض لهزة عنيفة عندما جمع بين كونه صاحب السلطة الدينية الروحية وبين كونه حاكماً دنيوياً، وأصبح له بلاط ملئ بالترف والانحراف. ثم فقدت البابوية هيبتها في القرن الرابع عشر خاصة بين سنتي ١٣٠٥-١٣٧٧ عندما اعتلى عرش البابوية باسم البابا كليمنت الخامس[٢] (١٢٦٤-١٣١٤) Clement V، ورأى البابا الجديد أن يبقى في فرنسا وتمت مراسم توليته في ليون بدلاً من روما، وجعل مدينة أفينون[٣] Avignon مقراً له، وبقيت البابوية هناك خاضعة للملكية الفرنسية حوالي اثنتين وسبعين سنة. وبذلك فقدت البابوية

---

([1]) ن. م.، ج٤، ص٢٧-٤٠.

([2]) كليمنت الخامس هو بابا روما (١٣٠٥-١٣١٤) نقل مقر البابوية من روما إلى أفينون في فرنسا سنة ١٣٠٩، واتهم بالانصياع لرغبات العرش الفرنسي وبيع المناصب بالمال. موسوعة المورد، ج٣، ص٣٩.

([3]) أفينون مدينة في الجزء الجنوبي الشرقي من فرنسا. تقع على نهر الرون، أقام فيها البابوات (١٣٠٩-١٣٧٧) وبلغ عددهم سبعة. كما أقام فيها البابوات في عصر الانشقاق الكبير(١٣٧٨-١٤١٧). البعلبكي، منير: م. س.ذ.، ج١، ص٢٢٤.

الكثير من هيبتها وزعامتها العالمية[١]. وازداد انهيار مركز البابوية سنة ١٣٧٨م عندما حدث الانقسام البابوي العظيم (١٣٧٨-١٤١٧) وتم انتخاب بابا في مدينة أفينون الفرنسية بالإضافة إلى بابا روما[٢].

ورغم أن حالة الانقسام قد انتهت، وتوحدت البابوية من جديد في روما وحُسم الخلاف وانتهت حالة الانقسام. لكن المشكلة لم تنته الأمر الذي دفع المفكرين للبحث في الموقف والمطالبة بالإصلاح الديني. وقد مرت عملية الإصلاح بمرحلتين. وتتمثل المرحلة الأولى في محاولات إصلاح الكنيسة من الداخل، حيث برزت مجموعة من المصلحين الذين فضحوا فساد الكنيسة وانتقدوا احتكارها لتفسير نص الكتاب المقدس، وساهموا في إحياء اللغة العبرية باعتبارها المفتاح الرئيسي لفهم الكتاب المقدس، كما قاموا بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات المحلية في بعض الدول الأوروبية، ومن أشهر هؤلاء المصلحين جون وايكليف، وإرازموس[٣] (١٤٦٦-١٥٣٦م). وكان من نتائج دعوات الإصلاح في المرحلة الأولى أن خلقت أجواءً معارضة لمسلكيات الكنيسة والكثير من مفاهيمها، رغم أن هؤلاء المصلحين لم يقصدوا الخروج على الكنيسة الكاثوليكية، وكانوا يعتقدون بسمو مكانة البابا[٤].

ولما فشلت عملية الإصلاح من الداخل، بدأت المرحلة الثانية من الإصلاح الديني إذ ظهر مصلحون يطالبون بالإصلاح إما قسراً أو اختياراً، وكان مارتن لوثر أول زعمائها

---

(1) Mollat,G.: The popes at Avignon, PP. 335-343.

لوريمر، جون: م. س.ذ.، ج٤، ص٣١.

(2) البطريق، عبد الحميد: التاريخ الأوربي الحديث، ص ٨٩.

لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص٣٢.

(3) Desiderius Erasmus هو رجل دين وفيلسوف هولندي، يعتبر أحد وجوه الحركة الإنسانية في عصره. تلقى العلم في باريس، زار ألمانيا وإنجلترا أكثر من مرة. وحاضر في جامعتي أكسفورد وكامبردج. قاوم الاستبداد والتعصب المذهبي، وهو من دعاة الإصلاح الديني، ومن أشهر آثاره تجمة لاتينية للعهد الجديد سنة ١٥١٦م.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٤، ص ٦٧.

(4) بريتنتون، كرين: تشكيل العقل الحديث، ص ٧٨.

انظر: لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص٥١-٦١.

وأبرزهم وأشدهم تأثيراً في تاريخ الإصلاح الديني، وقد بدأت حركته في ألمانيا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن لوثر كان معاصراً لعدد من المصلحين الذين يمثلون الاتجاه الإصلاحي الأول الذي يركز الاهتمام على الإصلاح من الداخل مثل إرازموس. لكن تضافرت مجموعة من العوامل ساعدت مارتن لوثر على تبني توجهاً جذرياً، كما هيّأت الأجواء أمام ألمانيا لكي تكون مهداً لحركة الإصلاح الديني الجذري. ويتمثل أول هذه العوامل في ظهور عدد من المفكرين أمثال إرازموس ، الذين انتقدوا البابوية واهتموا باللغة العبرية وترجمة الكتاب المقدس قبل أن يبدأ لوثر حركته، كما أن اختراع الطباعة في ألمانيا ساعد على نشر أفكارهم(١).

أما العامل الثاني فيرجع إلى انقسام ألمانيا إلى ولايات كثيرة تتبع إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة من الناحية الإسمية فقط. الأمر الذي ساعد على انتشار أفكار لوثر. والسبب الثالث فيعود إلى أن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والروحية تجمعت في مطلع العصور الحديثة. والطبقة المتوسطة كانت تحاول تأكيد مكانتها وترسيخ حقوقها في المجتمع الألماني(٢). ويضاف إلى ما تقدم سبباً رابعاً يتعلق بوجود طبقات اجتماعية مثل الفرسان والنبلاء الذين كانوا ساخطين بسبب ما آلت إليه ظروفهم في بداية العصور الحديثة، حيث تراجعت مكانتهم كنتيجة للتطورات الاقتصادية إذ أصبحت التجارة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي بدلاً من الزراعة، الأمر الذي جعلهم يؤيدون أي عمل معادي للكنيسة لأن من شأنه أن يعوضهم بعض ما خسروا جراء التطورات الاقتصادية(٣). ويتضح مما تقدم مدى الإجماع في ألمانيا ضد الكنيسة الكاثوليكية، ولهذا يمكن القول أن حركة مارتن لوثر جاءت كحركة تعبير جماعية عن إرادة الشعب في تغيير الأوضاع الدينية السائدة.

ظهر مارتن لوثر في هذه البيئة القلقة فيما يتعلق بأمور الدين والدنيا والمليئة بالشكوك تجاه الكنيسة وكل الفئات المسيطرة على موارد الشعب الألماني. ولولا هذه الظروف والأجواء التي أحاطت بجهود لوثر لما كان باستطاعته إلا أن يكون "شهيداً جديداً على

---

(1)Elton, G.: Reformation Europe, PP.31,33.

(2) Ibid., P.24.

(3) Ibid., P.25.

مقصلة الكنيسة" كما ذكر المؤرخ جون ديلبنبرغر[١]. وأبدى اهتماماً في بداية حياته بالتأمل في مسائل العقيدة المسيحية وكيفية تكفير الذنوب. وفي سنة ١٥١٠م زار روما واطلع على فساد البابوية فأصيب بصدمة، وزادت شكوكه وتعاظم بحثه إلى أن اهتدى إلى نظرية بعثت في نفسه الهدوء والرضا والطمأنينة[٢]. وتتلخص نظريته في أن الإيمان المطلق برحمة الله، وإسداء الحمد والشكر من قلب طاهر سليم إلى العليّ القدير تكفل النجاة من العقاب، أما الطقوس فليست كافية للخلاص من الخطايا. وسُمّيت نظريته بعقيدة التبرير بالإيمان[٣].

وعاش لوثر عدة سنوات يبشر بهذه العقيدة بين تلاميذه بهدوء. وفي سنة ١٥١٧م أرسل البابا ليو العاشر[٤] الراهب تتزل[٥] ليبيع صكوك الغفران[٦] في مقاطعة سكسونيا شمال ألمانيا حيث يعيش لوثر، فقرر الأخير أن يعلن احتجاجه على الملأ. وانتهز الاجتماع

---

([1]) Dillenberger, John (editor): Martin Luther Selections from his Writings, p xii.

([2]) Elton, G.: op. cit., P. 17.

([3]) Dillenberger, John (editor): op. cit., p xxv.

([4]) ليو العاشر Leo X (١٤٧٥-١٥٢١) هو بابا روما (١٥١٣-١٥٢١) رعا حركة الفن والأدب وجعل من روما عاصمة للثقافة الأوروبية. وهو الذي أرسل الراهب تتزل لبيع صكوك الغفران في ألمانيا.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٥، ص١٢٠.

([5]) هو الراهب جوهان تتزل Johan Tetzel (١٤٦٥-١٥١٩) راهب ألماني أثارت حملته لبيع صكوك الغفران نقمة لوثر. وأدت إلى نشوء أخطر أزمة في تاريخ الكنيسة الغربية وظهور حركة الإصلاح الديني.
ن. م.، ج٩، ص١٩٢.

([6]) صكوك الغفران Indulgences إن سر الكفارة أو الإعتراف يعنى بالخطايا التي يغفرها الله للآثم بعد توبته واعترافه. والحل الذي يتلاقاه الآثم من كاهنه هو الدليل على هذا الغفران من جانب الله، ولكن تبقى بعد ذلك العقوبة الزمنية التي يتعين على الآثم أن يخضع لها إما في هذا العالم أو عن طريق الأعمال الصالحة التي يفرض عليه القيام بها أو في العالم الآخر. وهنا يجيء دور صكوك الغفران وهي صكوك كان البابا يصدرها لتصرف، إذا جاز التعبير من خزانة النعمة التي لا تنفد فتحل الآثم من تلك العقوبة الزمنية. وخزانة النعمة هذه هي مجموع فضائل السيد المسيح والقديسين والشهداء وقد نشأت عن الرصيد المتراكم نتيجة لتحمل هؤلاء جميعاً عقوبات أكبر مما تقتضيه آثامهم إن صح أنهم قد أثموا.فكان البابا يستخدم هذا الرصيد لمصلحة من تعوزهم الحسنات والأعمال الصالحات. ولم تثر هذه الصكوك بادئ الأمر أي انتقاد، خاصة وأنها بدأت مع فترة الحروب الصليبية بحيث يدفعها من لا يريد القتال في الأرض المقدسة، لكن عندما حدث إكراه الناس على استخدامها ثارت نقمة أدت إلى قيام حركة الإصلاح الديني.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.،ج٥، ص١٨٤.

العادي في كنيسة فتمبرج، وعلّق على باب الكنيسة احتجاجاً طويلاً مكوناً من ٩٥ مادة ضد صكوك الغفران[١]. وجاء في هذا الاحتجاج أن الغفران منوط برحمة الله وحدها، وليس من شأن البابا. ثم دعا من شاء من العلماء لمناقشة الحجج التي ساقها، وأكد لوثر أن الكتاب المقدس هو المرجع الأساسي في تفسير العقائد، وأن كل شخص مثقف باستطاعته أن يقرأه، وهو حر في تفسيره، وليس للبابا الحق في احتكار تفسيره، وكذلك يجب إباحة الزواج للقسس، وإخضاع رجال الدين للسلطة الزمنية[٢].

وفي مقابل تصرف مارتن لوثر أصدر البابا ليو العاشر قراراً بالحرمان ضد لوثر، فقام لوثر بحرق القرار علانية أمام الناس في فيتمبرج، وبذلك انقطعت كل صلة بين لوثر والكنيسة، وتفاقم الأمر حتى أن البابا طلب من الإمبراطور شارل الخامس أن يلقي القبض على لوثر وقمع حركته، وتنفيذ قرار الحرمان الصادر ضده باعتباره مارقاً خارجاً على المسيحية. وصدر حكم بإهدار دم لوثر عام ١٥٢١ولولا تدخل الأمير فريدريك حاكم سكسونيا ووضعه تحت حمايته في قلعة حصينة شمال ألمانيا، وخلال مكوثه في القلعة ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية[٣]، وكان لهذه الترجمة أثر كبير في إحياء الأدب الألماني ووعي الناس بالدين. واستفادت حركة الإصلاح الديني من الحماية التي وفرها أمراء شمال ألمانيا وعلى رأسهم فريديك حاكم سكسونيا خاصة وأن الإمبراطور شارل الخامس لم يتعامل بجدية بشأن تنفيذ قرار الحرمان الذي أصدرته الكنيسة بحق مارتن لوثر بسبب الخلافات بين الإمبراطور والبابا[٤]، وبسبب انشغال الامبراطور في حرب الدولة العثمانية على الحدود الشرقية لامبراطوريته[٥].

استفادت حركة الإصلاح الديني في ألمانيا من عدم جدية الإمبراطور في مواجهتها، وأخذت تمتد وتكتسح معظم طبقات المجتمع الألماني. وانفجرت عدة ثورات مؤيدة للإصلاح

---

(1) Dillenberger, John: op. cit., pp 489-500
Elton, G: op. cit., P16.

(2) برينتون، كرين: م. س. ذ.، ص٩٢،٩٣.

(3)Elton, G.: op. cit., P52.

(4 ) لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٣، ص١١٥، ١١٦.

(5)Elton, G.: op. cit., P. 53.

الديني، وساهمت في تحريكها الظروف الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة، واتخذت العنف وسيلة للوصول إلى أهدافها، فقامت ثورتان خطيرتان تصادم الشعب مع السلطة خلالها مما أزعج لوثر وجعله يخرج من مخبئه ليعلن أنه برئ من اتخاذ العنف وسيلة لتحقيق الهدف. وكان أهم هذه الثورات حرب الفرسان وثورة الفلاحين(١).

بخصوص حرب الفرسان، فإنهم لما ظهرت الحركة اللوثرية رأوا ضرورة انتهازها كفرصة ثمينة لاسترداد نفوذهم وثرائهم عن طريق ما نادى به لوثر من استقلال الكنيسة الألمانية عن الكنيسة في روما من الناحية المالية والإدارية. ولذلك قاموا بثورة عارمة دمروا خلالها محتويات الكنائس واعتبروا أن البابا غريب عن ألمانيا وأنه يبتز أموالها بغير وجه حق، وفي نفس الوقت اتخذ الفرسان تلك الثورة وسيلة للتخلص من أعدائهم الأمراء. لكن فشلت حركة الفرسان، وانتهوا كعامل مهم في الحياة الألمانية. واعتبر البابا أن لوثر هو المسؤول، وكذلك السلطة الألمانية اعتبرته مسؤولاً عما جرى، والأمراء أصبحوا من أعداء الثورة. وكان ذلك إيذاناً بحدوث انقسام بين طبقات المجتمع الألماني. وانتهز البابا الفرصة لكي يطالب من جديد بوجوب تطبيق قرار الحرمان ضد لوثر(٢).

وكذلك وجد الفلاحون في تعاليم لوثر فرصة يجب استغلالها للمطالبة برفع المظالم الواقعة عليهم، سواء من طرف السلطة الدينية أو الزمنية، وتتمثل هذه المطالب في التخلص من سيطرة الإقطاع على الإنتاج الزراعي، وتخفيف الضرائب المفروضة على المزارعين، وتحديد إيجارات الأراضي الزراعية بشكل عادل، والعمل على إيجاد مجتمع مسيحي عادل، ومنحهم الحق في اختيار رجال الدين في مجتمعاتهم. وثورة الفلاحين عبارة عن مجموعة من الثورات التي تفجرت سنة ١٥٢٤م في معظم أنحاء ألمانيا، واتخذت طابعاً عنيفاً، لكن الأمراء والنبلاء أخمدوها بلا رحمة، وألقوا القبض على زعمائها وأعدموهم، وانتهت الثورة سنة ١٥٢٥م ولم تجن طبقة الفلاحين منها إلا الدمار(٣).

---

(1)Elton, G.: op. cit., P٥٣.

(2) البطريق، عبد الحميد: م. س. ذ.، ص ٩٤-٩٧.

(3) ن. م.، ص٩٨.

خرج لوثر من مخبئه، ودعا الناس إلى الطاعة التامة للسلطات ونبذ وسائل العنف، وحرّض الأمراء على عدم التهاون في قمع الثورة. لكن الأمراء حقدوا عليه لأن تعاليمه هي التي غرست التطلع للحرية والمساواة في نفوس الناس، فاستعدوا عليه الإمبراطور شارل الخامس من جديد، فاستجاب لهم بسبب تفاقم الحال، وخوفاً من قيام ثورات جديدة. لكن الإمبراطور كان منهمكاً في صراع خارجي ضد فرانسوا الأول[١] (١٥١٥-١٥٤٧) Francois I ملك فرنسا، وضد الأتراك الذين يهددون ممتلكات الإمبراطور في النمسا والمجر. واكتفى الإمبراطور شارل الخامس بالتهدئة الداخلية في ألمانيا حتى يضمن إرسال الإمدادات للمساعدة على وقف تقدم الأتراك، ولهذا ظل مدة طويلة لا يستطيع اتخاذ موقف حاسم ضد اللوثرية مما شجع أنصارها وقوّى ساعدهم. وكذلك كانت علاقة الامبراطور بالبابا على أسوأ حال، خاصة عندما دعا البابا كليمنت السابع[٢] Clement VII في مايو ١٥٢٦م إلى تكوين حلف مقدس ضد الإمبراطور بقصد القضاء على نفوذه في إيطاليا[٣].

ساهم مارتن لوثر في إشاعة جو التسامح تجاه اليهود في بادئ الأمر، حيث تصور أن بإمكانه هداية اليهود وتنصيرهم. وهاجم لوثر المسيحيين الذين يضطهدون اليهود، وأدان اضطهادهم من قبل الكنيسة الكاثوليكية محتجاً بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد، واعتبر أن اليهود على حق في رفض المسيحية الكاثوليكية. وقد وردت هذه الأفكار في كتابه الذي نشره سنة ١٥٢٣ بعنوان "عيسى ولد يهودياً". ودفاع لوثر عن اليهودية هو جزء من نزعته التبشيرية، أي أنه غير مهتم باليهود في حد ذاتهم وإنما مهتم بهم بمقدار إمكان تنصيرهم، فهو يختتم كتابه هذا بقوله: "إذا أردنا أن نجعلهم خيراً مما هم فعلينا أن

---

([1]) فرانسوا الأول(١٤٩٤-١٥٤٧) ملك فرنسا (١٥١٥-١٥٤٧) أحدث تغييرات اقتصادية مهمة في بلاده، حاول السيطرة على إيطاليا فجرح في الحرب ووقع في الأسر سنة ١٥٢٥.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٤، ص١٦٣.

([2]) كليمنت السابع (١٤٧٨-١٥٣٤) هو بابا روما (١٥٢٣-١٥٣٤) حدثت في عهده كوارث طبيعية في عهده فعُرف ب "بابا سوء الطالع". قدم مصالحه الذاتية على كل شيء. وقع في أسر الإمبراطور شارل الخامس. ورفض تطليق كاترين الأرجوانية زوجة هنري الثامن.

ن. م.، ج٣، ص٣٩.

([3]) لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص١٥٣.

نعاملهم حسب قانون المحبة المسيحي لا قانون البابا. علينا أن نحسن وفادتهم، وأن نسمح لهم بأن يتنافسوا، وأن نتيح لهم الفرصة لفهم الحياة والعقيدة المسيحية، وإذا أصر بعضهم على عناده فما الضرر في ذلك؟ فنحن أنفسنا لسنا جميعاً مسيحيين صالحين"(١).

لكن موقف لوثر تغير في أواخر الثلاثينات، إذ اتخذ موقفاً متطرفاً من اليهود يفوق في تطرفه موقف الكنيسة الكاثوليكية. ونشر سنة ١٥٤٢م كتاب بعنوان "اليهود وأكاذيبهم"، وتضمن هذا الكتاب سيلاً من الشتائم والهجوم على اليهود إذ وصفهم بأنه خبثاء ولصوص وقطاع طرق وديدان مقززة. واستخدم لوثر في كتابه كل الاتهامات التي كانت توجه إلى اليهود في العصور الوسطى، مثل تهمة الدم وتسميم الآبار، واتهمهم بأنهم يلعنون المسيحيين في معابدهم، ووصف اليهودية بأنها أصبحت شكلاً من أشكال الوثنية. كما أوصى لوثر بضرورة إحراق معابد اليهود وتدمير منازلهم، وأن يُجمعوا كالقطيع في الحظائر حتى يتحققوا من أنهم ليسوا أسياداً في بلادهم وإنما غرباء في المنفى(٢). ورغم ذلك فقد دعا لوثر في نفس الكتاب إلى عدم إعاقة اليهود عن العودة إلى أرضهم في "يهودا" أي فلسطين. وأوصى بتزويدهم بكل ما يحتاجونه في رحلتهم، لا لشئ إلا للتخلص منهم لأنهم عبء ثقيل على المجتمعات الأوروبية(٣).

وخلاصة القول بشأن موقف مارتن لوثر من اليهود يتمثل في أنه بدأ ينظر إليهم، ويشيع هذه النظرة في الرأي العام الأوروبي، بطريقة مختلفة عن نظرة الكنيسة الكاثوليكية، بحيث قدّم لوثر تفسيراً مباشراً لنصوص العهد القديم. ورغم أنه بدأ في كتاباته متعاطفاً مع اليهود، وانتهى متشائماً منهم حاقداً عليهم، إلا أنه طالب بتسهيل أو على الأقل عدم إعاقة عودتهم إلى فلسطين.

---

(1) المسيري ، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٣، ص١٥.

(2) Luther, Martin: On The Jews and their Lies, p 72.

(3)Ibid, p 33.

يلي مارتن لوثر من حيث الأهمية في حركة الإصلاح الديني في أوروبا رجل الدين السويسري أولريخ زوينجلي[١] (١٤٨٤-١٥٣١) Ulrich Zwingli، وكان لحركته الإصلاحية طابع مختلف عن تلك الموجودة في ألمانيا، وجمع بين معارضة الكنيسة الكاثوليكية وبين المطالبة بالإصلاح السياسي والاجتماعي، والتنديد بما يقترفه الحكام من مظالم تجاه الطبقات الفقيرة من الشعب. وعارض بيع صكوك الغفران كما فعل لوثر، لكنه اختلف عن لوثر في بعض المسائل الدينية مثل مسألة القربان والنظرة للكنيسة، حيث رأى زوينجلي الكنيسة مؤسسة ديمقراطية ينتخب أعضاؤها هيئة تفصل في المسائل المتعلقة بالشؤون الكنسية، بينما اعتبر لوثر أمير الولاية أو حاكم البلاد رئيساً أعلى والمهيمن على شؤون الكنيسة. وقد شارك زوينجلي في الصراعات التي قامت بين الكاثوليك والبروتستانت في سويسرا، وقُتل سنة ١٥٣١وأُحرقت جثته، وبعد وفاته تقرر احتفاظ كل مدينة من المدن السويسرية بعقيدتها[٢].

واعتبر زوينجلي أن تاريخ الكنيسة لا يقتصر على فترة عيسى عليه السلام وإنما يعود لآدم، وأن سيدنا إبراهيم قام بتجديد دور الكنيسة. وبالنسبة للعلاقة بين المسيحيين واليهود فيقول: "يجب أن نكون نحن واليهود شعب واحد"[٣].

وفي هذه الأثناء برز رجل الدين الفرنسي الإصلاحي جون كالفن، قرأ كالفن كتابات لوثر وتأثر بها. وغادر فرنسا سنة ١٥٣٦ بسبب اضطهاد فرانسوا الأول للبروتستانت، واستقر في سويسرا حيث أصدر هناك كتابه المشهور بعنوان "تنظيمات الدين المسيحي" وهو خلاصة التعاليم البروتستانتية[٤]. اتفق مع البروتستانتية في الاعتماد على الكتاب المقدس وحده، وأن المسيح وحده هو الذي يشفع عند الله، وأن التبرير بالإيمان وليس بالأعمال. لكن الكالفنية اختلفت عن اللوثرية في مسألة الغفران، إذ كان كالفن يعتقد أن الغفران أمر قدري،

---

([1]) هو مصلح بوتستانتي سويسري. تأثر بتعاليم مارتن لوثر، لكنه اختلف معه خاصة حول طبيعة القربان ذاهباً إلى أن له قيمة رمزية ليس أكثر. موسوعة المورد، ج١٠، ص٢١٥.

([2]) Courvoisier, Jaques: Zwingli, A reformed Theologian, pp17-23.

لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص١٦٤-١٦٩.

([3]) Courvoisier, Jaques: op. cit., p 50.

([4]) برينتون، كرين: م. س. ذ.، ص١٠٦.

والخلاص منحة يقدمها الله لمن يشاء بصرف النظر عن فضائلهم ونقائصهم. ورفض كالفن خضوع الكنيسة للدولة، أو أن يسن الملك تشريعات خاصة بالدين، وكان كالفن يطمح إلى قيام مجتمع مسيحي روحاني(١)، بينما لوثر جعل الملك أو الأمير الرئيس الأعلى للكنيسة.

أما جون كالفن فلا يتسم فكره بهذا الوضوح والعنف، فلم يكن لديه علاقة كبيرة باليهود سواء في فرنسا أو في سويسرا. لكن أثر كالفن على اليهود يظهر بشكل غير مباشر من خلال اهتمامه بالعهد القديم والدعوة إلى تعميم قراءته وتفسيره اهتماماً كبيراً، وقد ساهم هذا الأمر في نشر أساطير التوراة المتعلقة باليهود والتي تتحدث عن إقامة مملكة الله في الأرض، وعودة اليهود إلى الأرض المقدسة في فلسطين(٢).

يتضح مما تقدم أن حركة الإصلاح الديني في أوروبا انطوت في محصلتها النهائية على ثلاثة أبعاد رئيسية. ويمكن تقسيم هذه الأبعاد إلى:

١-البعد القومي، الذي يتمثل في تحقيق الاستقلال الديني وما ينطوي عليه من استقلال سياسي وفوائد مالية للبلد.

٢-البعد الإصلاحي الداخلي في كل دولة وفي داخل الكنائس أيضاً.

٣-والبعد الثالث هو المتمثل في الانفتاح على العهد القديم المترجم الأمر الذي حسّن صورة اليهود في أوروبا.

وبالطبع فإن إنجلترا جزء من أوروبا، فهل كان للإصلاح الديني أي أثر على موقف البريطانيين من اليهود؟! هذا ما سنناقشه في المبحثين التاليين.

---

(1) Calvin, Jean: Theological Treatises, PP 26-33.

لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص١٩٨- ٢٠٧.

(2)Calvin, Jean: op. cit., P35.

## المبحث الثاني

## انفصال الكنيسة الإنجليزية عن روما

تمكن مؤسس أسرة ثيودور هنري السابع (١٤٨٥-١٥٠٩م) من بناء دولة قوية حيث أنهى عهداً طويلاً من الحروب الإقطاعية والنزاع بين الأسر الإقطاعية، وكان عهده فاتحة لعصر تقدم اقتصادي كبير قام على سواعد الطبقة الوسطى، التي استفادت من الكشوف الجغرافية وحركة النهضة وإحياء العلوم، فانصرف الناس للكسب والعلم والتجارة، وأصبح الملك صاحب الحل والعقد في الشؤون السياسية(١). كما استطاع هنري السابع من استخدام البرلمان أداة طيعة في يده، وأصدر مجموعة من القوانين لتدعيم الملكية مثل قانون تأسيس غرفة النجم Star Charte سنة ١٤٨٧م(٢)، وهي محكمة ذات صلاحيات واسعة لمراقبة تصرف النبلاء ومحاكمتهم، وقانون لمحاكمة المعارضين لحكومة الملك(٣). وهكذا استطاع هنري السابع أن يؤسس ملكية ذات سلطة مطلقة على الصعيد الداخلي.

أما على الصعيد الخارجي فلم يهتم هنري السابع بالحروب، بل اتجه للتقارب مع أسبانيا عن طريق مصاهرة ملكها. ففي سنة ١٥٠١ زوّج هنري السابع ابنه آرثر بالأميرة كاترين بنت فرديناند ملك أسبانيا(٤). ولم يدم هذا الزواج طويلاً إذ مات آرثر بعد خمسة شهور من زواجه، فعقد هنري السابع زواجاً ثانياً لابنه هنري (الذي عُرف بعد ذلك باسم الملك هنري الثامن) على كاترين زوجة أخيه الراحل، وكان ذلك منافياً لقوانين الكنيسة، ومع ذلك فقد منحه البابا إذناً بذلك(٥).

وعندما تولّى هنري الثامن (١٥٠٩-١٥٤٧م) Henry viii الحكم بعد والده ركز اهتمامه على العلاقة بالكنيسة في روما، ويمكن القول أن الإصلاح الديني يُعتبر أبرز ما حدث في عصر هنري الثامن، وبدأ هذا الانفصال سياسياً ثم تحوّل دينياً. وكان هنري الثامن

---

(1) Mackie, J.: The Earlier Tudors 1485-1558, PP. 189-195.

(2)Adams, George Burton (editor): op. cit.,P. 214.

(3) Ibid, P. 215.

(4) Mackie, J.: op. cit., P. 173.

(5)Scarisbrick, J.J: op. cit, P. 218 .

كاثوليكياً متعصباً عارض أفكار لوثر في البداية، وكتب رسالة بهذا الشأن ضـمّنها أفكـاره سنة ١٥٢١ فمنحه البابا "لقب حامي حمى العقيدة"[١]. وقد تبنى هنري الثامن هـذا الموقـف المعارض للإصلاح الديني رغم أن عصره شهد وجود عدد من المصلحين الـذين وجهـوا انتقادات للكنيسة الكاثوليكية وطالبوا بإصلاحها[٢].

بدأ هنري الثامن يعيد تقييم علاقته بالكنيسة الكاثوليكية عندما طلب من البابا كليمنـت السابع Clement vii أن يُطلّق له زوجته كاترين Cathrene التي أنجب منها ابنـة وحيـدة تُدعى ماري Mary، فهنري لم يتزوج كاترين عن حب، وكان مغرماً بالوصيفة آن بـولين لكن البابا كليمنت السابع كان قد وقع في ذلك الوقت في أسر الإمبراطور شـارل الخـامس، الأمر الذي جعل البابا يمتنـع عـن الموافقـة علـى الطـلاق لأنـه لا يريـد إغـضاب الإمبراطور.حاول توماس ولزاي Thomas Wolseyوزير الملك هنري الثامن استـصدار أمر من روما بالطلاق لكنه فشل فحقد عليه الملك وعزله[٣].

عيّن الملك هنري الثـامن وزيـراً جديـداً يُـدعى تومـاس كرومويـل Thomas Cromwell. وأشار الأخير على الملك بالانفصال عن الكنيسة الأم، ووضع كنيسة إنجلترا تحت سيادة الملك. اقتنع الملك هنري الثامن بهذا الحل واعتبر نفسه زعيمـاً للإصـلاح[٤]، وحقق بذلك ثلاثة أهداف، ويتمثل الهدف الأول في طلاق كاترين والزواج من آن بولين. أما الهدف الثاني فهو تمكن الملك من الاستيلاء على الأموال التي كانت تُرسل في الأصل إلـى كنيسة روما. والهدف الثالث فيتجلّى في تدعيم سلطان الملك على مقاليـد الدولـة الحديثـة بفضل سيطرته وسيادته على جميع رعاياه من علمانيين ومتدينين. وهذه هي الـروح التـي أشاعتها أفكار مارتن لوثر –في عصر الكشوف الجغرافية والنهضة الأوروبية- في عمـوم أوروبا، إذ أصبح الكثير من الملوك والأمـراء والـشعوب يتطلعـون للاسـتقلال القـومي

---

(1)Ibid., PP. 158-161.

(2) برينتون، كرين: م.س. ذ.، ص٨٦،
لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص٢٧٩.

(3) Scarisbrick, J.: op. cit., PP. 308.

(4) Ibid, P. 398.

والسياسي والديني، نظراً لما يمثله الأخير من ثروة طائلة كانت تذهب للكنيسة الأم في روما.

وكان الشعب الإنجليزي متحمساً للإصلاح بسبب إطلاعه على مساوئ الكنيسة، إضافة إلى تأييده إلى مسعى الملكية لتدعيم سلطانها وما يوفره هذا من أمان خاصة بعد الفوضى التي عانت منها البلاد في حرب الوردتين، ولأن الشعب الإنجليزي فضّل زوال سلطة البابا لأنها سلطة أجنبية وليست سلطة قومية. وساعد على تأييد الإصلاح أن المنادين به لم يهاجموا الكاثوليكية، والبرلمان أيد الملك في الإصلاح ولم يتعرض بسوء للكاثوليكية(١).

ومنذ نوفمبر ١٥٢٩م انعقد البرلمان الإنجليزي لمدة سبع سنوات متتالية، وكان الإصلاح الديني هو همه الأول، فقد أصدر عدة قوانين كان هدفها إصلاح مساوئ الكنيسة وإخضاع رجال الدين في إنجلترا لسلطة الملك. واشتدت الحملة لتحقيق هذه الأهداف وبدأت بإصدار البرلمان قانون منع إرسال الأموال إلى روما، وأخر يمنع الكنيسة في إنجلترا من التصرف في شؤونها بغير موافقة الملك، وقانون يُحرّم تعيين الأقارب في الوظائف الكنسية(٢).

وفي سنة ١٥٣٣م أصدر الملك مرسوماً بتعيين توماس كرانمر Thomas Cranmer رئيساً لأساقفة كنتربري، وقد رفض البابا كليمنت السابع Clement vii الموافقة على تعيينه، لكن هنري الثامن لم يعبأ برفض البابا، واستصدر قراراً من كرانمر بإلغاء زواجه من كاترين والموافقة على زواجه من آن بولين(٣). وبعد ذلك بأسابيع أصدر البابا قرار الحرمان ضد هنري الثامن، الذي كان قد تزوج من أن بولين سراً قبل أن يصدر رئيس أساقفة كانتربري موافقته الرسمية، وأنجب منها إليزابيث (فيما بعد الملكة إليزابيث)

(1) Pollard, A.: The Evolution of Parliament, P. 173.

(2) Ibid., P. 175.

(3) Yost, John: The Reformation Defense of Clerical Marriage in The Reigns of Henry VIII and Edward VI, Church History, Vol. 50, Issue 2, 1981.

التي جعلها وريثة العرش من بعده، وألغى حق ابنته ماري التي أنجبها من زوجتــه الأولـــى كاترين[١].

وفي نوفمبر ١٥٣٤م أصدر البرلمان "قانون الــسيادة العليـــا" Act of Supermacy الذي نص على أن الملك هو الرئيس الأعلى للكنيسة الإنجليزية، وله كل السلطات الروحية والقانونية التي كان البابوات يتمتعون بها في إنجلترا، ومعاقبة كل من يعترض على شخص الملك وحقوقه[٢]. ثم صدر قانون "حل الأديرة"[٣]، وتم حل حوالي ٦٠٠ دير ذهبت ممتلكاتها البالغة حوالي خمس الأراضي الزراعية في إنجلترا للملك، وينطبق نفس الأمر على إيرادات هذه الأديرة وثرواتها المنقولة الأمر الذي ترتب عليه ازدياد قوة الملكية[٤]. وعلى الأثر أقدم الملك هنري الثامن على اتخاذ عدة قرارات لتقوية الدولة فأنــشأ أســطولاً قويـــاً وحـــصّن الشواطئ ، واستطاع أن يشن حرب على فرنسا (١٥٤٣-١٥٤٦م)، ووحّد شــمال إنجلتـــرا وجنوبها، وحاول قبيل موته أن يضم اسكتلندا إلى التاج لكنه فشل[٥].

وقد أدت الحياة العائلية المتغيرة للملك هنري الثامن إلى تغيير نظـــام الوراثـــة، فقـــد تخلص من زوجته آن بولين[٦] Anne Boleyn، وتزوج بعدها بثلاث أخريـــات متتاليـــات. لكنه أنجب إدوارد من جين سيمون، واستصدر قراراً من البرلمان يجعل له وراثة العـــرش، فإذا مات من غير وريث خلفته أخته ماري بنت كاترين، فإذا لم يكن لها وريث خلفتها أختها إليزابيث. وهكذا انتقل العرش من بعده إلى ابنه إدوارد، الذي حمل لقـــب إدوارد الـــسادس، سنة ١٥٤٧م[٧].

---

(1) Ibid., Vol. 50, Issue 2, 1981.

(2)Adams, George Burton: op. cit., P. 239,

لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص٢٨١.

(3)Documents Illustrative of English Church History, P. 281.

(4)Adams, George Burton: op. cit..., PP. 243.

(5) Scarisbrick, J.: op. cit., PP. 599-604.

(6) آن بولين هي ثانية زوجات هنري الثامن ملك إنجلترا، تزوجها سنة ١٥٣٣م بعد طلاق كاترين، وهـــي أم الملكة إليزابيث. وكانت نهايتها الإعدام على يد زوجها.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج١، ص١١٦.

(7)Adams, George Burton: op. cit., P. 235.

كان إدوارد السادس ابن عشر سنوات، فتولى خاله إرل هرتفــورد Earl Hertford، وأُطلق عليه دوق سمرست Duke Somerset، وكان هذا بروتستانتياً، ولــذا ألغـــى كــل القوانين السابقة التي اضطهدت البروتستانت، ثم تحول لمناهضة الكاثوليك، وأغلق كثيراً من كنائسهم، وحوّل دخلها إلى خزينة الملك(١). وفي عهد دوق سمرست سارت حركة الإصلاح الديني والتحول للمذهب البروتستانتي شوطاً كبيراً ومن ذلك إصدار كتاب الصلوات العامــة Book of Common Prayers باللغة الإنجليزية(٢).

لكن مركز سمرست تزعزع بسبب كثرة أعدائه خاصة علـــى خلفيـــة الاضـــطرابات الداخلية التي نشأت بسبب حركة إغلاق الحقول، وسببها أن أصحاب الأراضـــي الـــصالحة للزراعة فضلوا أن يحولوها إلى مراع للأغنام لتصدير صـــوفها، وأقـــاموا أســـيجة حـــول الأرض، وطردوا منها المنتفعين بها من صغار المـــزارعين، وبـــذلك تحولـــت المـــساحات الزراعية الكبرى إلى حقول مسوّرة لتربية الأغنام، فسادت البطالة بين المـــزارعين، وكـــان أصحاب مزارع المواشي أكثر جشعاً من الأشراف القدامى، إذ اعتبره كبار الملاك مـــسؤولاً عن اضطراب البلاد، واتهموه بالتبذير في الأموال العامة، وأنه جمع لنفسه ثروة طائلة مـــن مال الكنيسة، وكذلك غضب عليه عامة الشعب بسبب الدعايات التي دُبرت ضده، وأدى كـــل ذلك في النهاية إلى القبض عليه وخلعه من منصبه سنة ١٥٤٩م، ثم كان نصيبه الإعدام سنة ١٥٥٢م(٣). خلف دوق سمرست في منصبه شخص آخر يُـــدعى إيـــرل وارويـــك Earl Warwickالذي عُرف بلقب دوق نورثمبلند، وهو أحد كبار الملاك، تمكن من إخماد ثـــورة الفلاحين، وانتشر في عهده المذهب البروتستانتي في لندن والمـــدن الـــساحلية(٤). وتجـــدر الإشارة إلى أنه تم التركيز في عهد الملك إدوار الأول على سن التشريعات التي تشجع نشر المذهب البروتستانتي خاصـــة قـــانون المـــذهب الواحـــد The Act of Uniformityالأول

---

(1)Harrison, David: Tudor England, vol. 2, p 123.

(2)Ibid., p 128.

(3) Harison, David: op. cit., vol. 2, P. 129-131.

(4) Ibid., p 132,133.

والذي صدر سنة ١٥٤٩ ثم جرى التأكيد عليه سنة ١٥٥٢[١]. وكذلك تم إصدار قانون يسمح بزواج القسس سنة ١٥٤٩[٢]، وقانون حل الأديـــرة الـــصغيرة[٣] Act dissolving The Chantries . وفي عهده تم رفع الصور من الكنائس، وحُظر التوسل للبابوات وتـــم نـــشر كتاب الصلوات العامة[٤] Common Prayer Book. وتجدر الملاحظة إلـــى أن الاهتمـــام بالمذهب البروتستانتي محصور في النخبة الحاكمة والتي تستهدف من ورائه تعزيز ســـلطتها وإحكام سيطرتها على الكنيسة وممتلكاتها ورجالها، أما الشعب الإنجليزي فلم يكن حتى هـــذه اللحظة مهتماً بأي تغيير ذا طابع عقائدي، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الشعب البريطـــاني ليس لديه أي تجارب احتكاك عملية مع البابوية وفسادها في روما، كما أن أياً من المصلحين الجذريين لم يسبق أن زار بريطانيا، ولهذا بقي البريطانيون بعيدون عن النقاش بشأن العقيدة المسيحية، واكتفوا من الإصلاح بمكاسبه السياسية والاقتصادية.

مات إدوارد السادس، وتولـــت العـــرش بعـــده أختـــه الملكـــة مـــاري[٥] (١٥٥٢-١٥٥٨م) Mary، وكانت كاثوليكية متعصبة، ولهذا فإن أول قـــرار اتخذتـــه كـــان إعـــادة العلاقات مع كنيسة روما، ثم ألغت جميع القوانين الدينية التي سُنّت في عهـــد الملـــك إدوارد السادس من خلال قانون الإلغاء The Act of Repeal[٦]. وتزوجت الملكة مـــاري فيليـــب الثاني ملك أسبانيا، وهو كاثوليكي متعصب، الأمر الذي أثار الإنجليز، فقاموا بثورة تزعمهـــا السير توماس وايت، لكن الملكة قضت على الثورة وأعدمت زعيمها. ثـــم بـــدأ الاضـــطهاد للبروتستانت، قتل وسجن وإحراق حتى لُقبت بالسفاحة[٧].

---

(٣)Documents Illustrative of English Church History, PP. 358, 369.

(2)Ibid, P.366.

(3)Ibid, P 328.

(4)Mcgiffert, Arthur: Protestant Thought Before Kant,P.122.

(5) ماري تيودود (١٥١٦-١٥٥٨) هي ملكة إنجلترا وإيرلندا. وهي ابنـــة هنـــري الثـــامن مـــن كـــاثرين الأرجوانية. كاثوليكة متعصبة، تزوجت من فيليب الثاني ملك أسبانيا. واضطهدت البروتستانت.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٦، ص٢٠٦.

(6) Mcgiffert, Arthur : op. cit., P.377.

(7)Harison, David: op. cit., vol.2. PP. 139-145.

وقد كان زواجها من فيليب شؤماً عليها وعلى البلاد، فلم يقبله أحد، ولم يطب له العيش فيها فغادرها إلى الأراضي المنخفضة، ولم يعد لإنجلترا إلا لإقناع الملكة ماري بأن تشترك معه في الحرب ضد فرنسا، ولبت ماري دعوته، وكانت العاقبة وخيمة على البلاد، وذلك لأن الإنجليز أغفلوا تحصين كاليه فانتزعها الفرنسيون مع نشوب الحرب سنة ١٥٥٨، ولم تكتسب إنجلترا من مغامرة ملكتها سوى ضياع ميناء كاليه التي بقيت لها من فتوحاتها بالقارة الأوروبية في العصور الوسطى. وضج الشعب من سوء الحال، وزاد عدد الداخلين في المذهب البروتستانتي، فقد ارتبطت الكاثوليكية في ذهنهم بالدماء المراقة، والتضحية بالمصالح الإنجليزية في سبيل أسبانيا. وفي نفس الوقت كثر عدد الهاربين منهم إلى الدول الأوروبية الأخرى خاصة هولندا. وكان معظم الإنجليز يخشون أن تُنجب الملكة من فيليب ولياً للعهد تجري في عروقه الدماء الأجنبية، لكن الملكة ماتت قبل أن يحدث هذا الأمر. وخلفتها على العرش أختها إليزابيث بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٥٥٨ [١]. تجدر الإشارة هنا إلى أن الهاربين إلى داخل القارة تعرفوا على المذهب الكالفني، وهو المذهب الديني الإصلاحي الذي يولي أهمية كبيرة لقراءة العهد القديم وتفسيره بشكل حرفي بالإضافة إلى تأكيده على مقاومة ظلم الملوك والحكام، وإصلاح الكنيسة والمجتمع. فهل سيكون لهؤلاء أي أثر فيما يتعلق بالإصلاح الداخلي وموقف البريطانيين من اليهود؟!

لم تتعجل الملكة إليزابيث (١٥٥٨-١٦٠٣م) ، بشأن قطع العلاقات مع كنيسة روما[٢]. واتبعت إليزابيث سياسة الحل الوسط، وأخذت تؤسس صرح ما عُرف باسم "الكنيسة الأنجليكانية"، وأوجدت ما أسماه المؤرخون نظام إليزابيث الكنائسي الذي يستند إلى قانونين: قانون السيادة العليا The Act of Supermercy ، وقانون المذهب الواحد The Act of Uniformity[٣]. بخصوص القانون الأول فقد أكد أن الملك هو صاحب السيادة العليا، وأُلزم رجال الدين أن يُقسموا له يمين الولاء، وعدم الخضوع لأية سلطة أجنبية، ونص القانون على معاقبة المعارضين. أما قانون المذهب الواحد فقد أقر نوع العبادة التي

(1) Ridley, Jasper: Classic Biography Elizabith I, P 74.

(2) Frankforter, Daniel: Elizabeth Bowes and John Knox A woman and Reformation Theology, Church History, Vol. 56, Issue 3, 1987.

(3) Dickens, A.: The Age of Humanism and Reformation, P. 207.

تضمنها كتاب الصلوات الثاني لسنة ١٥٥٢م، وأدخل تعديلات في تفصيلات العقيدة تُسهّل على المعتدلين البروتستانت والكاثوليك أن يقبلوه، وبشأن الطقوس فإنها بمقتضاه لا تتنافى مع الكاثوليكية. واعتبر هذا القانون أن زواج القسيس جائزاً مع تشجيعه[١].

ومنذ عهد إليزابيث بدأ نوع من الجدل يشغل الكنيسة، وكانت أول مذكرة وجهت للبرلمان سنة ١٥٧٢ هي التي كتبها كل من فيلد Field وويلكوكس Wilcox، وتعتبر هذه المذكرة من أهم بيانات البيوريتان في ذلك الوقت، حيث أكدت المذكرة على ضرورة تنظيم أسس الحكم والعلاقة بين الكنيسة والدولة وفقاً للكتاب المقدس[٢]. أما المذكرة الثانية فقد صدرت في نفس العام، وكان كاتبها هو توماس كارترايت Thomas Cartwright، حيث هاجم فيها الأساقفة، وأشار إلى أن تعاليم الكتاب المقدس تؤكد على استقلالية الكنيسة، وأن التعاليم الكالفنية الصحيحة ترفض خضوع الكنيسة للدولة[٣]. وتصدى في ذلك الوقت ريتشارد هوكر Richard Hooker للدفاع عن الكنيسة الأنجليكانية فهاجم البيوريتان في كتابه "السياسة الكنسية" وأكد في هذا الكتاب أن تحديد الصواب من الخطأ لا يقتصر على نص الكتاب المقدس، بل إن تراث الكنيسة والعقل الإنساني لهما دور كبير في ذلك[٤]. وأكد هوكر أن أمور العقيدة يحددها نص الكتاب المقدس ولكن فيما يخص العبادة والسياسة فمن حق الكنيسة أن تتبنى الأشكال التي تراها مناسبة[٥]. لكن برزت فئة أخرى انفصالية يُطلق عليها اسم المعمدانية Anabaptism رفضت التعاطي مع الكنيسة الأنجليكانية، ومن أبرز دعاتها روبرت براون Robert Browne الذي كان يرى أن الكنيسة مؤسسة مستقلة ينضم إليها المؤمنون تطوعاً وتتشكل وفق ميثاق يُتفق عليه بينهم. ويجب أن تبقى بعيدة عن أي تدخل خارجي، وأن تكون مستقلة عن الدولة[٦].

---

(1) Ibid., P. 208,
Adams, George Burden: op. cit., PP. 296,302.

(2)Mcgiffert, Arthur: op. cit., P126.

(3)Ibid, P126.

(4)Ibid, 126.

(5)Ibid, P127.

(6)Ibid, 130.

وعلى صعيد السياسة الخارجية أيدت إليزابيث البروتستانت في الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا في صراعهما ضد الاحتلال الأسباني)، والهيجونوت (وهم بروتستانت فرنسا في صراعهم ضد الملك). وفي مقابل ذلك عمد فيليب الثاني ملك أسبانيا إلى التدخل في شؤون إيرلندا والعمل على إثارتها ضد الحكم الإنجليزي، وكذلك فقد توترت العلاقات بين إليزابيث ملكة إنجلترا وماري ستيوارت ملكة اسكتلندا، وهي زوجة فرنسوا الثاني ملك فرنسا،، وتجدر الإشارة إلى أن ماري ستيوارت كانت محور المؤامرات التي يديرها الكاثوليك ضد إليزابيث، وهدفهم الرئيس تنصيب ماري ستيوارت على عرش إنجلترا بدلاً من إليزابيث. لكن الظروف لم تخدم ماري ستيوارت التي اضطرت إلى اللجوء إلى إنجلترا عندما ثار عليها شعبها، وفي سنة ١٥٨٧م تمكنت إليزابيث من إعدامها.

كانت إليزابيث حريصة على الاستقلال والسلام، لكن الخلافات مع أسبانيا بشأن الدين والتجارة والمستعمرات، حيث اشتد في هذا الوقت التنافس بشأن الكشوف الجغرافية واستعمار المناطق المكتشفة واحتكار خيراتها ، كل ذلك أدى إلى حدوث الاحتكاك خاصة عندما قام فيليب الثاني ملك اسبانيا بتأييد ماري ستيوارت في عرش إنجلترا، ومساهمته في تدبير مؤامرة لاغتيال إليزابيث لتحل محلها ماري ستيوارت. وفي الوقت نفسه كانت إليزابيث تساعد الهولنديين في ثورتهم ضد أسبانيا بالمال والسلاح ثم بالعسكر مما أشعل الحرب، وقد نفّذ فيليب عزمه بتجهيز أسطول ضخم أطلق عليه إسم "الأرمادا"[١] Armada. انهزم الأسبان في هذه المعركة التي وقعت سنة ١٥٨٨م[٢]، وبهزيمة الأرمادا اكتملت عملية تحول إنجلترا إلى بلاد بروتستانتية وذلك لأن آمال الكاثوليك الإنجليز والاسكتلنديين تحطمت مع تحطم الأرمادا، وانتهت أحلام الكنيسة الكاثوليكية الرامية إلى التخلص من إليزابيث[٣].

وبعد وفاة إليزابيث سنة ١٦٠٣م انتقل الملك إلى أسرة ملكية جديدة هي أسرة ستيوارت. وكان ملوك أسرة تيودور قد حكموا إنجلترا حكماً مطلقاً، لكن سلطتهم استندت

---

(1) الأرمادا هو الأسطول الذي وجهه فيليب الثاني ملك أسبانا سنة ١٥٨٨ لغزو إنجلترا، فتصدى له الأسطول الإنجليزي فتصدى له الأسطول الإنجليزي وأنزل به خسائر جسيمة.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج١، ص ١٦١.

(2)Ridley, Jasper: op. cit., P. 154.

(3) إبراهيم، عبد العزيز: محاضرات في تاريخ أوروبا، ص ١٦١

إلى رضا طبقة وسطى قوية كانوا أحكم من أن يبعدوها عنهم، ولذلك لـم يلجـأ الملـوك أو مؤيديهم في تأييد الحكم المطلق لنظرية الحق الإلهي، ولم يكن يوجد من يفكر بالمقاومـة، أو من يتخيل أن هنالك إمكانية لحدوث أي نزاع بين الملك والبرلمان أو المحاكم. لكن رغم ذلك كانت تتخلق في رحم المجتمع الإنجليزي بذور مشاكل خطيرة نتيجة الاضطراب الاقتصادي الخطير الذي صحب قيام التجارة الحديثة وتحطيم الاقتصاد القديم فالتجارة تطلبـت تحويـل الأراضي الزراعية إلى مراع وسلب الملكية من الفلاحين الذين يشغلونها. فالأغنام تـستهلك مزارع كبيرة. وبينما يتضور الفلاحون جوعاً بيدي الأغنياء مظـاهر تـرف فـي المأكـل والملبس والمسكن، وبدلاً من معالجة الآثار الخطيرة لظاهرة انسحاق طبقة اجتماعية وبروز طبقة أخرى على حساب الأولى، أخذت الدولة تبتز الـضرائب أو تلجـأ إلـى مـشروعات للحرب لا تعود على البلد إلا بالخسارة إما العسكرية أو المادية على الأقل، وبرز آثار هـذا التحول بجلاء في عهد أسرة ستيوارت(١).

(1)Gardiner, Samuel (editor): The Constitutional Documents of The Puritan Revolution, pxi.

## المبحث الثالث

## ثورة البيوريتان في إنجلترا (١٦٢٨-١٦٦٠)

يتضح مما تقدم أن الانفصال الإنجليزي عن كنيسة روما قد بدأ في عهد الملك هنري الثامن دون أن تأخذ عملية الإصلاح هذه طابعاً بروتستانتياً، وتواصلت عملية الإصلاح في عهد ابنه الملك إدوارد السادس. أما عهد الملكة ماري فقد شهد عودة رسمية للكاثوليكية والارتباط بكنيسة روما، وترافق هذا الأمر مع اضطهاد شديد للبروتستانت أجبر الكثيرين منهم على الهرب خوفاً من الاتهام بالخيانة العظمى، وانتشروا في أوروبا. ولما توجت إليزابيث ملكة على بريطانية، وكانت بروتستانتية، فقد عاد الكثير من المهجرين وهم يحملون مفاهيم جديدة عن الكنيسة والدين، وكان أغلبهم قد تبنوا النموذج الكالفني. وكانت الملكة إليزابيث لا تفضل هذا المذهب لأنه ينادي بانفصال كامل وسريع عن كنيسة روما، إضافة إلى أن الكالفنية تنطوي على توجه معارض للملوك واستفرادهم بالسلطة وتدعو لاستقلالية الكنيسة.

إن تعامل ملوك أسرة تيودور مع موضوع الإصلاح الديني من خلال اللجوء إلى الحلول الوسط لم يقدم حلاً لمشكلة العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية[(١)]، هذه المشكلة الموروثة منذ الفترة السابقة على الانفصال، والفارق بين المرحلتين أن الكنيسة في روما كانت المحدد الرئيسي لهذه العلاقة، على الأقل من الناحية القانونية، أما في عهد الانفصال عن روما فقد أصبح الملك الإنجليزي هو من يحدد شكل العلاقة مع الكنيسة الوطنية. لكن عهد أسرة تيودور لم يحسم الأمر لأنه لم يقدم حلاً جذرياً للمشكلة بسبب التردد والتغير الذي حدث في عهد الملوك المتعاقبين. وبقي شكل العلاقة بين الكنيسة والدولة يعتمد على قدرات الملوك على السيطرة وإدارة الأوضاع الداخلية، وبالتالي فإن هذا النموذج لم يستطع الصمود في وجه المتغيرات الحاصلة إذ أن الانفصال عن روما فتح أبواباً جديدة

---

([1])Jones, Norman: Elizabeth and The Latin Prayer Book of 1560, Church History, vol.53, Issue 2, P. 174.

للخلاف والجدل انتهت بالثورة التي قامت بها طائفة البيوريتان (المؤمنين بالعقيدة الكالفنية بشأن استقلال الكنيسة عن الدولة) شديدة الحماس لاستقلال الكنيسة عن الدولة.

وعندما أسس جيمس الأول ملك أسرة ستيوارت كانت حركة البيوريتان( بما تحمله من أفكار بشأن الإصلاح الديني الروحاني، والسياسي الذي يطالب بتقييد سلطة الملك وتحقيق الاستقلال للكنيسة، إضافة إلى قناعتهم بأن العالم يقترب من نهايته وأن خلاص المسيحيين يتطلب عودة اليهود إلى الأرض المقدسة في فلسطين) لاتزال محبطة داخل إنجلترا، خاصة وأن جيمس الأول رفض الالتماس(The Millenary Petition) الذي قدمه له ألف شخص من رجال الدين البيوريتان، الذين طالبوا الملك بإدخال تعديلات على العبادة والإدارة في الكنائس[١]. وكان جيمس الأول يرى أن للملك الحق في سن القوانين دون استشارة النواب، وكان يرى أنه فوق القانون، وقد ووجه باحتجاجات كثيرة من النواب الذين اعتبروا أن امتيازات البرلمان من العهود السابقة حقوق أصيلة، وأن المسائل الخطيرة المتعلقة بالملك والدولة والكنيسة والدفاع عن البلاد ووضع القوانين وصيانتها كلها من اختصاصات البرلمان. وحدث في عهد جيمس الأول أن تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية.

يمكن القول أن عهدي إليزابيث الأولى وجيمس الأول هما اللذان شهدا بدايات الجدل على خلفية الإصلاح الديني بمعناه الحقيقي، إذ أنه في البداية لم يكن هناك أي خلاف ذي مغزى بشأن العقائد والعبادات، كما لم يكن هناك أي اهتمام يُذكر من قبل الشعب بالإصلاح الديني. لقد كانت عملية الإصلاح سياسية خالصة كما تبين لنا سابقاً. وربما تكون مسرحية شكسبير تاجر البندقية[٢]؛ إحدى التعبيرات الأساسية عن وجود نظرتين في المجتمع

---

([1])Documents Illustrative of English Church History, P. 508.

([2]) تاجر البندقية Merchant of Venice هي كوميديا من تأليف شكسبير، خلاصتها أن أنطونيو التاجر الفينيسي يستدين من المرابي اليهودي شايلوك ثلاثة آلاف قطعة ذهبية تمكيناً لصديقه باسانيو من الزواج من بورشيا الثرية الجميلة. ويشترط المرابي على التاجر أن يقتطع رطلاً من لحمه إذا لم يرد إليه المال في الموعد المحدد لذلك. ويوافق أنطونيو ولكنه يعجز عن رد المال. فيصر شايلوك على تنفيذ ما ألزم به التاجر نفسه، وهو الموافقة على اقتطاع رطل من لحمه، وأثناء المحاكمة توافق بروشيا على هذا الاقتطاع شرط ألا يؤدي ذلك إلى إراقة نقطة دم واحدة من أنطونيو.

البريطاني تستخدمان الإيحاءات الدينية المستمدة من العهدين القديم والجديد لتبرير مواقفها. وقدم شكسبير[١] شخصية اليهودي في هذه المسرحية بشكل مركب يتضمن عدة أبعاد، تعكس التحولات التي طرأت على رؤية المجتمع الإنجليزي لليهود واليهودية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي نتيجة وجود فئة في المجتمع الإنجليزي تأثرت بالكالفنية.

وتعرض المسرحية لشخصيتين مركزيتين هما أنطونيو وشيلوك. ويمثل أنطونيو دور الشخصية الأرستقراطية فهو كريم يقرض أمواله بدون فوائد، ويعيش حياة مترفة، ولا يهتم بتراكم رأس المال. وعلى النقيض من ذلك تأتي شخصية شايلوك اليهودي الذي يعمل بالربا ويهتم كثيراً بتراكم رأس المال ويؤمن بالتعاقد في التعامل المالي ويدافع عنه أشد الدفاع، ويلتزم حرفية القانون لا روحه، وهو بلا عاطفة خاصة عندما يطالب برطل اللحم البشري بدل الدين الذي عجز صاحبه عن سداده.، ويجيد استخدام الكتاب المقدس في تبرير أفعاله. وهذا يعكس فهماً عميقاً لشكسبير بالكتاب المقدس، إذ يُكثر من الإشارات والتلميحات للكتاب المقدس على لسان شايلوك[٢].

وقد جاءت رواية شكسبير هذه لتعكس التغير الحاصل في الثقافة البريطانية بشأن اليهود، خاصة مع ترجمة الكتاب المقدس وشيوع تفسيراته الحرفية، إضافة إلى ظهور جماعات البيوريتان البروتستانت من عناصر الطبقة الوسطى الجديدة النشطة في مجال التجارة؛ والمؤمنة بتعاليم كالفن، والتي يصفها المسيري بأنها "حوّلت الزهد المسيحي في الدنيا من أجل الآخرة إلى زهد داخل الدنيا من أجل تراكم رأس المال، ولذلك كان هؤلاء يكرهون الملذات والانفاق والمسارح والمسرات. ويجئ شايلوك في هذه الرواية رمزاً لهذه القطاعات المتزمتة الملتزمة بالتراكم المالي وحسب، والتي تتنكر للعلاقات الإنسانية"[٣].

---

Mahood, M.(Editor): The Merchant of Venice, PP.1-53.

(1) هو وليام شكسبير William Shakespeare (١٥٦٤-١٦١٦) كبير الشعراء الإنجليز، كان ممثلاً ومؤلفاً مسرحياً، وقد تعمق في وصف النفس البشرية خلال أعماله وقدم لها تحليلاً عميقاً. من أشهر أعماله روميو وجولييت ١٥٩٤م، تاجر البندقية ١٥٩٦م، وهاملت ١٦٠٠ن، وماكبث ١٦٠٥م.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٨،ص ٢٠٥.

(2)Mahood, M.: op. cit., PP.184-188.

(3) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٢، ص٣٧٩.

ويأتي هذا التفسير الذي يقدمه المسيري منسجماً مع التطور التاريخي للبيئة الثقافية في إنجلترا. بينما يتوقف بعض دارسي الأدب الإنجليزي عند ظاهر ما ينطق به النص محاولاً الادعاء بأن شخصية شايلوك هي استمرار للصورة الذهنية الشريرة لليهودي في الغرب(١). والأرجح أن ما يميل إليه المسيري في تفسيره هو الأقرب للصواب لأن الفترة التي عاش فيها شكسبير وهي عهد الملكة إليزابيث شهدت بداية ظهور البيوريتان الذين يؤمنون بمذهب كالفن وما يدعو له من ارتباط بالعهد القديم، إضافة إلى أن إنجلترا منذ عهد هنري الثامن احتضنت عدداً من المصلحين الدينيين مثل إرازموس وجون كولت اللذان أنجزا ترجمة للكتاب المقدس.

وقد جاء هنري فنش ١٥٥٨-١٦٢٥Henry Finch بعد شكسبير بقليل ليُصدر بحوثاً عديدة في القانون واللاهوت، ويضع قواعد تفسير النبوءات الدائرة حول الأيام الأخيرة في الكتاب المقدس أكد فيها أنه حيثما يتم إيراد أسماء إسرائيل ويهودا وصهيون وأورشاليم (في الكتاب) فإن الروح القدس لا يعني إسرائيل المعنوية أو كنيسة الرب المؤلفة من الأميين أو من اليهود والأميين على حد سواء، بل إسرائيل المتحدرة حقاً من صلب يعقوب. والحكم نفسه يجب اعتماده فيما يخص عودتهم إلى أرضهم ومرابعهم القديمة". وأكد فنش في كتاباته على أن اليهود سيُبعثون في المستقبل القريب كأمة(٢).

وبمجيء شارل الأول للحكم (١٦٢٥-١٦٤٩) زادت مساوئ الملكية وبالتالي تصاعدت الاحتجاجات الشعبية والبرلمانية ضد الملك الذي يؤمن بحق الملوك الإلهي في الحكم المطلق، وفرض عدداً من الضرائب الاعتباطية، والسياسة الدينية القاسية التي اتبعها ضد البيوريتان. وعلى خلفية سياساته الداخلية والخارجية خاض الملك صراعاً مع البرلمان. وبدأ هذا الصراع سنة ١٦٢٨م عندما سجن الملك بعض أعضاء البرلمان الذين اعترضوا على منحه القروض لتمويل حربه ضد أسبانيا ودعمه الهيجونوت في فرنسا، ولهذا طالب البرلمان بتحديد سلطات الملك، وأعد عريضة تُسمى "ملتمس الحقوق" Petetion of Rights، وهي من الأوراق المهمة جداً في التاريخ الإنجليزي، وفيها لفت المجلس نظر

(1) الراهب، هاني: الشخصية الصهيونية في الرواية الإنجليزي، ص١٥.

(2) Pragai, Michael: Faith and Fulfilment, P.14.

الملك إلى ما يقوم به من ابتزاز الأموال بطرق غير شرعية هو وعماله، وطلب منه ألا يجبر أي فرد على دفع شيء من النقود بدون موافقة المجلس، وألا يسجن أحداً إلا وفق القانون[١]. ولما أجاب الملك هذه المطالب قرر المجلس صرف الأموال، لكن المجلس اشترط على الملك عزل أحد كبار معاونيه وهو دوق بيكنجهام الذي اشتهر بفساده منذ عهد جيمس الأول، فغضب شارل الأول وحل المجلس، ولم يعقد المجلس إلا بعد عزل دوق بكنجهام[٢].

وفي هذه الأثناء كان شارل الأول يبدي ميلاً قوياً لإعادة الكاثوليكية لإنجلترا، فزوجته تعتنق المذهب الكاثوليكي، وكان النصر حليف الكاثوليك في أوروبا في تلك المرحلة من حرب الثلاثين عام (١٦١٨-١٦٤٨) حيث انتصر والنشتين على ملك الدانمرك كرستيان الرابع، أما ريشيليو الوزير الفرنسي القوي فكان قد هزم الهيجونوت وحرمهم من حقهم في التعبير عن وجودهم على الصعيد السياسي، وظهرت في إنجلترا حركة قوية تطالب بالعودة للكاثوليكية. وعلى الأثر اتسعت شقة الخلاف بين البيوريتان من أعضاء البرلمان وبين الملك فقام الأخير بحل البرلمان سنة ١٦٢٩م. وهكذا لم يكن أمام حماسة البيوريتان المتقدة لإصلاح الكنيسة وتبشير العالم برسالة المسيح إلا أن تتحول إلى تيار سياسي، خاصة وأن البيوريتان لم يكتفوا بالوعظ، بل أرادوا تنفيذ مبادئهم ونشر الورع والتقوى على طريقتهم حيث كانوا يوجهون انتقاداتهم للمسارح والرقص وعدم احترام يوم العطلة الأسبوعية، كما انتقدوا أُبهة الاحتفالات، ولهذا بدأ الملك يشن حملة بمساعدة كبير أساقفة كنتربري وليام لود ضد البيوريتان، وأخذت شقة الخلاف تتسع بين الطرفين مع مرور الوقت[٣].

اتسمت إدارة شارل الأول ووزرائه بأنها سيئة فزادت من كراهية الشعب له، الأمر الذي مهد السبيل للثورة، وقد تم في عهده فرض العديد من الضرائب الاعتباطية وكان من أشهرها ضريبة السفن First Writ of Ship Mony من كل الناس لبناء الأسطول[٤]

---

(1)Gardiner, Samuel: op. cit., P. 66.

(2) Ibid., P. 83.

(3) سترومبرج، رونالد: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧م، ص ١١٦.

(4)Gardiner, Samuel: op. cit., P. 105.

. وتفاقمت الأزمة سنة ١٦٣٨ عندما رفض الاسكتلنديون كتاب الصلاة الجديد الذي فرضه عليهم شارل الأول ورئيس أساقفة كانتربري وليام لود William Load على الكنيسة الاسكتلندية التي تدين بالمذهب البروتستانتي، وبسرعة كبيرة فقد شارل الأول سلطته على الحكومة وعلى الكنيسة في اسكتلندا، وفشل في استردادها بالقوة. وبسبب الحاجة للمال دعا الملك البرلمان القصير للانعقاد، لكنه عاد وحلّه بعد ثلاثة أسابيع من انعقاده، وشن حرب جديدة ضد الاسكتلنديين، لكن فشله في هذه الحرب جعلته يدعو البرلمان الطويل للانعقاد، وعندها أصبح الملك عاجز عن مواجهة مطالب البرلمان. واستمر هذا البرلمان في الانعقاد دون أن يحله أحد مدة واحد وعشرين عاماً، وأصدر البرلمان الطويل مجموعة من القوانين التي قضت على النظام الذي أدار به شارل الأول البلاد ومن هذه القوانين قانون الثلاث سنوات The Triennial Act الذي نص على وجوب عقد المجلس اجتماعه كل ثلاثة أعوام حتى لو لم يستدعه الملك، ثم ألغى البرلمان الطويل ضريبة السفن Act Declairing The Illegality of Ship money، وألغى محكمة النجم Act for The Abolition of the Court of Star Chamber، وأصدر البرلمان قانون يمنع حل البرلمان بدون موافقة أعضائه The Act against Dissolving The Long Parliament without its own consent وذلك سنة ١٦٤١م[١].

وعندما احتدم الخلاف بين الملك ومعارضيه في البرلمان على أثر مطالبة البرلمان الطويل بأن يكون الوزراء مسؤولين أمام البرلمان، حينها غضب الملك وحاول إرهاب المعارضين من خلال اعتقال زعمائهم في البرلمان، لكنه فشل في ذلك حيث التف أهل لندن حولهم، ومنذ تلك اللحظة اندلعت الحرب الأهلية وامتدت على طول الفترة الواقعة بين (١٦٤٢-١٦٤٦) بين أنصار الملك، وبين البرلمانيين الذين يقودهم أوليفر كرومويل[٢]

---

([1] )Ibid., PP.156,179,189.

([2]) زعيم عسكري وسياسي وديني إنجليزي. تزعم جماعة البيوريتان سنة ١٦٤٠. وعند اندلاع الحرب الأهلية سنة ١٦٤٢ قاد البرلمانيين ضد الملك. وأصبح حاكم زعيم عسكري وسياسي وديني إنجليزي. تزعم جماعة البيوريتان سنة ١٦٤٠. وعند اندلاع الحرب الأهلية سنة ١٦٤٢ قاد البرلمانيين ضد الملك. وأصبح حاكم إنجلترا منذ سنة ١٦٤٩، وأعلن الجمهورية سنة ١٦٥٣. وانتهى عهده بموته سنة ١٦٥٨.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٣، ص١٢١.

Oliver Crowmwell، وهو قائد فذ تلقى تربية دينية بيوريتتانية منذ صغره واستمر مقتنعاً بهذه الأفكار حتى آخر حياته، واستطاع كرومويل أن يصل بالثورة للانتصار علـــى الملـــك، وبالفعل تم إعدام الملك شارل الأول بتاريخ ٣٠-١-١٦٤٩م، وأعلن المجلـــس أن حكومـــة إنجلترا أصبحت جمهورية وأن كرومويل هو حاكم البلاد[١].

وتمكن كرومويل من توحيد البلاد وإعادة الاستقرار لها، وأعاد هيبتها علـــى الـــصعيد الأوروبي عندما هزم هولندا (وكانت هولندا آنذاك أكبر منافسي إنجلترا في البحار) وأجبرها على توقيع معاهدة تعترف بموجبها بسيادة إنجلترا على البحار، سنة ١٦٥٤م[٢]. وتعتبر هذه أول الحروب التي تحدث في أوروبا بسبب المنافسة التجارية -التي بلغت أوجها بين إنجلترا وهولندا في ذلك الوقت- عكس كل الحروب السابقة التي كانت الخلافات الدينية أهم أسبابها. كما أن كرومويل سعى في عهده إلى إضفاء طابع الجدية والوقار على الحياة الإنجليزية وفقاً للتعاليم البيوريتانية، لكنه رغم ذلك سمح بقدر من الحرية الدينية فانقسم البيوريتان إلى عـــدة طوائف منها البريسبيتريان Presbyterian والكويكرز Quakers، ولم يتوحد البيوريتانيون مرة أخرى، ولهذا عندما مات أوليفر كرومويل لم يُفلح البيوريتان في الاستمرار في الحكـــم بسبب انقساماتهم وضعف قوتهم، إضافة إلى أن الرأي العام الإنجليزي لم يكن مرتاحاً لإلغاء الملكية.وانتهى حكم البيوريتان سنة ١٦٦٠م عندما تولى شارل الثاني من أسرة اســـتيوارت عرش إنجلترا.

وحتى تكتمل صورة الدور الذي لعبه البيوريتان على صعيد التجارة لابد من محاولـــة اكتشاف العلاقة بين كرومويل وبين يهود المارانو، وهي القوة التجارية العالمية في القـــرنين السادس والسابع عشر.

**العصر الميركنتيلي (التجاري) وبروز اليهود من جديد في أوروبا الغربية**

شهد القرنان السادس والسابع عشر بعض التحولات العميقة للجماعات اليهودية،خاصة على أثر القمع الذي تعرض له اليهود في أسبانيا في أعقاب سقوط الحكم الإســـلامي هنـــاك

(1) Gardiner, Samuel: op. cit., P.liv.
Coward, Barry: Why Charles I Was Executed in 1649, History Review, 1998, P.32
(2)Roots, Ivan: Union or Devolution in Cromwells Britain, History Review, Issue 29, 1997.

سنة ١٤٩٢م، وما تلى ذلك من انتشار لدواوين التحقيق، وعلى أثر ذلك غادر الكثيــر مــن اليهود شبه جزيرة أيبريا بينما بقي الكثيرون واضطروا للتنصر حتى ينجــوا بأنفــسهم مــن الموت، وأُطلق عليهم اسم يهود المارانو. وبدأ يهود المارانو في تكوين مراكــزهم الــسكانية والثقافية في أمستردام وسالونيكا وفي كثير من مدن الدولة العثمانية، وكــان يُطلــق علــيهم "السفاراد" أو "البرتغاليين". وكان- السفارديون على مستوى ثقافي رفيع نظــراً لاحتكــاكهم بالثقافة العربية الإسلامية، وكانت النخبة منهم على دراية بــالأمور المــصرفية المتقدمــة. وكانت تربطهم فضلاً عن ذلك علاقات وثيقــة بــاليهود الــسفاراديين فــي الامبراطوريــة العثمانية، الأمر الذي سهّل عليهم القيام بالعمليات التجارية الدولية، وبذلك أمكنهم أن يلعبــوا دوراً في الاقتصاد الدولي الجديد(١).

ومن الأمثلة على تعرض يهود أسبانيا للنفي والتشتت قصة اليهودي الأســباني ألفــرو مينز دا كوستا Alvaro Mendez Da Costa –في عصر الصراع بين إسبانيا وإنجلتــرا. كان هذا الرجل قد عاش في المستعمرات الإسبانية في الهند وأمريكا اللاتينية وكــوّن ثــروة كبيرة؛ وامتلك خبرة واسعة في تجارة الماس. وعندما عاد إلى إسبانيا اعتقلتــه الــسلطات، وصدر أمر بنفيه من قبل دواوين التحقيق، فذهب إلى استانبول وأعلن يهوديته فيهــا. وفــي سنة ١٥٨٧ (حيث كان عمره ٦٥سنة) عمل في السلك الدبلوماســي للدولــة العثمانيــة(٢). وخلال منصبه هذا راسل الملكة إليزابيث الأولى ملكة أسبانيا وقــدم لهــا معلومــات عــن تحركات الأسطول الأسباني ووعدها بمضاعفة الجهود التي ستساعد علــى عقــاب أعــداء المملكة(٣). وفي نفس الوقت فقد راسل ألفارو الدكتور رودريجو لــوبيز Rodrigo Lopez طبيب الملكة إليزابيث ، وهي رسالة تحتوي على ترتيبات بــشأن التجــسس علــى أســبانيا والبرتغال(٤).

---

(1)Israel, Jonathan: European Jewry in the age of Mercantalism, pp 13-16.

(2)Koblar, Franz: A treasury of Jewish Letters, Vol.2, P.380.

(3 )Ibid., Vol.2, P381.

(4 )Ibid., Vol.2, P.384.

ومع ظهور المارانو بدأت الحضارة الغربية تعيد توظيف اليهود من جديد، ليقوموا بالدور التجاري نفسه، ولكن بما يُعبّر عن التغيرات التي خاضها المجتمع الغربي. فبعد أن كان اليهود هم الأداة التي يمتص بها الحاكم الإقطاعي فائض القيمة من داخل مجتمعه، تحولوا إلى أداة يستخدمها حاكم الدولة المطلقة في النشاطات التي تقوم بها هذه الدولة داخل وخارج حدودها، إذ لم تعد هناك ضرورة لامتصاص فائض القيمة لأن مؤسسات الدولة كانت تقوم بتلك المهمة على وجه أفضل من خلال فرض الضرائب(١).

وقد كونت الجماعات اليهودية في هذه المرحلة شبكة علاقات تجارية على مستويين: دولي متقدم، ومحلي بدائي. فكان كبار الممولين اليهود يربطون بين الدول المختلفة، ويسدون بين احتياجات الأمراء للأموال وحاجات الجيوش للتمويل. وكان اليهود يقومون بتدبير المعادن النفيسة وأي كمية من الذهب يريدها الإمبراطور أو الأمير، ويعدوا له التموين اللازم للحملات العسكرية التي يجردها، وذلك في أسرع وقت ممكن رغم ظروف الحرب. كما كان بوسعهم من خلال الشبكة نفسها، القيام بأعمال التجسس لصالح هذا الفريق أو ذاك، وتوصيل المعلومات بسرعة غير متوفرة لأي من الفريقين المتحاربين، وذلك من خلال حلقة الاتصال اليهودية بين يهود المارانو المنتشرين في أوروبا الغربية والدولة العثمانية وأسبانيا والبرتغال(٢).

وكان يهود المارانو يرون أنهم يملكون ما يقدمونه للدول الغربية على الصعيد التجاري والمالي العالمي، وكانوا يستمرون في التخفي حتى يستفيدوا من الفرص الاقتصادية المتاحة أمامهم، إذ كان تهودهم يعني فقدانهم إياها. ولذا نجد أن كثيراً من المارانو بقوا في شبه جزيرة أيبريا بحثاً عن الفرصة الاقتصادية، وحفاظاً على أملاكهم من المصادرة، مؤثرين ذلك على الهجرة إلى بلد بروتستانتي أو إسلامي يمنحهم حرية العبادة ولا يمنحهم الفرصة الاقتصادية ذاتها. كما أن كثيراً من يهود المارانو الذين هاجروا إلى دول جديدة بقوا على علاقات مع المؤسسات التجارية في أسبانيا والبرتغال، ومع أعضاء أُسرهم الذين تنصروا بالفعل. وكان الحكم الأسباني والبرتغالي يستفيدان من خبراتهم واتصالاتهم الدولية،

---

(1)Polin, Harold: Economic History of The Jews in England,p 24.
(2) Ibid., P. 74

وبنفوذهم ورأسمالهم، رغم اضطهاد محاكم التفتيش، وتوجد حالات عديدة قام بها يهود المارانو بالتجسس لصالح الدولتين الأسبانية والبرتغالية(١).

ولعب المارانو دوراً مهما وفعالا في تأسيس الشركات التجارية والاستيطانية الكبرى، مثل شركة الهند الشرقية وشركة الهند الغربية الهولنديتين، وساهموا في تأسيس شركات منافسة أسسها البرتغاليون ليخرجوا الهولنديين من البرازيل. كما أسس المارانو، بما كان لديهم من خبرة مالية، شركات تأمين والعديد من المصارف، حيث كانوا ذوو شهرة في التعامل مع بورصات الأوراق المالية. وأسسوا مصانع للصابون والأدوية، وساهموا في صناعة السلاح وبناء السفن. واحتكر المارانو التجارة الدولية تقريباً في سلع مثل المرجان والسكر والأحجار النفيسة، كما اشتغلوا بتجارة الرقيق بسبب وجود أعداد منهم في أوروبا والعالم الجديد ومستعمرات البرتغال في إفريقيا التي كانت تعد مصدراً رئيسياً للعبيد(٢).

ويوجد عاملان أساسيان ساعدا على تبوء المارانو لهذه المكانة المالية والوظيفة الضخمة وهما أن المارانو كونوا أول شبكة تجارية عالمية وأول نظام ائتماني في العصر الحديث كان يربط بين معظم أطراف العالمين الإسلامي والمسيحي بشقيه الكاثوليكي والبروتستانتي. وامتد نشاطهم إلى العالم الجديد، حيث ارتبطوا بكثير من المشروعات التجارية للاستعمار الغربي. وتم كل ذلك في غيبة نظام ائتماني عالمي، أو نظام ثابت لعلاقات دولية. كما تزامن انتشارهم مع بداية علمنة المجتمع الغربي وظهور الحكومات المطلقة التي كانت تأخذ بالمنفعة والولاء لها وليس بالانتماء الديني معياراً للحكم على الأفراد(٣).

وتجدر ملاحظة أن التجارة التي اشتغل بها المارانو كانت التجارة الدولية وأن الأعمال المصرفية التي قاموا بها كانت أعمالاً مصرفية متقدمة، فكانت كلتاهما (التجارة والأعمال المصرفية) لا تشبه من قريب أو بعيد التجارة البدائية التي كان يعمل بها يهود الأشكناز أو الربا التي كانوا يشتغلون به.

**منسّى بن إسرائيل وكرومويل: حسابات الدين والتجارة**

---

(1) Ibid., P.130.

(2) Israel, Jonathan: op. cit., P.112.

(3 ) Ibid., 140.

وفي هذه الأجواء برز التجمع اليهودي في هولندا حيث لعب دوراً مهماً في التجــارة الدولية وحركة الاستعمار، الأمر الذي هيأ لقيادة التجمع اليهودي فــي هولنــدا لعــب دور لصالح اليهود خارج حدودها. وقام منسّى بن إسرائيل، وهو يهودي من المارانو وُلــد فــي البرتغال وعمل فيها، ثم فر مع أبويه واستقروا في أمستردام، حيث أصبح منسّى حاخاماً في أحد المعابد (١٦٢٢-١٦٣٩م)، وأسس أول مطبعة عبرية في أمستردام سنة ١٦٢٦م نشرت عدة كتب من بينها كتاب نحو اللغة العبرية، وطبعة لكتاب المشناة*[١].

عندما استقر منسّى في هولندا في النصف الأول من القرن السابع عشر، وهو العصر الذي شهد ذروة تصاعد الكشوفات الجغرافية والاستعمار الهولندي[٢]، وتأثراً بتلك الأجــواء فكّر منسى في الاستيطان في البرازيل، أي في التحرك مع التشكيل الغربي الاستيطاني. كان منسّى يؤمن إيماناً عميقاً بالقابلاة[٣]، وانشغل بالحسابات القباليــة لمعرفــة موعــد وصــول المشيّح، وتوصل إلى أن ذلك لن يتحقق إلا بعد أن يتم تشتيت اليهــود فــي كــل أطــراف الأرض. وقد كان هذا المفهوم القبالي هو أحد المبررات التي استخدمها للدفاع عن ضــرورة إعادة توطين اليهود في إنجلترا، وذلك في كتابه "أمل إسرائيل" الذي ترجمه إلى الإنجليزيــة عام ١٦٥٠م.

---

- المشناة: هي مجموعة موسوعية من التفاسير تتناول أسفار العهد القــديم، وتُعــد مــصدراً مــن المصادر الأساسية للشريعة اليهودية، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم. وينقسم كتاب المشناة إلى ستة أقسام هي: كتاب الزراعة وكتاب العيد وكتاب النساء وكتاب الأضرار وكتاب المقدســات وكتاب الطهارة.

  المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٥، ص١٤٣.

([1])Tuchman,Barbara: Bible and sowrd, P. 153.

([2]) انظر: أبو علية وياغي: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص٧٥،٧٦.

([3]) القابلاة هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، وهي كلمة عبريــة تعنــي القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي التقاليد والتراث. وكان يُقصد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية، ثم أصبحت الكلمة تعني منذ أواخر القرن الثاني عــشر التصوف اليهودي.

المسيري، عبد الوهاب: م. س.ذ.، ج٥، ص١٦٤.

شهد النصف الأول من القرن السابع عشر رواجاً للأفكار الألفية في بريطانيا، وبلغ الأمر بالألفيين أن ألقى بعضهم –من أعضاء البرلمان- خطاباتهم باللغة العبرية، ونادوا بأن تكون التوراة هي دستور إنجلترا[١].كما أن تلك الفترة شهدت شيوع أفكار شبتاي تسفي بشأن إقامة مملكة في فلسطين الأمر الذي أدى إلى قيام بعض أثرياء اليهود في أمستردام إلى بيع كل ما يملكونه استعداداً للعودة، كما استأجروا سفناً لتنقل الفقراء إلى فلسطين، واعتقد البعض الآخر أنهم سيحملون إلى القدس على السحاب[٢]. وقد أولى منسّى هذه الظاهرة عناية كبيرة، خاصة وأن هؤلاء الألفيون البريطانيون هم حكام بريطانيا في عهد كرومويل.

كان منسّى مقتنعاً بأن المسيح لن يظهر إلا بعد اكتمال عقاب اليهود بتشتيتهم في كل بقاع الأرض، ولما كان اليهود لا يُسمح لهم بالإقامة في بريطانيا[٣]، فقد رأى أنه لا بد من بذل الجهود للحصول على تصريح يسمح لليهود بالإقامة في إنجلترا، حتى لا يشكل عدم وجودهم في هذا المكان –حسب اعتقاده- عائقاً أمام ظهور المسيح[٤]. فكتب منسّى إلى البرلمان الإنجليزي رسالة سنة ١٦٥٠ ملتمساً السماح لليهود بالإقامة في بريطانيا موضحاً لهم أن هذه الإقامة هي أمر مؤقت، لأن عودتهم لوطنهم الأم لن يحدث إلا إذا اكتمل تشتتهم[٥]. فاستقبل البرلمان رسالته بترحاب، وعلى الأثر بدأت اتصالات بين الطرفين، حيث قام اللورد مدلسكس Lord Middlesex (وهو الوسيط بين كرومويل ومنسّى) بإرسال

---

(1)Graetz, Heinrich: History of The Jews, Vol. 5, P28.

(2) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٥، ص٣٠٠، ٣٠١.

(3) منذ أن طُرد اليهود من إنجلترا سنة ١٢٩٠ لم يُسمح لهم بالتواجد فيها طيلة القرون الثلاثة التالية. لكن، ورغم الحظر فقد رصدت بعض المصادر وجود أعداد ضئيلة من اليهود تسللوا إلى بريطانيا واستقروا فيها، وفي هذا السياق ترد قصة عائلة آمز Ames أو آنز Anes التي دخلت بريطانيا سنة ١٥٣١، واستمرت هناك طيلة فترة حكم الملكة إليزابيث الأولى (١٥٥٨-١٦٠٣). وينتسب إلى هذه العائلة طبيب الملكة ويُدعى رودجيرو Roderigo. وقد أُعدم هذا الطبيب سنة ١٥٩٤ بتهمة محاولة تسميم الملكة. وترصد المصادر مجموعة أخرى من يهود المارانو استقرت في بريطانيا في ثلاثينيات القرن السابع عشر وهي عائلة أنطونيو فيرناندز كارفاجال Antonio Fernandes Carvajal، وهو تاجر ثري ومالك سفن. وقد عمل هذا الرجل فيما بعد في تزويد كرومويل بالمعلومات الاستخبارية فيما يتعلق بالصراع مع هولندا.
Lipman, V.: A history of The Jews in Britain Since 1858, PP.1-5.

(4)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol. 5, P28.

(5)Koblar, Franz: op. cit., Vol.2, P.510.

رسالة شكر إلى منسّى مركزاً فيها على الأخوة المسيحية اليهودية، وأرفق مع هذه الرسالة تصريحا إلى منسّى بزيارة بريطانيا(١). وقام السفير الإنجليزي في هولندا أوليفر جون Oliver St. John بزيارة الكنيس اليهودي في أمستردام في أغسطس ١٦٥١، وبدأت حوارات بشأن السماح لليهود بالإقامة في بريطانيا. لكن دخول البلدين في حرب في ذات السنة أدى إلى قطع الاتصال بين أمستردام ولندن(٢).

لقد كانت النخبة الحاكمة في عهد كرومويل واقعة تحت تأثير العهد القديم بشكل واضح، ودليل ذلك أنه عندما شكل كرومويل برلماناً من الصالحين والقديسين –في إطار إصلاحاته الداخلية سنة ١٦٥٣، كان هذا المجلس مكوناً من سبعين شخصاً حسب مجلس السنهدرين اليهودي(٣). وطالب الجنرال هاريسون General Hareson ،وهو أحد أعضاء البرلمان، بتطبيق التشريعات التوراتية في إنجلترا. ويبدو أن منسّى كان متابعاً بدقة لهذه التحولات في إنجلترا. وعندما اجتمع البرلمان في ١٦٥٣/٧/٥ أرسل رسالة أخرى للبرلمان الإنجليزي، لكن البرلمان طلب منه أن يحضر بنفسه لحضور النقاش بنفسه، ولما كانت الحرب لا زالت دائرة فقد أجّل منسّى زيارته لإنجلترا لتنفيذ هذه المهمة(٤).وعندما عقدت إنجلترا وهولندا معاهدة سلام في أبريل سنة ١٦٥٤ اعتقد منسّى أن الوقت أصبح مناسباً لتحقيق أهدافه، فقدم عريضة في أكتوبر سنة ١٦٥٤ لكرومويل يطالبه فيها بالسماح لليهود بالعيش في إنجلترا، وقرر كرومويل نقاش هذه الرسالة على وجه السرعة (٥).

وفي نفس الوقت، نشر منسّى مقالاً في الصحافة البريطانية، بيّن فيه الأسباب الموجبة لعودة اليهود إلى بريطانيا، وحصرها في نوعين الأول ديني، والآخر تجاري. والسبب

---

(1)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P33.

(2)Ibid., Vol. 5, P33.

(3) السنهدرين هي صيغة عبرية للكلمة اليونانية "سندريون" وتعني مجلس. وقد كان هذا الاسم يُطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود في فلسطين.

المسيري، عبد الوهاب: م. س.ذ.، ج٤، ص٦٣.

(4)Ibid., Vol.5, P34.

(5) السماك، محمد: الصهيونية المسيحية، ص٣٩.

الديني هو المتعلق بتشتتهم الكامل في كل بقاع الأرض قبل عودتهم. والسبب التجاري يتمثل في قدرة اليهود على زيادة كميات الصادرات والواردات، وذلك بفضل المزايا التي يمكن أن يمنحها اليهود للوضع الاقتصادي في إنجلترا، حيث أن يهود المارانو يملكون خبرات واسعة في مجال تبادل العملات والماس والخمور. وأضاف أن يهود هولندا يودعون أمـــوالهم فـــي البنوك، ويكتفون بالحصول على فائدة قدرها ٥% . إضافة إلى أن لهم علاقات وثيقـــة مـــع يهود أسبانيا والبرتغال حيث يستثمر الأخيرون أموالهم مع يهود هولندا وإيطاليا حتى يتجنبوا جشع محاكم التفتيش(١).

وعلى الأثر دعا كرومويل لعقد اجتماع في قاعـــة الوايتهـــول White Hall بتـــاريخ ١٦٥٥/١٢/٤ لنقاش مسألة منح اليهود حق الإقامة في إنجلترا من جميـــع جوانبهـــا. وقـــد حضر هذا الاجتماع اللورد جلاين Lord Chief Justice Glynn واللـــورد ســـتيل كبيـــر الباروناتLord Chief Barons Steel ، ورئيس بلديـــة لنـــدن Lord Mayor، ومـــسجل المدينة The Recorder of The City، وأربعة عشر رجل دين بارزين في الدولة(٢).

وكان أوليفر كرومويل –الذي تولى الحكم لخمس سنوات فقط ( ١٦٥٣-١٦٥٨م) من سنوات الثورة الإحدى عشرة، ويطمح أن يُخرج بريطانيا من مرحلـــة الانقـــسام الـــداخلي والحرب الأهلية، وأن يشارك هولندا في نفوذها التجاري الاستعماري فيمـــا وراء البحـــار. واستخدم ذلك مبرراً إلى جانب استعداد البيوريتان الديني الجديد لإصدار موافقـــة برلمانيـــة بالسماح لليهود بالعودة إلى بريطانيا والاستقرار فيها. وتطلع كرومويل إلى جلـــب الثـــروات والشبكة اليهودية التجارية العالمية حيوية لإنجلترا، كتلك التي جاؤوا بها إلـــى هولنـــدا بعـــد هروبهم من أسبانيا الكاثوليكية(٣).

وطرح كرومويل موضوعين للنقاش يتعلق أولهما بالإجابة على ســـؤال هـــل يُـــسمح لليهود بالإقامة في إنجلترا من الناحية القانونية؟ وإذا كان لا يوجد اعتراض قـــانوني علـــى دخولهم فتحت أي الظروف سيتم السماح لهم بالدخول؟ وأثناء النقاش شهدت لنـــدن نقاشـــات

(1)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P40.

(2)Ibid,Vol.5, P43.

(3 )Polins, Harold: op. cit., p31.

مثيرة فهنالك مشاعر مختلطة، حيث لا زالت توجد كراهية عمياء لدى أوساط واسعة من المسيحيين، لمن صلبوا المسيح، إضافة إلى الخوف من منافسة اليهود لهم في مجال التجارة. و في المقابل ظهرت مجموعات ذات نفوذ تبدي حباً أعمى لشعب الله المختار (كما فهموا من الكتاب المقدس)، ورغبة في الاستفادة مما يمكن أن توفره لهم إمكانيات اليهود التجارية. ويُضاف إلى المخاوف الآراء المسبقة بشأن قتل الأطفال ونحت العملات.

كان كرومويل ومؤيدوه مع السماح بدخول اليهود، أما أنصار الملكية والبابوية فكانوا ضد ذلك، وفي النقاش داخل الوايت هول استقر رأي رجال القانون على القول بأن قرار طرد اليهود من إنجلترا سنة ١٢٩٠ صدر عن الملك دون موافقة البرلمان، ولهذا فهو غير قانوني. لكن رجال الدين كلنوا معارضين بشدة للسماح لليهود بالإقامة في بريطانيا(١).

كان كرومويل متحمساً للسماح لليهود بدخول إنجلترا، وأيده ثلاثة من رجال الدين من بينهم هيوج بيترس Hugh Peters، واضطر كرومويل لإنهاء النقاش في ١٦٥٥/١٢/١٨ دون أن يتم اتخاذ قرار بشأن السماح لليهود بالإقامة في بريطانيا. وقد شن أعداء اليهود حملة ضد كرومويل، ومن أشهر هؤلاء وليام برين William Prynne الذي أصدر كراساً بعنوان "اعتراض قصير Ashort Demurrer" ذكر فيه أن اليهود يريدون شراء مكتبة أكسفورد، وأن يهود آسيا أرسلوا وفداً لبريطانيا ليكتشفوا هل كرومويل هو المسيح المنتظر عند اليهود أم لا؟ وحشد في هذا الكراس كل التهم القديمة ضد اليهود(٢).

وفي المقابل وجد من نادى بضرورة منح اليهود حق الإقامة في إنجلترا مثل جون ديوري John Dury، وكان جون ديوري قد أبدى اهتماماً منذ سنة ١٦٤٩ بمسألة عودة اليهود إلى فلسطين، وبعث إلى منسّى بن إسرائيل رسالة تتضمن العديد من الأسئلة عن موقفه من الموضوع، فاستثارت هذه الأسئلة اهتمام منسّى ولم يرد عليها برسالة فقط بل بكتاب، فأرسل إلى جون ديوري قائلاً "لقد كتبت لك مقالاً بدلاً من رسالة"(٣). وكذلك قام كاتب آخر يُدعى توماس كولبير Thomas Collier بتفنيد آراء براين وإثبات بطلانها،

---

(1)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P44.

(2)Ibid., Vo;.5,P45.

(3 )Koblar, Franz: op. cit., Vol.2, P.508.

وطالب باحترام اليهود مبرراً ذلك بأنهم سيصبحون عما قريب سادة الأمم، مــشيراً إلـــى أن خلاص المسيحيين مرتبط بهم(١).

وفي مارس ١٦٥٦ وجه منسّى بن إسرائيل مع مجموعة من اليهود المارانو المقيمين في لندن رسالة إلى كرومويل، أكدوا فيها للمرة الأولى رسمياً جذورهم اليهودية، وطلبوا من كرومويل أن يصدر قراراً مكتوباً يتيح لهم " حرية التجمع والعبادة في منازلهم وإقامة كنيس ومقبرة خاصين باليهود"(٢). وبالفعل فقد وافق كرومويل ولكن شــفوياً علىإقامـــة الكنـــيس والمقبرة.

لكن بخصوص السماح لليهود بالإقامة في بريطانيا بشكل كامل فقد انتظر منسّى ســتة شهور في لندن للحصول على القرار الذي يريده لكن دون جدوى، لأن كرومويل وجد أنـــه ليس من السهل الاقتراب من المسألة اليهودية، لكن منسّى لم ييأس، وبالفعل فقد نشر مقـــالاً في ١٠ أبريل ١٦٥٦ أكد فيه على نفي التهم الموجهة لليهود(٣).وغـــادر منـــسّى بريطانيـــا بتاريخ ١٦٥٧/٩/١٧محبطاً لأنه فشل في الحـــصول علـــى الإذن لليهـــود بالإقامـــة فـــي بريطانيا(٤). وعند خروجه بعث رسالة إلى كرومويل جاء فيها "أيها الأمير النبيل اعمل مـــا في وسعك لأجل الله"(٥).

إن الإطلاع على الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع خاصة مراسلات منسّى بن إسرائيل مع كرومويل ومجلس الدولة وبعض الشخصيات البيوريتانية –كما تقدم- تكشف أن قـــراراً بهذا الصدد لم يُتخذ، وأن منسّى غادر بريطانيا في سبتمبر ١٦٥٦ محبطاً. وفي هذا الإطـــار فإن المؤرخ البريطاني هارولد بولينز يعتبر أن "تحديد سنة ١٦٥٦ بدايـــة لتـــاريخ اليهـــود الحديث في بريطانيا جاء لأن اليهود حصلوا في تلك السنة علـــى تـــرخيص لبنـــاء كنـــيس ومقبرة، وهما مؤسستان في غاية الأهمية بالنسبة للحياة الدينية اليهودية"(٦).

---

(1) Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P.46.
(2) Ibid., Vol.2, P519.
(3)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P.47.
(4)Ibid., Vol. 5, P46.
(5)Koblar, Franz: op. cit., Vol.2, P521.
(6 )Pollins, Harold: op. cit., P.15.

في كل الأحوال فإن سنة ١٦٥٦ شهدت انفجار التراكم الذي حدث عبر ما يزيد على نصف قرن من النقاش والجدال والصراع متعدد الأبعاد داخل المجتمع البريطاني. وقد أسفر هذا التراكم عن وضع فكرة عودة اليهود إلى بريطانيا كتمهيد لعودتهم إلى فلسطين على جدول الأعمال القومي في بريطانيا. لكن هذه الفكرة ولدت بسيطة، ولم يستطع أصحابها إقناع المجتمع البريطاني بها، رغم أنهم استخدموا في تبريرها –كما تقدم- مسوغات نفعية تجارية. وعلى العكس من ذلك فإن أصحاب هذه الفكرة (البيوريتان) هم الذين سقطوا، بانتهاء عهد كرومويل سنة ١٦٥٨[١]. ويبقى السؤال هل ستموت هذه الفكرة في مهدها؟ أم سيُكتب لها البقاء ويشتد عودها؟

---

([1]) أبو علية، عبد الفتاح وياغي، إسماعيل: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص١٥٣، ١٥٤.

# الفصل الثاني

# اليهود وفلسطين في

# الفكر والممارسة البريطانية في القرن الثامن عشر

**المبحث الأول: جذور الفكرة الصهيونية كما وردت في الكتاب المقدس**

**المبحث الثاني:أجواء الحرية والتسامح في بريطانيا ومواصلة الاهتمام بالعهد القديم**

**المبحث الثالث: الأحداث السياسية العالمية وأثرها على الاهتمام البريطاني باليهود وبفلسطين**

# الفصل الثاني

# اليهود وفلسطين

# في الفكر والممارسة البريطانية في القرن الثامن عشر

انتهينا في الفصل السابق إلى أن الأفكار الدينية التي تبناها البيوريتان بشأن اليهود من خلال الاحتكاك المباشر مع العهد القديم وتفسيره بشكل حرفي؛ إضافة إلى حسابات التجـارة وحاجة بريطانيا إلى دور يهود المارانو ذوي الخبرة الواسعة في التجارة الدولية في القـرن السابع عشر من خلال شبكتهم المنتشرة في أوروبـا الـشرقية والغربيـة وبلـدان العـالم الإسلامي، إضافة إلى قدرتهم على التجسس وجلب المعلومات والأخبار في مجالي التجـارة والحرب على حد سواء. كل ذلك ساهم في جعـل تلـك الفئـة مـن الـشعب البريطـاني (البيوريتان) تسعى بجد للحصول على إذن يسمح لهم بالعيش رسمياً من جديد في بريطانيا.

لقد سقط حكم البيوريتان سنة ١٦٦٠، وعادت أسرة ستيوارت للحكم، وفـي عهـدهم تعرض البيوريتان للاضطهاد[١]. لكن الربع الأخير من القرن السابع عشر، وتحديـداً سـنة ١٦٨٨، ثار الشعب البريطاني ضد حكم أسرة ستيوارت، وتم تأسيس حكم أسرة هـانوفر؛ التي جاءت للحكم بناءً على اتفاق مع ممثلي الشعب تجسّد في وثيقة قانون الحقوق Bill Of Rights سنة ١٦٨٩. وبناءً على ذلك أصبح الحكم في إنجلترا حكماً ملكياً دستورياً مقيـداً؛ أُطلقت في ظلاله الحريات العامة؛ واحتُرمت حقوق الأفراد[٢]. وشهد القرن الثـامن عـشر اكتمال فصل الدين عن الممارسة السياسية وذلك بعد أن تم اصدار قانون التـسامح الـديني Act of Toleration سنة ١٦٨٩ الذي فرضت الدولة بمقتضاه الحرية الدينية للجميع مـع التركيز على حظر استغلال الدين في الممارسة السياسية[٣]، وأُطلق على القرن الثامن عشر عصر العقل.

---

(1) السماك، محمد: م. س. ذ.، ص٤١.

(2) انظر نص قانون الحقوق

Adams, George Burton: op. cit. , p. 462.

انظر ايضاً سباين، جورج: تطور الفكر السياسي،ج٣، ص٧٠١-٧٠٤.

(3) انظر نص قانون التسامح

يستهدف هذا الفصل اكتشاف مصير الفكرة الصهيونية في القرن الثامن عشر في ظل عصر العقل وتهميش دور الدين،، خاصة وأنها فكرة ذات جذور دينية، فهل يمكن لها أن تنمو وتنتشر؟ أم أنها ستذوي وتتلاشى؟ سيتناول هذا الفصل الإجابة على التساؤل السابق من خلال مباحثه الثلاثة. في المبحث الأول سيجري توضيح جذور الفكرة الصهيونية كما وردت في العهد القديم، حسب التفسير الحرفي، ويأتي الحديث عن هذا الموضوع في هذا الفصل لأن القرن الثامن عشر لم يشهد وجود أي جماعات دينية أو سياسية منظمة تدعو لتأييد إقامة الكيان اليهودي في فلسطين، ولأن المنادين بمضامين الفكرة الصهيونية في هذا القرن توصلوا لها من خلال قراءة الكتاب المقدس كما هو الحال مع جون لوك ونيوتن. أما المبحث الثاني فسيقدم صورة لأجواء التسامح والحرية في القرن الثامن عشر وكيف أثرت على اهتمام البريطانيين بالعهد القديم. والمبحث الثالث يركز على اكتشاف أثر الأحداث العالمية الكبرى في القرن الثامن عشر وأثرها على اهتمام البريطانيين باليهود، من جهة، وبفلسطين من جهة أخرى.

---

Documents Illustrative of English Church History, P.654.

# المبحث الأول

## جذور الفكرة الصهيونية كما وردت في الكتاب المقدس

تُستخدم عبارة الكتاب المقدس عند المسيحيين للإشارة إلى العهدين القـديم والجديـد. والعهد القديم مصطلح يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس، بينما يـستخدم مصطلح العهد الجديد للإشارة إلى الأسفار التي تتضمنها الأناجيل الأربعـة وإلـى أعمـال الرسل ورسائلهم (سبعة وعشرين سفراً)(١). ويشتمل العهد القديم على الـشرائع والقـوانين والشعائر والوصايا العشر التي أوصى الإله بها موسى عليه السلام، كما تحتوي على أخبار تاريخية تخص اليهود، وبالتفصيل فإن العهد القديم يحتوي على أسفار موسى عليـه الـسلام الخمسة وهي، سفر التكوين ويهتم بوصف الخليقة وأصل العبرانيين حتـى الخـروج مـن مصر. وسفر الخروج الذي يروي تاريخ العبرانيين في مصر وخروجهم منهـا. أمـا سـفر اللاويين فيعالج واجبات الكهنة والطقوس الأخرى. وسفر العدد يشتمل على تعـداد رؤسـاء الشعب وحاملي السلاح، وفيه أخبار تذمر الشعب اليهودي والتجسس علـى أرض كنعـان. والسفر الأخير هو سفر التثنية، أو تثنية الاشتراع، بمعنى إعادة الشريعة وتكرارهـا علـى الشعب اليهودي(٢).

والقسم الثاني من العهد القديم يُعرف باسم أسفار الأنبياء، ويتضمن هذا القسم ما وقـع للعبرانيين من أحداث بعد موت موسى عليه السلام عليه السلام حتى هدم الهيكل المقـدس، وهو يغطي فترة زمنية تمتد بين سنة ١٣٠٠ وسنة ٢٠٠ق.م تقريباً(٣). ويتكون هذا القسم من جزئين: الجزء الأول يختص بحياة الأنبياء المتقدمون وعدد أسفاره ستة هي سفر يوشع بـن نون الذي يروي قصة احتلال جماعة إسرائيل أرض كنعان وتقسيم الأرض بين الأسـباط أو

---

(1) بالكين، جون (وآخرون): مدخل إلى الكتاب المقدس، ص١١،١٢،
عبد الملك، بطرس: قاموس الكتاب المقدس، ص٧٦٢.
(2) بالكين، جون (وآخرون): م. س. ذ.، ص٢٣،٣٣،٤٣،
عبد الملك،بطرس: م. س. ذ.، ص٧٦٢،
انظر: وافي، علي عبد الواحد: الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام، ص١٣-١٥.
(3) المسيري عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٥، ص٨٤.

القبائل العبرانية. وسفر القضاة الذي يذكر أسماء القضاة وتاريخ بني إسرائيل في عهدهم وانتصارهم على البالستيين، وبعد ذلك يأتي سفرا صموئيل الأول والثاني اللذان يعالجان تأسيس المملكة العبرانية المتحدة وقصة داوود، وسفرا الملوك الأول والثاني وهما يغطيان فترة حكم داوود وسليمان وسقوط المملكة الشمالية ثم المملكة الجنوبية(١).

أما القسم الثالث من العهد القديم فيتكون من كتب الحكمة والأناشيد. وهي مجموعة من الأسفار التي تضم مواد تاريخية وقصصية وعددها ثلاثة عشر سفراً مرتبة كما يلي: مزامير داوود وهي أناشيد شكر للإله وتراتيل روحية. وسفر الأمثال ويتناول موضوعات مختلفة مثل مخافة الإله وطاعة الوالدين واحترام المعلمين. وسفر أيوب ويحدثنا عن النبي أيوب عليه السلام. ونشيد الإنشاد وهو من الأغاني الشعبية للأفراح والزفاف. وسفر راعوث وهي بطلة ترجع إلى عصر القضاة. ومراثي إرميا وهي قصة بكاء على أورشليم بعد تخريبها. وسفر الجامعة وهو خواطر فلسفية تقدم شرحاً لمعنى الحياة وهدفها، لكن هذا السفر يخلص إلى أن كل شئ باطل وعبثي. وسفر إستير ويتحدث عن خلاص جماعة يسرائيل على يد إستير، ويحتفل اليهود بهذه المناسبة سنوياً. وسفر دانيال يحدثنا عن سيرة النبي دانيال. أما سفر عزرا فيتحدث عن عودة العبرانيين إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل. وسفر نحميا يُعنى أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي. وسفرا أخبار الأيام الأول والثاني وهما تلخيص للوقائع التاريخية الواردة في العهد القديم منذ بدء الخليقة حتى السبي البابلي(٢).

ويضيف المسيحيون إلى ما تقدم، ما يُعرف باسم الكتب الخارجية أو الخفية (أبوكريبا) Apocrypha وهي كلمة يونانية تعني الخفي أو غير الموثوق أو غير المعترف به(٣). وهذه الكتب لا يعترف بها اليهود لأنها تنطوي على تناقض مع ما جاء في التوراة، أو أنها كُتبت

---

(1) بالكين، جون(وآخرون): م. س. ذ.، ص ٦٩،٧٦،٨٦.

(2) بالكين، جون (وآخرون): م. س. ذ.، ص ١٧٩.

انظر: وافي، علي عبد الواحد: م. س. ذ.، ص ٩-٢٥،

طويلة، عبد الوهاب: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، ص ٥٧-٦٠،

الزغبي، فتحي: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٤٧-٦٤.

(3) عبد الملك، بطرس: م. س. ذ.، ص١٨،

انظر: وافي، علي عبد الواحد: م. س. ذ.، ص٢٣.

بعد انتهاء عهد الأنبياء والوحي. وأضاف المسيحيون كذلك العهد الجديد إلى الكتاب المقدس. ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفراً مقسمة كما يلي: مجموعة الأناجيل وهي أهم المجموعات في نظرهم لأنها تروي سيرة المسيح عليه السلام وتعاليمه. والأناجيل التي يعترفون بها أربعة هي متى ومرقس ولوقا ويوحنا. ويلي ذلك سفر الأعمال وهو منسوب إلى لوقا، ثم مجموعة رسائل بولس وعددها أربعة عشر رسالة. ثم مجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع، وأخيراً رؤيا يوحنا اللاهوتي أو السفر النبوي[١].

وبالطبع فإن المسيحيين من مختلف الطوائف يؤمنون بالعهدين القديم والجديد معاً، والاختلاف بينهم يتمثل في تعدد التفسيرات والأفهام لمضمون نصوص الكتاب المقدس. وطالما أننا بصدد الحديث عن الفكرة الصهيونية فسنبدأ بالحديث عن الموقف أو التفسير الكاثوليكي لهذه المسألة. ويمكن القول أن الموقف التقليدي للكنيسة الكاثوليكية تجاه اليهود يقوم على أساس مجموعة من الافتراضات هي[٢]: أن اليهود بقتلهم المسيح قد قتلوا الإله فهم الشعب قاتل الإله. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الكنيسة، في نظر المسيحيين، هي الشعب المختار من الرب. وأصبح العهد القديم بمثابة التجسيد الرمزي المسبق للعهد الجديد. وقد أدى هذا التفسير التقليدي إلى تصور أن اليهود حين رفضوا الاعتراف بيسوع رسولاً للرب قد ضلوا وصاروا محكوماً عليهم باللعنة جراء آثامهم. لقد عاقبهم الله من قبل بأن طردهم من فلسطين، ودفعهم سبايا إلى بابل[٣]، ومع ذلك فقد تم الوعد الذي أعطاه الرب لإبراهيم، رغم خطاياهم، فبعد أن عوقبوا بالسبي في القرن السابع قبل الميلاد أعادهم قورش[٤] إلى

---

(1) عبد الملك، بطرس: م. س. ذ.، ص ٦٤٤.

انظر: وافي، على عبد الواحد: م. س. ذ.، ص٨٥-٩٠،

عبد الوهاب، أحمد: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص١٣-٣٠،

طويلة، عبد الوهاب: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، ص٦١.

(2) جارودي، روجيه: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ص٢٢٢.

(3) مظهر، سليمان: م. س. ذ.، ص٣٤٢.

(4) قورش هو ملك الإخمينيين، استطاع توحيد إقليم إيران، وكانت عاصمة مملكته مدينة قم، غزا بابل سنة ٥٣٩ق.م. ويمح لليهود الذين كانوا في الأسر هناك بالعودة إلى القدس.

فلسطين[١]، وعندما عصوا مرة أخرى، وكان عصيانهم كبيراً برفضهم الاعتراف بعيسى نبياً مكملاً للوعد عاقبهم الرب بصورة أقسى فقد قطعهم في الأرض أمماً، وفرقهم في كل أنحاء الدنيا، فلم يعد يجد السلام والخلاص من بينهم منذئذ إلا من يتحولون إلى المسيحية[٢].

وفيما يتعلق بالناحية العقائدية فإن النظرية الرسمية للكنيسة الكاثوليكية اقتضت بأن يكون تفسير معاني العهد القديم تفسيراً رمزياً، وبناءً عليه فقد فسرت العودة إلى صهيون بأنها من الناحية الرمزية تشبه عودة المسيحي إلى نقاء إيمانه[٣]، وأن نبوءات العهد القديم لشعب إسرائيل قد تحققت في مجيء المسيح وأصبحت الكنيسة المسيحية هي وريثة هذه العهود[٤]. وفي هذا السياق يقول القس مكرم نجيب يجب "أن نفسر العهد القديم في نور العهد الجديد عامة، لأن العهد القديم هو الكتب المقدسة، والعهد الجديد هو تفسير هذه الكتب .. وفهم العهد القديم يجب أن يكون في ضوء شخصية يسوع حيث تجمعت كل الأفكار بشأن المسيح في العهد القديم"[٥]. ويؤكد القس مكرم نجيب على أن ما ورد في سفر الرؤى يجب أن يُفهم على أنه أسلوب للكتابة لتوصيل رسالة وليس وصفاً لشيء قد حدث بالفعل[٦]. ولكن منذ بدأ عهد الإصلاح الديني وما رافقه من ترجمة للعهد القديم أخذت تشيع في أوساط المسيحيين البروتستانت التفسيرات الحرفية للنبوءات والمفاهيم التي تتعلق بالشعب المختار والعهد الإلهي والأفكار الألفية وأرض صهيون، وفيما يلي استعراض لهذه المفاهيم، التي هي أساس وجوهر الفكرة الصهيونية، كما وردت في الكتاب المقدس حسب التفسير الحرفي.

**الشعب المختار والعهد الإلهي**

مصطلح الشعب المختار هو ترجمة للعبارة العبرية ( هعم هنبحار). ويعني هذا المفهوم أن اليهود شعباً مقدساً في الماضي والحاضر والمستقبل، ولهذا السبب يشار إلى

---

(1) مظهر، سليمان: م. س. ذ.، ص٣٥٠.

(2) جارودي، روجيه: م. س. ذ.، ص٢٢٣.

(3) جارودي، روجيه: م. س. ذ.، ص ٢٢٢،

انظر: مكدويل، جوش: برهان يتطلب قراراً براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي، ص١٧٣-١٨٥.

(4)ن. م.، ص٢١٧.

(5) نجيب، مكرم: قراءة عربية للمجئ الثاني للمسيح، ص٢٤.

(6)ن. م.، ص٣٢.

الشعب اليهودي بأنه (عام قادوش) أي الشعب المقدس. و(عام عولام) أي الشعب الأزلي، و(عام نيتساح) أي الشعب الذي يستحق الحياة الأبدية[١]. ويتعرض موفق محادين لهذا الموضوع بقوله أن اليهود "ليسوا فقط الجنس المتفوق بل ينتمي لمجموعة مغايرة من البشر، فاختلافهم عن البشر ليس اختلاف درجة بل اختلاف نوع"[٢]. وقد تعرضت أسفار العهد القديم لمفهوم الشعب المختار في مواطن عديدة حيث تعرض سفر التثنية في أكثر من موضع لاختيار الرب لشعب إسرائيل والعهد الذي قُطع في سيناء بين الله وشعبه إسرائيل، والصيغة التي عُرض بها تتماشى مع النمط الذي كان سائداً للمعاهدات في الشرق الأوسط قديما، وقد اشتهر الملوك الحيثيون بمثل هذا النوع من المعاهدات[٣]؛حيث كانت تتضمن خلفية تاريخية ثم قائمة من الالتزامات ثم الترتيبات اللازمة لحفظ العهد. ويقدم لنا سفر التثنية هذا النموذج في شكل ثلاثة خطابات ألقاها موسى عليه السلام على الشعب قبل أن يموت مذكراً إياهم بمعنى كونهم شعب الله[٤]، والنص الأكثر تحديداً في هذا السفر هو "لأنك شعب مقدس للرب إلهك. فقد اختارك الرب لكي يكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"[٥]. وقد وردت كلمة شعب مقدس في سفر التثنية في مواضع عديدة منها "لأنك شعب مقدس للرب إلهك" (١٤: ٢١)، "وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك" (٢٦: ١٩)، "يقيمك الرب لنفسه شعباً مقدساً" (٢٨: ٩). وكلمة شعب مقدس في العهد القديم تعني الشعب الطاهر المشع المخصص لخدمة الرب[٦]. والفكرة نفسها تتواتر في سفر اللاويين رغم أن هذا السفر خاص بالحديث عن التشريعات للحياة وللعبادة، إلا أنه يورد هذه التنظيمات والشرائع في إطار قصصي يوضح كيف يكون شعب العهد على علاقة سليمة مع الله، إضافة إلى كيفية معيشة هذا الشعب كشعب الله في هذه الحياة[٧]: " أنا الرب إلهكم الذي

---

(1) مظهر، سليمان: م. س. ذ.، ص ٣٦٨.

(2) محادين، موفق: دورة الدين اليهودي، ص١٢١.

(3)سبرول، ر.ك: حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ص٧٩.

(4) بالكين، جون (وآخرون): م. س.ذ.،ص٦٠.

(5) الكتاب المقدس: سفر التثنية، (٢/١٤)

(6) داندسن، فرانسس (وآخرون): تفسير الكتاب المقدس، ج١،ص ٤٣٦.

(7) بالكين، جون (وآخرون): م. س. ذ.، ص٤٣.

ميزكم عن الشعوب وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب. وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي"[١]، والمقصود بعبارة "وتكونوا لي" في التفسير الرسمي للكنيسة الكاثوليكية أن شعب الله يجب أن يحفظ عهده وأن يلتزم به[٢]، لكن القراءة الحرفية ترى أن هذه الآية دليل إضافي على القداسة المطلقة لشعب إسرائيل.

إن القراءة الحرفية لآيات الكتاب المقدس سابقة الذكر تكشف أن الإله لم يختر اليهود بوصفهم شعباً وحسب بل اختارهم كجماعة دينية قومية توحدها أفكارها وعقائدها وقد عرضت الرسالة على شعوب الأرض قاطبة، فرفضت هذه الشعوب حملها وحملها الشعب اليهودي وحده. وقد حولهم هذا الاختيار إلى أمة مقدسة لها دينها وقوميتها. وقد اختار الرب إبراهيم لنقائه، واختير اليهود لأنهم من نسله. ويتعرض سفر التكوين كذلك لمسألة الشعب المختار وهو يحكي تاريخ العالم من بدء تكوين السماوات والأرض، وقصة آدم وحواء، ونوح والطوفان وأولاده سام وحام ويافث، ونسل سام إبراهيم وإسحق ويعقوب والعهد بين الخالق وشعبه حيث يخاطب الله إبراهيم[٣] : " أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك بعد أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم، لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم"[٤]. ويقرر الرب الختان علامة على العهد "فتختتنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم"[٥]. وينفذ إبراهيم هذا الأمر "في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل"[٦] . وقد أصبح الختان هو محك الديانة اليهودية فيما بعد، كما أن تنفيذ إبراهيم للمهمة في ذلك اليوم عينه هو إحدى المزايا التي جعلت إبراهيم يستحق العهد بأن تكون وراثة النبوة في ذريته من بعده، وأن يستمر شعبه شعباً مقدساً[٧]. ومنح الله العهد لإبراهيم ونسله قائلاً: "

---

(1) الكتاب المقدس: سفر اللاويين، (٢٠: ٢٤-٢٦)

(2) داندسن، فرانسيس(وآخرون): م. س. ذ.، ج١، ص٣١٨.

(3) بالكين، جون (وآخرون): م. س. ذ. ، ص٣١.

(4) الكتاب المقدس: سفر التكوين (١٧/٥،٤).

(5) الكتاب المقدس: سفر التكوين (١٧/١١).

(6) الكتاب المقدس: سفر التكوين (١٧/٢٦).

(7) داندسن، فرنسيس (وآخرون): م. س. ذ.، ج١، ص١٧٧.

عامر، عبد العزيز: بنو إسرائيل شعب الله الذي كان مختاراً، ص١١٧-١٢٧.

وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك على مدى أجيالهم، عهداً أبدياً، لأكــون لــك إلهك ولنسلك من بعدك. وأُعطيك الأرض التي أنت نازل فيها لك ولنسلك من بعــدك، كــل أرض كنعان، ملكاً مؤبداً، وأكون لهم إلهاً"(١). وقد حاول إبراهيم حصر العهد في إســماعيل وذريته، لكن آيات الكتاب المقدس تذكر أن الله جعلها في يعقوب: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، إثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمــة كبيــرة، ولكن عهدي أُقيمه مع إسحق الذي تلده سارة في هذا الوقت في السنة الآتية"(٢).

كما توضح آيات التوراة أن الإله اختار الشعب اليهودي حتى يكون خادمــاً لــه بــين الشعوب وليكون أداته التي يصلح بها العالم ويوحد بها بين الشعوب. وهذا يعني أن الاختيار ليس له ميزة، وإنما هو تكليف إلهي يعني زيادة المسؤوليات والأعباء: "إياكم فقط عرفت من بين جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم"(٣)، واستخدام لفظ "من بين جميــع القبائل" يعني تمييزاً لشعب إسرائيل عن غيرهم(٤). وكثيراً مــا يلاحــظ أن الأنبيــاء كــانوا يعنفون الشعب لفساده الأخلاقي ولاتباعه طرق الشعوب الوثنية الأخرى، وهذا تأكيــد علــى مقولة اصطفاء الشعب. كما أن الاختيار غير مشروط ولا سبب له، فهو من إرادة الإله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر، الإله الذي اختار الشعب ووعده بــالأرض، ولــيس لأي إنسان أن يتدخل في هذا.

ويستدل مما ورد في آيات العهد القديم –حسب الفهم الحرفي لها- أن الاختيار وقطع العهد- لا علاقة له بالخير أو الشر، ولا بالطاعة أو المعصية فهو لا يسقط عن الشعب اليهودي حتى لو أتى هذا الشعب بالمعصية، إذ أن حب الإله للشعب المختار يغلب على عدالته، ولذلك لم يرفض الإله شعبه كلية، في أي وقت من الأوقات مهما تكن شرور هذا الشعب، وذلك خلافاً خلافاً لما يؤمن به الكاثوليك والأرثوذكس بشأن الشروط الواجب توافرها في

---

(1) الكتاب المقدس: سفر التكوين: (١٧: ٧، ٨).

(2) الكتاب المقدس: سفر التكوين (٢٠،٢١/١٧).

(3) الكتاب المقدس: سفر عاموس (٢/٣).

(4) داندسن، فرانسيس (وآخرون): م. س. ذ.، ج٤، ص٤١٢.

الشعب وارث العهد[١]. وفي النهاية اكتسب مفهوم اختيار اليهود أبعاداً عرقية قومية. هذا ما فهمه الإنجليز (وسائر الأوروبيين) من خلال القراءة الحرفية للعهد القديم والجديد. لكن التفسير الكاثوليكي للكتاب المقدس يركز على أن العهد الأساسي بين الله وبين البشر كان عهد أعمال، وأن الله طلب من اليهود في هذه الأعمال طاعة تامة وكاملة لأوامره، وهدد الإنسان بالموت إذا عصا أوامر الله. ويرى الكاثوليك أن كل البشر بدءاً من آدم حتى الوقت الراهن هم بلا مفر أعضاء في هذا العهد. وقد يرفض الناس أن يطيعوا أو حتى أن يعترفوا بوجود مثل هذا العهد، غير أنه لن يمكنهم إطلاقاً الفرار منه، فكل البشر في علاقة عهد مع الله، وهم إما حافظون لهذا العهد أو منتهكون له. وعهد الأعمال هو أساس الحاجة للفداء[٢] في الفهم الكاثوليكي[٣].

بناءً على ما تقدم يمكن القول أن دارسي الكتاب المقدس، حسب التفسير الحرفي، سيخرجون بقناعة أكيدة أن اليهود هم شعب موحد له شخصيته القومية التي لا تقبل الذوبان لأن الله اختاره من بين كل الشعوب، وأضفى عليه قدراً من قداسته، وكتب له أن يستمر كشعب موحد رغم كل ظروف الشتات. وأن الله عهد إلى هذا الشعب بحمل الأمانة التي عجز الآخرون عن حملها. وأن العهد سيستمر في بني إسرائيل إلى يوم القيامة (بني إسحق)، وليس بني إسماعيل (أبو العرب)، حسب نصوص الكتاب المقدس سابقة الذكر.

**الأحلام والعقائد الألفية:**

الألفية ترجمة للكلمة Milliniarism الإنجليزية ومعناها تحتوي على ألف. وثمة نزوع إنساني عام للإيمان بأن الحياة الإنسانية عند كل انتهاء لألف عام جديدة تتعرض لتغيرات جذرية. ومن ثم فقد ظهر الإيمان في كثير من الحضارات بأن العالم يشهد، في نهاية كل ألف سنة، انتهاء دورة زمنية، وتصاحب هذه النهاية عادة أحداث ضخمة. والفكرة الألفية

---

([1]) عامر، عبد العزيز: م. س. ذ.، ص١٣٥-١٤٠.

([2]) تشير لفظة فداء في العهد الجديد إلى الخلاص من الخطيئة ومن نتائجها ببذل الجهد في خدمة الله. وقد أكمل المسيح الفداء عندما قدم نفسه وافتدى جميع من كانوا تحت رق العبودية أي جميع البشر الذين بدأت خطيئتهم منذ آدم.

عبد الملك، بطرس: م. س. ذ.، ص ٦٧٢.

([3])سبرول، ر.ك: م. س. ذ.، ص ٨١.

متواترة في كثير من الحضارات[١]. وقد أوردنا في الفصل التمهيدي ما يثبت أن حروب الفرنجة كانت نتيجة انتشار الأفكار الألفية في نهاية الألف الأولى للميلاد.

والعقائد الألفية هذه لم يأت لها أي ذكر في العهد القديم، أما العهد الجديد فإنه يركز عليها خاصة في سفر يوحنا اللاهوتي "أبوكاليبس" Apocalyps، وكلمة أبوكاليبس كلمة يونانية تعني الكشف عن الغيب وخصوصاً عن آخر الأيام[٢].ويعتقد المسيحيون أن الله أوحى من خلال هذا السفر ليوحنا في أواخر القرن الأول الميلادي، عندما كان يتعرض للاضطهاد هو والمسيحيين في منطقة آسيا الصغرى، يثبت فيه عزيمتهم ويحضهم على الثبات رغم المحن[٣].

تبدأ الرؤيا بمشهد باهر يظهر فيه المسيح ممجداً ويشتمل على ما سيحدث في آخر الزمان من مصائب وأحداث رهيبة وحروب تنتهي بهزيمة إبليس وجنده. وتنتهي الرؤيا بوصف الحالة التي ستنتهي إليها الأمور، حيث يتم النصر لله وللمسيح في السماء والأرض، ويتحقق الخلاص النهائي للمؤمنين[٤]. ومعظم الأفكار الأخروية وسائر الأساطير الخاصة بآخر الأيام ونهاية الزمان والعقيدة الألفية وردت في العهد الجديد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، خاصة عند الحديث عن عودة المسيح الثانية وحكمه العالم، والنص يقول: " ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله. والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقياً. ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد...... وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب. ورأيت ملاكاً واحداً واقفاً في الشمس فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء هلم اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم لكي تأكلي لحوم

---

(1) محادين، موفق: م. س. ذ.، ص١٠٤، ١٠٥.
نجيب، مكرم: قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح (المزاعم الصهيونية لنهاية التاريخ، ص١٤.
(2)ن. م.، ص١٤.
(3) سترونج، ماري: سفر الرؤيا والأزمنة الأخيرة، ص ١٠٠.
(4)ن. م.، ص ١٠١.

ملوك ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل والجالسين عليها ولحوم الكل حراً وعبداً صغيراً وكبيراً"[١] وسيدخل هذا المسيح المعركة النهائية- معركة هرمجدون- ضد ملوك الأرض الذين يساعدهم الشيطان فيلحق بهم جميعاً الهزيمة النكراء[٢].

تتكون هرمجدون من كلمتين عبريتين "هار" بمعنى تل، و"مجدو" وهي اسم مدينة في فلسطين وتقع بالقرب منها جبل الكرمل وهو ذا أهمية استراتيجية، الأمر الذي جعل المدينة حلبة لكثير من المعارك العسكرية في العالم القديم. وهرمجدون هي الموضع الذي ستجري فيه المعركة الفاصلة والنهائية بين ملوك الأرض تحت قيادة الشيطان، ضد القوى التابعة للإله في نهاية التاريخ، وسيشترك فيها المسيح الدجال، حيث سيكتب النصر في النهاية لقوى الخير وستعود الكنيسة لتحكم وتسود مع المسيح على الأرض لمدة ألف عام، وبعدها ستأتي السماوات الجديدة والأرض الجديدة والخلود، وقد ورد ذكر هرمجدون مرة واحدة في العهد الجديد " فجمعهم إلى الموضع الذي يُدعى بالعبرانية هرمجدون"[٣]. ويرتبط كل هذا بعودة اليهود إلى أرض الميعاد مرة أخرى، فهذا شرط الخلاص. ثم يبدأ المسيح حكمه الثاني والنهائي، ويبعث كل البشر المحسن منهم والمسئ، وذلك لمحاسبتهم ومجازاتهم. وينتهي الزمان ويبدأ حكم مدينة الإله وتختفي مدينة الأرض[٤].

ويقتضي تحقق العصر الألفي وبداية الألفية السعيدة التي يحكم فيها المسيح استرجاع اليهود إلى فلسطين تمهيداً لمجيء المسيح، وعملية الاسترجاع هذه هي مركز وعصب العقيدة الألفية. ويرى الاسترجاعيون أن عودة اليهود إلى فلسطين هي بشرى الألف عام السعيدة، وأن الفردوس الأرضي الألفي لن يتحقق إلا بهذه العودة[٥]. كما يرون أن اليهود هم شعب الله المختار القديم أو الأول؛ باعتبار أن المسيحيين هم شعب الله المختار الجديد أو الثاني. ولذا فان أرض فلسطين هي أرضهم التي وعدهم الاله بها ووعود الرب لا تسقط حتى وان خرج الشعب القديم عن الطريق ورفض المسيح وصلبه وبناءً عليه فإن كل من

---

([1]) الكتاب المقدس: رؤيا يوحنا (١٩/١١-١٩).

([2]) محادين، موفق: م. س. ذ.، ص١٠٩.

([3]) الكتاب المقدس: رؤيا يوحن(١٦/٦).

([4]) تسمرلنغ، ديتر: النهايات الهوس القيامي الألفي، ص٧٥.

([5]) محادين، موفق: م. س. ذ.، ص١١٠، ١١١.

يقف في وجه هذه العودة يعتبر من أعداء الإله ويقف ضد الخلاص المسيحي، فأعداء اليهود هم أعداء الإله(١).

إن أي محاولة لقراءة ما بين السطور وما وراء الكلمات التي ترد في إطار الحديث عن تقديس الشعب اليهودي تكشف بجلاء أن هذه النظرة لا تنطوي على حب لليهود، بل إن هذا التقديس لليهود يضمر كرهاً عميقاً لهم ورفضاً شاملاً ولوجودهم، ذلك أن مفهوم الاسترجاع يعني وجود شعب مختار متماسك يرفض الاندماج في شعب آخر، ولذا لا بد من نبذه. وقد رأينا في الفصل الأول من هذا البحث موقف مارتن لوثر من اليهود، حيث نظر لهم في البداية، في العشرينات من القرن السادس عشر، بعين الاحترام واعتبر اليهود المعاصرين له هم شعب الله القديم، وأوصى بالإحسان إليهم. لكنه بعد ذلك بعشرين عام دعا إلى نبذهم بعد أن اتهمهم بأبشع التهم. لكنه رغم ذلك دعا إلى تسهيل وصولهم إلى فلسطين، بمعنى نبذهم وإخراجهم من ألمانيا.

إن المطالبة باسترجاع اليهود إلى فلسطين لا يعني بالضرورة تبرئة اليهود من دم المسيح، بل على العكس من ذلك، فالاسترجاعيون يذهبون إلى أن اليهود أنكروا المسيح وصلبوه، وأن عملية استرجاعهم إن هي إلا جزء من عملية تصحيح هذا الخلل التاريخي، وجزء من عملية تطهيرهم من آثامهم. وبناءً عليه فاليهود ليسوا مركز الخلاص، بل هم مركز الخلل وسببه. والخلاص لا يمكن أن يتم إلا بتطهير مركز الخطيئة والخلل.

تذهب العقيدة الألفية الاسترجاعية –كما بيّنا سابقاً- إلى أن عملية الخلاص النهائي على يد المسيح المنتظر ستصاحبها معارك ومذابح تصل ذروتها في معركة واحدة أخيرة (هرمجدون)، وهي معارك سيروح ضحيتها عدد كبير من البشر(٢). الأمر الذي يفسح المجال للقول أن أصحاب هذه العقائد يريدون دفع اليهود لكي يكونوا هم ضحايا هذه المعارك التي ستدور على أرض فلسطين، حسب اعتقادهم، وربما هذا يعني أن هذه الطائفة من المسيحيين تريد أن تحقق لنفسها الخلاص وأن تفتدي نفسها بتقديم اليهود للذبح، وما

---

(1) تسمرلنغ، ديتر: م. س. ذ.، ص ٧٧.

(2)محادين، موفق: م. س. ذ.، ص١٠٩.

يساعد على مثل هذا القول هو عقيدة الفداء التي يؤمن بها المسيحيون والتي سبق الإشارة إليها. وخلاصة القول فإن

العقيدة الألفية الاسترجاعية هي عبارة عن مفهوم يجعل من اليهود وسيلة وأداة نافعة وأساسية لخلاص المسيحيين، ولكنها لا قيمة لها في حد ذاتها، فهم يستمدون قيمتهم من مقدار أدائهم لوظيفتهم ومقدار تعجيلهم لعملية الخلاص المسيحية.

**أرض الميعاد**

الأرض هي المقابل العربي لكلمة "أرتس" العبرية، وتسمى أرض إسرائيل (فلسطين) "أرض الرب"(١)، وهي الأرض التي يرعاها الإله(٢). وقد وردت، في سفر زكريا عند الحديث عن نية الله إعادة بناء أورشاليم واستعادة ازدهارها بواسطة التدخل الإلهي المباشر، أوصافاً عديدة للأرض منها "الأرض المختارة"، و"صهيون" التي يسكنها الرب و"الأرض المقدسة"(٣) (٤) التي تفوق في قدسيتها أي أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار. وهي كذلك "الأرض البهية"(٥). وتعاليم التوراة لا يمكن أن تنفذ إلا في الأرض المقدسة. وقد جاء في سفر أشعياء أنه "لا يقول ساكن أنا مرضت. الشعب الساكن فيها مغفور الإثم"(٦).

والأرض المقدسة هذه هي أرض الميعاد، لأن الإله وعد إبراهيم وعاهده على أن تكون هذه الأرض لنسله. وهي أرض الميعاد التي سيعود إليها اليهود تحت قيادة الماشيح، أي الأرض التي ستشهد نهاية التاريخ.

وقد تضخم الحديث عن الأرض وعن ارتباط اليهود بها. وكان من أهم المشكلات التي ناقشتها آيات الكتاب المقدس بشأن الأرض هي مشكلة حدودها، فقد جاء في سفر التكوين أن الإله قد قطع مع إبراهيم عهداً قائلاً: " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر

---

(1) الكتاب المقدس: يوشع (٣/٩).

(2) الكتاب المقدس: التثنية (١٢/١١).

(3) داندسن، فرنسيس(وآخرون): م. س. ذ.، ج٤، ص٥٣٢.

عامر، عبد العزيز: م. س. ذ.، ص ٣٢٩-٣٤٧.

(4)الكتاب المقدس: زكريا (١٢/٢).

(5) الكتاب المقدس: دانيال (١٦/١١).

(6) الكتاب المقدس: أشعيا (٢٤/٣٣).

إلى النهر الكبير نهر الفرات"(١). ولكن في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر العدد توجد خريطة مغايرة حددت على أنها "أرض كنعان بتخومها". وحددت التخوم بشكل يختلف عن خريطة سفر التكوين. وقد حل الحاخامات هذه المشكلة بأن شبهوا الأرض بجلد الإبل الذي ينكمش في حالة العطش والجوع ويتمدد إذا شبع وارتوى. وهكذا الأرض المقدسة تنكمش إذا هجرها ساكنوها من اليهود، وتتمدد وتتسع إذا جاءها اليهود من بقاع الأرض(٢).

ومن المشكلات المذكورة أيضاً بشأن الأرض مشكلة ملكيتها. فرغم أن الأرض المقدسة عبر تاريخها كان يقطن فيها في معظم الأحيان، شعب غير مقدس. فمنذ بداية تاريخها وحتى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد، كان يقطن فيها الكنعانيون والبالستيون ثم قطن فيها اليهود بضع مئات من السنين، ثم توافدت عليها بعد ذلك أقوام أخرى، إلى أن اختفى أي وجود يهودي حقيقي سنة ٧٠ ميلادي. رغم ذلك فإن نصوص العهد القديم تتجاهل كل هذه الأشياء ويؤكد على ملكية اليهود لهذه الأرض.

لقد قال الرب لموسى عليه السلام في نص سفر العدد(٣) "كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون جميع مرتفعاتهم، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكونون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومنافس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم".

أما سفر التثنية فلا يقتصر على أن يطلب اغتصاب الأرض وطرد أصحابها الأصليين، بل إنه يطلب ارتكاب مذبحة: "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك ودفعهم الرب إلهك أمامك، وضربتهم

---

(1) الكتاب المقدس: التكوين (١٨/١٥).

(2) لمزيد من التفاصيل في التناقض بشأن حدود الأرض انظر:
عامر، عبد العزيز: م. س. ذ.، ص٢٠٣-٢١٣.

(3) الكتاب المقدس: سفر العدد (٥١/٣٣، ٥٢، ٥٥، ٥٦).

فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم"[١]، ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء"[٢]. وورد في سفر يشوع: "وصعد الشعب إلى المدينة (أريحا) كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف"[٣].

يتضح من خلال استعراض النصوص الواردة بشأن أرض الميعاد في الكتاب المقدس أنها تحمل من الأوصاف ما يجعلها تليق بمقام الشعب المختار المقدس، وكأن الشعب والأرض خُلقا ليكون كل منهما للآخر. كما توضح النصوص صراحة أن ملكية هذه الأرض هي حق لليهود، وأن هذا الحق يجب أن يمارسه اليهود مستخدمين أقصى درجات العنف والدموية، حتى يستأصلوا من هذه الأرض كل ساكنيها من غير الشعب المقدس، حسب رؤيتهم الدينية. وبعد هذا الاستعراض، يمكن للمرء أن يتصور ما يمكن أن تفعله هذه المفاهيم في أذهان وعقول المؤمنين بالكتاب المقدس، والمفسرين له بطريقة حرفية! خاصة إذا ما توفرت أجواء من الحرية والتسامح تتيح للناس حرية التفكير والاعتقاد والتعبير عن الرأي!

---

(1) الكتاب المقدس: سفر التثنية (١/٧، ٢).

(2) الكتاب المقدس سفر التثنية(٢٤/٧).

(3) الكتاب المقدس: سفر يشوع(٢٠/٦).

## المبحث الثاني

## أجواء الحرية والتسامح ومواصلة الاهتمام بالعهد القديم.

كان القرن الثامن عشر قد افتتح بمقالات جون لوك عن التسامح والحكومة المدنية وحرية الأفراد وحقوقهم. وتكتسب أفكار جون لوك أهميتها من كونه عمل مستشاراً للملك وليام أورانج وزوجته ماري حتى وفاته، وهذا يعني أن فكر التسامح أصبح موضع احترام الملك والطبقة السياسية(١). وقد وردت هذه الأفكار في كتابيه: مقالتين عن الحكومة المدنية "Two Treatises of Civil Government"والكتاب الآخر هو رسالة تتعلق بالتسامح "Letters Concerning Toleration". وفي الكتاب الأول رفض فكرة الحق الإلهي للملوك ونادى بحرية الإنسان في تقرير مصيره وبالمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية(٢).

وقد رفض جون لوك في المقالة الثانية هيمنة الأسرة المالكة على الدولة، وهاجم دعوات الملوك لإخضاع الشعوب استناداً إلى فكرة الحق الإلهي للملوك، واعتبر أن إكراه الناس على الطاعة للملك ليس من حقه(٣). وقد استند لوك في تدعيم مقولته هذه إلة تفسيره لحالة الفطرة (الحالة الطبيعية) التي تميزت -في نظره- بخاصيتين هما الحرية والمساواة، فقد عاش الإنسان في حالة الفطرة على الطبيعة ينعم بحياة يسود فيها حب الخير والتسامح، والعمل المتبادل والقناعة والتعاون، ومراعاة حقوق الآخرين حيث عاش الإنسان وهو سعيد في ظل قانون الطبيعة الذي يتساوى فيه الجميع كل بقدر عمله واجتهاده، فصار مبدأ الحرية هو مبدأ الفطرة الذي يجب أن ينعم في ظله كل إنسان بالحرية والإخاء والمساواة، ومن ثم فقد أصبح عليه ألا يتنازل عن هذا الحق الطبيعي في الحرية إلا بمحض إرادته الخاصة ولمن يشاء(٤).

---

(1) شوفالييه، جان جاك: تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية، ص٣٦٨.

(2)Webber, R: Modern England, pp. 34, 35, 41.

(3) عباس، راوية: جون لوك، ص١٠٥.

(4)Locke, John: Two Treatises of Civil Government, P.123.

رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ج٣،ص١٩٧.

وواصل لوك تفسيره قائلاً أن حق الملكية والمحافظة عليها أصبحت من الأمور العسيرة في حالة الطبيعة إذ جار البعض على حقوق جيرانهم وطمع الآخرون في أملاك البعض، فنشأت حالة من الصراع الدموي واغتصاب الملكيات وانتشر الشعور بالسخط والظلم والحسد والغيرة والكراهية بين الناس لأن القوي تغلب على الضعيف، وانقلبت الأمور من حالة السلام والأمن إلى حالة الحرب والخوف والكراهية[١]. وبلغت هذه الحالة بالإنسان إلى التخلي عن الخصائص والخصال التي تحلى بها في الحالة الطبيعية، فبدأ في البحث عن حالة اجتماعية يتكتل فيها مع غيره وينضم إليهم بقصد تكوين مجتمع سياسي أو مدني. وبعد تحول المجتمع من الشكل الطبيعي الأول إلى الشكل المدني؛ فكان على الناس أن تتفق طواعية أو تتعاقد وتتحد في مجتمع يكفل لها الحياة الآمنة دون أن يحدث ما يقوض أمن هذه الحياة وكان ذلك عن طريق العقد الإجتماعي[٢].

والعقد الاجتماعي هو تعاقد يضم طرفين هما الشعب والحكومة أو الملك، ولا يصبح العقد لاغياً إلا إذا أخل أي طرف منهما بالتعاقد، فإذا حدث وأهمل الملك في مسؤولياته تجاه الشعب أو أخل بتعهداته أو تعدى السلطات التي خولها له الشعب تعين عزله[٣]. وبموجب هذا العقد يتنازل الأفراد عن حقهم في الحرية المطلقة وفق قانون الطبيعة، ويتنازلون عن حق استخدام القوة للحاكم أو الملك الذي يجب أن يستخدم هذه القوة وفق القانون. وضماناً لعدم التعسف فقد دعا جون لوك إلى فصل السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية، وجعل المكانة العليا للسلطة التشريعية دون أن يعطيها تفويضاً مطلقاً فهي في نظره مقيدة بالحفاظ على الحقوق الطبيعية للشعب وبنصوص العقد الاجتماعي[٤].

---

سباين، جورج: م. س. ذ.، ج٣، ص٧٠٥.

(1)Locke, John: op. cit., P.164.

(2) رسل، برتراند: حكمة الغرب،ج٢، ص١١٤.

كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٥١.

شوفالييه، جان جاك: م. س. ذ.، ص٣٨١.

(3) Locke, John: op. cit., P.164.

(4) رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الفرية، ج٣، ص٢٠٦.

كرم، يوسف: م. س. ذ.، ص١٥١.

أما كتابه رسالة في التسامح ، فهو يعالج فكرة الحرية الإنسانية في أبعد معانيها وذلك بالتأكيد على ضرورة الفصل بين السلطة الدينية أو الكنيسة والسلطة المدنية(١). حيث تمارس كل سلطة اختصاصاً معيناً لا دخل للأخرى به، ويقول لوك في مهام السلطة المدنية أنه "لما كان من واجب الحاكم المدني تنظيم شؤون الناس في الحرية والملكية والحياة، فهـذه أمـور تختص بها سلطة الدولة والقوانين ولا دخل للدين والإيمان بها"(٢).

يشير لوك في هذا النص إلى أن اختصاص السلطة المدنية ينحصر في كل ما يتعلـق بالمصالح المدنية والأمور المتعلقة بالحياة الشخصية، ومن ثم فلا محل لتدخل السلطة الدينية في شؤونها، لذلك فإنه من الضروري أن تنفصل القوانين التي تنظم مصالح الناس عـن أي تأثير ديني عليها، فتظل القوانين المدنية في معزل عن التسلط الديني(٣)، ويقصد لوك بـذلك رفض أي تدخل أو تأثير للعقيدة المسيحية على القوانين المدنية، لأنه من الضروري أن تظل قوانين الدولة في استقلال كامل عن الإيمان الديني ولذلك فليس هناك وجود لدولـة الإيمـان المسيحية لأن تشريع الدولة مستقل عن الشريعة المسيحية وغير مقيد بتعاليمها(٤).

ويرى لوك أن الدولة الحقيقية هي التي تلتزم بكفالة كافة الحقوق لجميع أفرادهـا بمـا في ذلك حرية العقيدة التي يمارسها الأفراد بأوسع معانيها، لذلك فمن واجبات الحكومة أيضاً أن تجيز كل أنواع العبادة ولا تتدخل بتوقيع الجزاءات على الأفراد والذين يقترفون الآثام إلا إذا أضرت بمصالح وحقوق الآخرين(٥). مما سبق يتضح أن الأجواء التي بدأت تـشيع فـي إنجلترا مع مطلع القرن الثامن عشر هي أجواء تكفل حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير عـن الرأي،ولذلك فإنه ورغم أن القرن الثامن عشر كان يُسمى عصر العقل، بمعنى أن العقل هو الحكم والفيصل على الأمور بعيداً عن الدين ومعتقداته، لكن جو الحريـة والتـسامح مكـن الكثيرين من الإدلاء بآرائهم مهما كانت مخالفة للرأي السائد فـي المجتمـع، وهـذا جعـل

(1) عباس، راوية: م. س. ذ.، ص١١٧.

(2) Locke, John: Aletter Concerning Toleration, P3.

(3) عباس، راوية: م. س. ذ.، ص١١٨.

(4 )Locke, John: Aletter Concerning Toleration, P2.

(5 )Ibid, P2.

الكثيرين من رجال الدين المسيحيين البروتستانت تجاهر بما تعتقده وفق قراءتهـا الحرفيـة للعهد القديم.

وما لبثت عملية الإحياء والعودة لدراسة نص الكتاب المقدس وأسفار الرؤى خصوصاً أن وجهت عقول الناس إلى اليهود الذين كانوا ذات يوم شعب الرب المختار، وإلى الاهتمـام بحالهم ومآلهم. ولم تكن عملية الإحياء الديني تسعي إلى تقليد حياة التقوى البسيطة للكنيـسة البدائية، بل استهدفت دفع المسيحيين إلى تأمل ومناقشة ما يخبؤه المستقبل للمسيحيين وللعالم ككل على ضوء تحقق النبوءات القديمة بشأن الأيام الأخيرة، عندما سيكون الشر والأشـرار قد رحلوا عن الأرض، ويكون المسيح قد جاء مرة ثانية لتدشين سيادة الحق والعدالة مع كل من الإخوة والحرية والسلام. كما ينطوي تحقيق هذه النبوءات على مصير اليهود وإعـادتهم إلى أرض أجدادهم وعودتهم القلبية الصادقة إلى الرب.

وفي هذا السياق اهتم جون لوك نفسه بالمسألة وساهم في قضية مناصرة قضية عودة اليهود إلى فلسطين. جاء ذلك في سياق تعليقه على رسائل القديس بولس حيث كتب يقول أن الله قادر على جمع اليهود في كيان واحد، وجعلهم في وضع مزدهر في وطنهم[١]. حتـى أن عالم الطبيعة إسحق نيوتن أكد في كتابه "ملاحظات حول نبوءات دانيال والقديس يوحنـا" أن اليهود سيعودون إلى وطنهم، وتوقع تدخل قوة أرضية من أجل إعادة اليهـود المـشتتين[٢]. وكان جوزيف بريستلي، الكيميائي الذي اكتشف الأكسجين شديد الإيمـان برسـالة الـشعب اليهودي بالنسبة للمسيحيين. ولهذا وجه دعوة لليهود للاعتراف بأن عيـسى هـو المـسيح المنتظر وذلك حتى يضع الله حداً لمعاناة اليهود، ويجمعهم من جديد ويعيـد تـوطينهم فـي أرض كنعان.

يتضح مما سبق أن الليبرالية وعقلانية القرن الثامن عشر لم تكن مناقضة تماماً للدين، بدليل أن أحد منظريها الرئيسيين، جون لوك، كانت له نظرات وتأملات في الكتاب المقـدس يبني عليها آراء، ويطلق استناداً إليها دعوات ونداءات. وهنا يمكن القول أن الكتاب المقـدس أصبح جزءاً من ثقافة المفكرين العلمانيين خاصة إذا علمنا أن عالم الطبيعة إسحق نيـوتن،

---

(1) Sharif, Regina: Non Jewish Zionism, P.36.

(2)Ibid, P.36.

وعالم الكيمياء جوزيف بريستلي أطلقا دعوات مشابهة لدعوة لوك استناداً إلى فهمهما للكتاب المقدس.

ولم يقف الأمر عند المفكرين الذين تقدم ذكرهم، بل واصلت الفكرة الصهيونية تغلغلها في أوساط رجال الدين البروتستانت ومنهم جون تولاند ١٦٧٠-١٧٢٢م John Toland رجل الدين والمفكر الإنجليزي والدبلوماسي المعروف. وُلد جون تولاند ونشأ كاثوليكياً، ولكنه هرب وهو في سن السادسة عشرة ودخل الكنيسة الأنجليكانية. كان نشيطاً للغاية في المناقشات السياسية والدينية في عصره. كما كان من أوائل المفكرين الذين اتخذوا موقفاً عقلانياً من الدين، ومن الداعين للإيمان بالرب دون الحاجة إلى دين أو وحي إلهي، وهي أولى حلقات علمنة العقل الغربي، بمعنى أنه كان يؤمن بالله كصانع للعالم، لكنه ينكر الوحي والآخرة(١).

نشر جون تولاند سنة ١٧١٤ كتاباً بعنوان "الأسباب الداعية لمنح الجنسية البريطانية لليهود والموجودين في بريطانيا العظمى وإيرلندا". ويطالب الكتاب بمنح الجنسية البريطانية لليهود حتى يتم اجتذاب المزيد منهم ليستوطنوا في إنجلترا كعناصر نافعة في مجالات التجارة(٢). واعتبر تولاند أن الإنسان الغربي هو مركز الكون. وبناءً عليه رفض اليهود وعبّر عن احتقاره لهم ولتراثهم الذي يرى أنه لا جدوى من ورائه ويؤدي إلى تشوه ما يسميه "الشخصية اليهودية". وكحل للمسألة اليهودية(٣) يطرح جون تولاند حلاً علمانياً إمبريالياً فهو ينظر إلى اليهود باعتبارهم مادة نافعة، أو على الأقل، مادة يمكن إصلاحها لتصبح مادة نافعة، إذ يقترح تولاند أن تقوم الدول الغربية بمساعدة اليهود على استرجاع أرضهم(٤).

---

([1]) كرم، يوسف: م. س. ذ.، ص ١٥٥.

([2]) Pragai, Michael: op. cit., p 15.

([3]) المسألة اليهودية مصطلح يتواتر في الكتابات الصهيونية وغيرها، ويفترض أن ثمة مشاكل محددة ثابتة لا تختلف تقريباً يواجهها اليهود في كل العالم، وهي مشكلة الاضطهاد والبحث عن حل لهذه المشكلة من خلال إقامة دولة خاصة بهم. لكن عبد الوهاب المسيري يختلف مع هذا التعريف ويعتبر أنه لا توجد مسألة يهودية واحدة بل توجد مسائل يهودية متعددة بتعدد البلدان التي انتشروا فيها، كما أن المسألة اليهودية مختلفة في نظر المسيري باختلاف العصور التاريخية التي عاشوا فيها.

المسيري، عبد الوهاب: م.س.ذ.، ج٣،ص٥٩.

([4]) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٣، ص٥٢.

وفي سبعينيات القرن الثامن عشر أصدر كاهن إنجليزي يدعى صامويل لي Samuel Lee، مقالين في الموضوع نفسه أكد على بعث الأمة اليهودية من جديد واعترض على تفسير الكنيسة لنصوص العهد القديم، وأكد أن الزعم بأن تلك النبوءات تخص الكنيسة القائمة وأنها ستتحقق بواسطة هذه الكنيسة الموجودة، لا يقوم على أي أساس صحيح [١].

وقد قام القس ريتشارد هيرد Richard Herd في نفس الفترة بطرح أفكار مشابهة ببلاغة فائقة مؤكداً على أن اليهود رغم تشتتهم الواسع وعمليات الاضطهاد الرهيبة التي تعرضوا لها على امتداد عشرات الأجيال قد اندمجوا بغير اليهود، بل ظلوا ونجوا بوصفهم أمة منفصلة واحدة ليست قابلة لأن تكون محض مصادفة، بل إن الرب له هدف محدد تشير إليه النبوءات المتعلقة بالأيام الأخيرة حينما يجري تجميعهم من سائر أقاصي العالم وإعادتهم إلى أرضهم القديمة وإليه بإيمان صادق، ومن خلال تحقق هذه النبوءات فإن مملكة القديسين والعصر الألفي الذي طال انتظاره ستصبح حقيقة قائمة[٢].

وعند هذا الحد نخلص إلى القول أن دوائر المؤيدين للفكرة الصهيونية –التي بدأت فكرة جنينية في القرن السابع عشر- بدأت تتوسع، ولم تعد تقتصر على رجال الدين وحدهم، بل طالت العديد من أهم المفكرين العلمانيين الإنجليز. فهل يعني هذا أن دوائر المؤيدين ستزداد اتساعاً؟ أم أن ما حدث حتى اللحظة لن يستطيع الصمود في وجه الأحداث الكبرى التي عصفت بالقارة الأوروبية والعالم في القرن الثامن عشر؟!

---

(1) فرته، مير: عودة اليهود في الفكر البروتستانتي الإنجليزي، ص٣٧.

(2) ن. م.، ص٤٤، ٤٥.

# المبحث الثالث

## الأحداث السياسية العالمية وأثرها على الاهتمام البريطاني باليهود وبفلسطين

شهد القرن الثامن عشر مجموعة من الأحداث الكبرى على مستوى أوروبا، ومن أبرز هذه الأحداث حرب الوراثة الأسبانية، وحرب الوراثة النمساوية، وحرب السنين السبع، ثم الصراع الروسي العثماني، وحرب الاستقلال الأمريكية، ثم الثورة الفرنسية والثورة الصناعية. وكانت بريطانيا فاعلاً رئيسياً يؤثر ويتأثر بكل تلك الأحداث. فهل ساعد تفاعل بريطانيا مع تلك الأحداث على تعزيز الفكرة الصهيونية؟

**حرب الوراثة الأسبانية (١٧٠١-١٧١٤)**

ترك الملك الأسباني شارل الثاني عند وفاته في نوفمبر ١٧٠٠ وصية يعطي فيها العرش للأمير الفرنسي فيليب ملك أنجو. وأعلن ملك فرنسا لويس الرابع عشر –جد الأمير فيليب- الأمير فيليب ملكاً لأسبانيا(١). وصرّح أن جبال البرانس لم تعد تفصل بعد الآن بين مملكتي فرنسا وأسبانيا. ولأن فرنسا كانت ذات قوة رهيبة لا يستهان بها في أوروبا خاصة بعد صلح وستفاليا ١٦٤٨م الذي أضعف الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومنح فرنسا تفوقاً على بقية دول أوروبا، ولهذا فقد أبدت الدول الأوروبية حساسية شديدة إزاء محاولة توحيد فرنسا وأسبانيا. وعلى الأثر تم تكوين حلف سنة ١٧٠١ ضم إنجلترا وهولندا وبروسيا والنمسا ومعظم الإمبراطورية، وذلك بهدف الحيلولة دون جلوس الأمير فيليب على عرش أسبانيا. ولهذا أعلن التحالف سنة ١٧٠٢ الحرب على فرنسا(٢). وانهزم الفرنسيون في معارك عديدة أمام قوات الحلفاء(٣). لكن قوات الحلفاء أصابها الإعياء، ولهذا لجأ الطرفان للمفاوضات وتوصلوا إلى معاهدة أوترخت سنة ١٧١٤ (٤).

وكانت معاهدة أوترخت هي بداية النهاية لتفوق فرنسا العسكري، كما أدت إلى بزوغ شمس بريطانيا حيث نصت المعاهدة على أن يكون فيليب ملكاً على أسبانيا بشرط ألا تتحد

---

(1) ديورانت: م. س. ذ.، ج٣٤، ص٢١٧.

(2)ن. م.، ج٣٤، ص٢١٨.

(3) انظر ن.م. ، ج٣٤، ص ٢٢٣-٢٣٠.

(4) عبد الرحيم، عبد الرحيم: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ص١٣٨.

فرنسا وأسبانيا. وكسبت بريطانيا المستعمرات الأسبانية في جبل طارق ومينورقا، كما استولت بريطانيا على العديد من المستعمرات الفرنسية في أمريكا[١].

**حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠-١٧٤٨)**

كانت الامبراطورية الرومانية المقدسة (ومركزها النمسا)، مترامية الأطراف وفي نفس الوقت مفككة الأوصال، وبلغ الضعف والتفكك في ثلاثينات وأربعينات القرن الثامن عشر حداً أغرى أعداؤها بها، خاصة بعد وفاة الإمبراطور شارل السادس في أكتوبر ١٧٤٠. وكان الإمبراطور قبل وفاته قد حصل على موافقة الدول الأوروبية بأن ترث عرشه ابنته ماريا تريزا، وكانت ماريا طموحة لكنها لم تكن على مستوى المرحلة، حيث ظهر في منتصف القرن الثامن عشر عدد من عباقرة الفنون السياسية والعسكرية في أوروبا. كما كان جيش النمسا ضعيفاً لا يقوى على مواجهة التحديات[٢].

لقي ترشيح ماريا تريزا لعرش الامبراطورية معارضة من قبل فرنسا، التي كانت تطمح بالحصول على الأراضي المنخفضة، وتجلت هذه المعارضة بتأييد فرنسا لمطالب شارل ألبرت Charles Albert منتخب بافاريا الذي طالب بحقه في أن يصبح امبراطوراً. وكذلك أسبانيا كانت تطمع بالاستيلاء على أملاك الامبراطورية في إيطاليا. ولكي تقطع ماريا تريزا الطريق على أولئك المطالبين وأحقيتهم في العرش الإمبراطوري أعلنت زوجها فرنسيس أمير اللورين إمبراطوراً. ولكن أخطر طامع في ممتلكات الإمبراطورية كان فريدريك الثاني ملك بروسيا سنة (١٧٤٠-١٧٨٦) والذي قام بالاستيلاء على مقاطعة سيليزيا مفتتحاً بذلك حرب الوراثة النمساوية[٣]. وعلى الأثر تحرك شارل ألبرت وفرنسا لكي يقتطعوا، هم أيضاً، ما يريدون من أراضي الإمبراطورية[٤].

---

(1) انظر نص معاهدة أوترخت

Wiener, Joel(editor): Great Britain Foreign Policy and Span of Empire, 1689-1971 A Documentary History, P.34.

(2) عبد الرحيم، عبد الرحيم: م. س. ذ.، ص١٣٩.

(3) ديورانت: م. س. ذ.، ج٣٧، ص٨٣.

(4) عبد الرحيم، عبد الرحيم: م.س. ذ. ، ص ١٤٠.

وفي هذه الأثناء أدركت إنجلترا أن القوى المعادية للنمسا تستطيع أن تمزقها، ولهذا أقر البرلمان البريطاني معونة قدرها ثلاثمئة ألف باوند لماريا تريزا، وكذلك قدم البريطانيون لها نصيحة بضرورة العمل على تحييد فريدريك الثاني وإعطائه سيليزيا[١]، لكن ماريا رفضت في البداية التنازل عن سيليزيا، وواصلت الحرب بمساعدة المجر وعندما حققت بعض الانتصارات على فرنسا تنازلت لفريدريك الثاني عن سيليزيا في مقابل اعترافه بزوجها فرنسيس امبراطوراً باسم فرانسوا الأول. وواصلت إنجلترا تدخلها في هذه الحروب حرصاً منها على التوازن الدولي على اعتبار أن التفوق الفرنسي العسكري في قلب أوروبا وفي الأراضي المنخفضة كفيل بأن يخل بالتوازن الدولي بشكل يضر بالمصالح الإنجليزية. ولهذا لم يلبث أن اعتزل السياسي الإنجليزي الكبير والبول Walpole لأنه كان من دعاة السلام، وخلفه في الوزارة كرتريت Cartreret الذي بدأ يوجه ضربات قوية وناجحة ضد الجيش الفرنسي في منطقة هانوفر. أما على الصعيد السياسي فقد استطاع جمع أعداء فرنسا وكوّن معهم حلف كبير تم التوقيع على بنوده في وورمز Warms سنة ١٧٤٣. واشترك في هذا الحلف الامبراطورية النمساوية وشارل إيمانويل ملك سردينيا، وهذا جعل فرنسا تتعرض لهجوم من ثلاث جهات هي الشرق حيث الإمبراطورية، والجنوب حيث سردينيا، والغرب حيث بريطانيا[٢].

واستمرت الحرب مشتعلة حتى سنة ١٧٤٨، حيث عُقد صلح إكس لا شابيل Aix La Shapelle الذي اعترفت بمقتضاه ماريا تريزا بحق فريدريك في سيليزيا، واعترفت جميع الدول بماريا حاكمة على النمسا، وزوجها امبراطوراً باسم فرانسوا الأول[٣]. أي أن المحصلة النهائية لهذه الحرب كانت في صالح ماريا تريزا التي احتفظت بملكها، ولم تخسر سوى سيليزي. أما فرنسا فقد خرجت من الحرب صفر اليدين. وبالنسبة لبريطانيا فقد منعت التفوق الفرنسي في القارة، وبذلك فقد حافظت على تفوقها العسكري. كما اضطرت فرنسا بمقتضى صلح إكس لا شابيل بالاعتراف بحكم أسرة هانوفر في إنجلترا. وبشكل عام فإن

---

(1) ديورانت: م. س.ذ.، ج٣٧، ص٨٤.

(2)ن. م.، ج٣٧، ص٨٥.

(3) انظر نص معاهدة إكس لاشابيل في:

Wiener, Joel (Editor): op. cit., P. 91.

صلح إكس لا شابيل أوقف الحرب لكنه لم يحل المشاكل بين الأطراف المختلفة. وكانت هذه هي المرة الثانية التي تتدخل فيها بريطانيا للحد من طموح فرنسا ومنعها من تقوية نفوذهـا داخل القارة الأوروبي. وقد تمكنت بريطانيا في المرتين من تحقيق أهدافها، وحققت لنفسها تفوقاً متزايداً على فرنسا، خاصة وأن التنافس داخل أوروبا كان مرتبطاً بالصراع في المستعمرات، وهذا ما ساعد على إشعال فتيل الحرب مرة أخرى بين الأطراف ذاتها في حرب السنوات السبع.

**حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣)**

كان صلح إكس لاشابيل بمثابة هدنة بين فرنسا وإنجلترا بشأن المستعمرات من جهة، وبين روسيا والنمسا بشأن سيليزيا من جهة أخرى، فماريا تريزا لم تنس أهمية سيليزيا بالنسبة للنمسا نظراً لثروتها المعدنية(١). ولذ فإن ماريا عملت جاهدة على استرداد سيليزيا من حوزة بروسيا، وأخذت تتقرب من فرنسا متجاهلة العداء التقليدي بين أسرة الهابسبرج في النمسا وأسرة البوربون الحاكمة في فرنسا، وكان هذا العمل بمثابة انقلاب دولي في السياسة الأوروبية آنذاك، كان من نتيجته دخول أوروبا في حرب طاحنة استمرت سبع سنوات، وقد ساعد على تأجج هذه الحرب المنافسة الاستعمارية التي كانت قائمة بين فرنسا وإنجلترا فعقدت إنجلترا اتفاقاً مع فريدريك الثاني سنة ١٧٥٥، وعقدت فرنسا اتفاقاً مع النمسا سنة ١٧٥٦. أي أن الحرب حينما نشبت كانت بين بروسيا وإنجلترا من جهة وفرنسا والنمسا من جهة أخرى. وانضم إلى فرنسا والنمسا كل من روسيا والسويد وسكسونيا. فخشي فريدريك اجتماع قوة أعدائه فحاول أخذهم على غرة فدخل جنوده سكسونيا وبوهيميا، ولكن أعداءه أحاطوا به من كل الجهات، وتعذر عليه مواجهة كل منهم على حدة، وتمكن الجيش النمساوي من هزيمة فريدريك في موقعة كولن وأعلنوا أن حقوقهم قد رُدت إليهم. وتمكن الروس من دخول بروسيا الشرقية، ودخل السويديون بوميرانيا، وهددت القوات النمسوية والفرنسية برلين ذاتها حتى أصبح مركز فريدريك حرجاً سنة ١٧٥٧(٢).

---

(1) ديورانت: م. س. ذ.، ج٣٩، ص٦٩.

(2) نوار، عبد العزيز و جمال الدين، محمود: التاريخ الأوروبي الحديث، ص٢٦٣-٢٦٧.

وفي تلك الفترة أرسلت إنجلترا جيشاً لمحاربة فرنسا علـــى ســـواحل نهـــر الـــراين فاضطرت فرنسا لسحب جنودها فخفف ذلك من الضغط على فريدريك الذي ركز قوته ضد النمسا وروسيا، وهزم الروس في موقعة كونزدورف سنة ١٧٥٩. وكانت بروسيا في ذلـــك الوقت قد ملت الحرب خاصة وأن حليفها وليام بت الوزير الانجليزي الـــذي كـــان يـــساعد بروسيا مساعدة فعلية كان قد سقط في تلك الفترة، ولم ينقذ بروسيا من الهزيمة النهائية فـــي ذلك الوقت إلا موت عدوتها اللدود إليزابيث في يناير ١٧٦٢ (قيصر روسيا وحليفة النمـــسا منذ بداية الحرب). وجاء بعدها بطرس الثالث الذي سحب جنوده وانضم إلى جانب بروســـيا ضد النمسا لإعجابه بفريدريك، ولكن هذا الإمبراطور لم يطل به البقاء فخلفته كاترين الثانية التي سحبت الجيوش الروسية من الميدان كلية. وكانت إنجلترا وفرنسا في طريقهما للتوصل إلى صلح باريس سنة ١٧٦٣ الذي أفضى إلى النتائج التالية(١):

١- بالنسبة لأسبانيا فقد خسرت جزءاً من مستعمراتها في أمريكا الجنوبية.

٢- أما فرنسا فقد خسرت معظم مستعمراتها ولكنها احتفظت ببعض المواقع الصغيرة المحاطة بالإنجليز في الهند.

٣- وبالنسبة لإنجلترا فقد كان نصيبها الحصول على كل كندا ورأس بريتـــون، كمـــا حصلت على السنغال في إفريقيا، وعلى جرينادا ومينورقا في البحر المتوسط، كما حـــصلت على فلوريدا الأسبانية. وبذلك تكون إنجلترا قد خرجت من الحرب وقد ربحت مـــستعمرات شاسعة في العالم الجديد، ولو أضفنا إلى هذا أنها صاحبة اليد العليا في الهند بعد طرد الهنـــد من معظم معاقلهم هناك، لتبين كم أصبح عليه تلك الإمبراطورية الإنجليزية من الاتساع.

**الصراع الروسي العثماني**

---

(1) انظر نص صلح باريس ١٧٦٣

Wiener, Joel (Editor): op. cit., P. 116.

كانت أولى أعمال بطرس الأكبر[١] قيصر روسيا هي السيطرة على مدينـــة آزوف[٢] على نهر الدون سنة ١٦٩٦، وكانت آزوف مدينة حصينة تتبع الدولة العثمانية. ومـــن هنـــا فُتح باب الصراع مع الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على أجزاء مهمة من شرق أوروبـــا في المنطقة المحيطة بالبحر الأسود، وكان بطرس يطمع في أملاك تركيا في هذه المنطقـــة، وأخذ يبحث عن دول أوروبية تساعده في تحقيق أطماعه، فجرّب إثارة العواطف الدينية عند الأوروبيين من أجل محاربة الأتراك، ولكنه لم يجد من يُصغي له لأن دول أوروبـــا كانـــت منشغلة في أمورها الداخلية وحروبها حول مسألة الوراثة الأسبانية[٣]. وعلى الأثـــر توجـــه اهتمام بطرس الأكبر إلى بحر البلطيق لمواجهة السويد التي كانت منهكة بعد خوضها حرب الثلاثين عاماً[٤] ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وحدثت مواجهات هُزم فيها الجـــيش الروسي بداية، لكن النصر كان حليفه في النهاية.

وأيقنت تركيا حينها أن انتصار بطرس الأكبر معناه تعـــرض حـــدودها مـــع روســـيا للخطر، فتحالفت مع فرنسا لمواجهة روسيا، وتمكن الجيش التركي مـــن حـــصار الجـــيش الروسي بشكل محكم، عند مولدافيا[٥]. ولولا أن زوجة بطرس الأكبر "كاترين ألكسينا" قدمت حليها ومجوهراتها للقائد العثماني "بلطجي باشا" الذي أمر بفك الحصار عن بطرس الأكبـــر، ولولا هذا لقضي على روسيا. ووقّع الروس والعثمانيون معاهدة "البـــروث" – نـــسبة إلـــى

---

([1]) بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) من أعظم قياصرة روسيا. عمل على إحلال الثقافة الأوروبية في بلده. الموسوعة العربية العالمية، ج٤، ص٤٥١.

([2]) آزوف Azov مدينة تقع في الشمال الشرقي من بحر آزوف، ويطلق اسم بحر آزوف على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود.

ن. م.، ج١، ص٥٦٣.

([3]) أبوعلية عبد الفتاح و ياغي، إسماعيل: م. س.ذ.، ص ٢١٢، ٢١٣.

([4]) حرب الثلاثين عاماً هي الحرب التي تأجج سعيرها على الأرض الألمانية بين الكاثوليك والبروتستانت، وانتهت بمعاهدة وستفاليا التي التي أنهت الحروب الدينية، وفرضت التسامح الديني، وأدت إلى استقلال العديد من الدول مثل الأراضي المنخفضة. وقد شارك في هذه الحرب كل من الإمبراطورية الرومانية المقدسة وفرنسا والسويد والدانمرك.

الموسوعة العربية العالمية، ج٩، ص١٨٤.

([5]) أحد بلدان جنوب وسط أوروبا، تحدها رومانيا من الغرب، وأكرانيا من بقية الاتجاهات.

الموسوعة العربية العالمية، ج٢٤، ص٤٣.

النهر[١] الذي دارت عنده المعركة_ تنازلت روسيا بمقتضاها للأتراك عن مدينة آزوف التي كانت قد انتزعتها من الدولة العثمانية سابقاً.

والتطور الثاني في العلاقات الروسية التركية حدث في عهد كـاترين الثانيـة والتـي تمكنت سنة ١٧٦٤ من هزيمة بولندا وتقسيمها (مع النمسا وبروسيا) [٢]، ونتج عن ذلـك أن اتسعت روسيا بشكل كبير في الغرب والجنوب، ولهذا بدأت التحرشات الروسية التركية بعد أن أصبحت روسيا على حدود تركيا بشكل مباشر. وخشيت فرنـسا مـن توسـع الـروس، فأخذت تعمل على تحريض الترك لمواجهة روسيا[٣]، وبالفعل فقد شنت تركيا الحرب علـى روسيا بتحريض من فرنسا،وانتهت الحرب بهزيمة تركيا وتوقيعها معاهدة كوجك قينارجـة Kutchuk Kainardji سنة ١٧٧٤، وعلى أثر هذه المعاهدة ثبتت روسـيا أقـدامها علـى شواطئ البحر الأسود، وفُتح البسفور والدردنيل لسفنها[٤]. وبعد عشرين سنة نقضت روسـيا هذه المعاهدة وضمت إليها جميع منطقة القرم[٥].

وفي أعقاب هذا التحول الخطير في العلاقات الروسية العثمانية حاول اللـورد بيـت Lord Pitt رئيس الوزراء البريطاني التدخل لصالح العثمانيين ضد كاترين الثانيـة، لكـن الرأي العام البريطاني لم يكن ليكترث لمصير الدولة العثمانية ومنعه من ذلـك. ورغـم أن بريطانيا لم تتدخل عملياً لصالح تركيا ضد روسيا، إلا أن هذا الحدث صنع نوعاً من الجـدل داخل بريطانيا بشأن إمكانية وصول القوة الأوروبية الـصاعدة (روسـيا) للبحـر الأبـيض المتوسط (أحد الطرق التجارية الهامة)، وبالتالي يمكن لروسيا أن تـصبح طرفـاً فـي أي صراع دولي مقبل بين الدول الأوروبية. لكن حتى تلك اللحظة لم تكن بريطانيا تأبه كثيـراً

---

([1]) نهر البروث Brut هو النهر الذي يحد رومانيا من شرقها ويصب في البحر الأسود.
ن. م.، ج٤، ص٣٦٧.

([2])Anderson, M.S.: The Eastern Question 1774-1923, P2.

([3])Ibid, P1.

([4]) الشناوي، عبد العزيز: الدولة العثمانية، ج١، ص١٩٦.

([5]) منطقة القرم عبارة عن شبه جزيرة على البحر الأسود وبحر آزوف وتقع إلى الجنوب من منطقة أوكرانيا.
الموسوعة العربية العالمية، ج١٨، ص١٦٠.

لهذا الأمر خاصة وأنها كانت مهتمة بشكل أكبر بوجودها ومستعمراتها في أمريكـــا، فهـــل سيستمر الأمر على هذا الحال أم أن التطورات ستدفع بريطانيا لتعديل أولوياتها؟!

**استقلال الولايات المتحدة الأمريكية**

من المعروف أن الانجليز اكتشفوا السواحل الأمريكية على يد جـون كـابوت سـنة ١٤٩٧، وتكثفت الهجرة من إنجلترا إلى المستعمرات الجديدة خاصة في ظـل الاضـطهاد الذي تعرض له البيوريتان، وتكون من مجموع هذه الهجرات ثلاث عشرة مستعمرة، لكـل منها حكم ذاتي تحت سيطرة ملك إنجلترا والبرلمان الإنجليزي. وكان لكل مـستعمرة حـاكم عام ومجلس استشاري وبرلمان(١). وقد حرصت إنجلتـرا علـى إحكـام سـيطرتها علـى المستعمرات من خلال احتكار التجارة معها وفرضها الكثير من الـضرائب علـى سـكان المستعمرات الأمريكية، وكان الملك والبرلمان في إنجلترا يرفضون بشكل قاطع تمثيل سكان المستعمرات في البرلمان الإنجليزي، وفي نفس الوقت كانت تريد مواصلة فرض الـضرائب عليهم، وحينها رفعوا شعار (لا ضرائب إلا بالتمثيل النيابي للشعب). وعندما طالـب سـكان المستعمرات (وهم أوروبيون) بالاستقلال وتكوين دولتهم القومية الموحدة أسوة بدول أوروبا رفض ملوك إنجلترا هذه الفكرة بشكل مطلق(٢).

حاولت الحكومة البريطانية فرض ضريبة الدمغة سنة ١٧٦٥ فووجهت بمقاومة شديدة فألغت هذه الضريبة(٣)، لكنها تمسكت بحق البرلمان البريطاني في فرض الـضرائب علـى المستعمرات، فحاولت فرض ضريبة الشاي سنة ١٧٧٠ فتمـت مقاومتهـا فـي بوسـطن، فارتكب الجيش البريطاني مجزرة هناك. وتطور أمر الخلاف بشأن الضرائب فعقـد سـكان المستعمرات المؤتمر الأمريكي الأول سنة ١٧٧٤، وأسسوا الكونجرس الأمريكي الأول من مندوبي الولايات الذي انعقد في فلادلفيا. ولم يطالب هذا المؤتمر بالانفصال، وإنمـا حـذر الشعب الإنجليزي من أن حكومته تنذر بنشوب حرب طائفية بين الكاثوليك في كنـدا وبـين البروتستانت في المستعمرات. وطالب المؤتمر بوقف الأعمال التعـسفية، لكـن الحكومـة البريطانية لم تستجب وأرسلت قوات إضافية إلى بوسطن، ودارت المعارك(٤).

---

(1) نوار، عبد العزيز وجمال الدين، محمود: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٣٧-٤٠.

(2)ن. م.، ص ٥١.

(3)ن. م.، ص٥٣.

(4) نوار، عبد العزيز وجمال الدين، محمود: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٥٦، ٥٧.

وبدا واضحاً أن طريق العودة إلى علاقات أفضل بين بريطانيا ومستعمراتها باتت مستحيلة، ولذلك تم عقد المؤتمر الثاني للولايات في فلادلفيا سنة ١٧٧٥، وتقرر إنشاء جيش للدفاع عن المستعمرات، وفي المقابل فقد أصر الملك جورج الثالث على ضرب الثورة بالقوة. لكن الولايات أعلنت استقلالها في ٤ يوليو ١٧٧٦[1].

ويمكن القول أن المستعمرات الأمريكية ما كان لها أن تنتصر في حرب الاستقلال لولا التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية، حيث وجدت فرنسا الفرصة مناسبة لها لكي توجه ضربة لبريطانيا، بعد أن تمكنت الأخيرة من الاستيلاء على معظم مستعمرات فرنسا في العالمين الجديد والقديم في القرن الثامن عشر خاصة بعد حرب السنوات السبع،ولنفس الأسباب قامت أسبانيا بتوجيه الدعم للثورة الأمريكية، رغم أن قيام دولة مستقلة في أمريكا الشمالية كان يمكن أن يمثل سابقة ومثل تحتذيه المناطق التي بقيت تحت السيطرة الأسبانية في أمريكا اللاتينية. وعندما خسرت بريطانيا مستعمراتها في أمريكا، أدركت أنه لا سبيل للعودة إلى تلك المناطق، لأن الحرب التي ووجهت بها في المستعمرات الأمريكية كانت حرباً من نوع جديد، إذ لم تكن من قبل جيش رسمي بل من قبل شعب، وبريطانيا لم تعتاد على مثل هذا النوع من الحروب.

بعد خسارة بريطانيا لمستعمراتها في أمريكا، كان عليها أن تعيد ترتيب الأولويات للحفاظ على تفوقها العسكري بين الدول الأوروبية، خاصة وأن حرب الاستقلال الأمريكية كانت في أحد أبعادها جزءاً من التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية (لأن فرنسا وأسبانيا دعمتا الثورة الأمريكية)، الأمر الذي يجعل الباحث يتساءل عن كيفية تطور هذا التنافس الاستعماري؟ وكيف ستؤثر فيه الأحداث؟!

**تأثير الثورة الفرنسية على اهتمام بريطانيا بفلسطين**

وفي سنة ١٧٩٨ سار نابليون بونابرت على رأس حملة فرنسية لاحتلال مصر، تحركه طموحات فرنسا لقطع طريق بريطانيا إلى الهند وتحويل البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة فرنسية. وتمكن بالفعل من احتلال مصر، وبمجرد وصوله إلى مصر أصدر نابليون

---

(1) انظر: ن. م.، ص٥١-٦٢،

كيتشنام، رالف: من مستعمرة إلى دولة مستقلة ثورة الفكر الأمريكي، ص١٠٥-١٥٠.

بياناً حث فيه اليهود على الالتفاف حول رايته لإعادة مجدهم الغابر الذي يعتقدون بحدوثه في الماضي البعيد، ولإعادة بناء مملكة القدس القديمة(١). وفي ١٧٩٩/٢/١٨م كانت أحلام نابليون تتحطم أمام أسوار عكا، حيث لعب الأسطول البريطاني دوراً لا بأس به في المعركة،إذ قام الأسطول البريطاني بتدمير سفن نابليون في معركة أبي قير على شواطئ مصر، وقد كان لهذا التدخل العسكري البريطاني أكبر الأثر على إجلاء الفرنسيين عن مصر سنة ١٨٠١ (٢).

يختلف المؤرخون في تفسير دوافع نابليون من وراء غزوه لفلسطين، وإعلانه النداء سابق الذكر والموجه لليهود، حيث يعتبر الدكتور عبد الوهاب المسيري أن نابليون أراد استخدام اليهود (من خلال زرعهم في هذا المكان ذا الأهمية الاستراتيجية الكبرى) وجعلهم يدورون في فلك المصالح الفرنسية ليكونوا عوناً له في دعم نفوذه وتثبيت سلطانه. ويضاف إلى ذلك أن نابليون كان يريد كسب يهود فلسطين في محاربته للدولة العثمانية. وأخيراً فإن نابليون كان يهمه كسب ثقة يهود فرنسا ودعمهم المالي لمشروعاته الاستعمارية(٣). وفي بحثه لذات المسألة يثير الدكتور بشير نافع الشكوك حول قيام نابليون بإصدار هذا الإعلان أصلاً، ويذكر أن النص الفرنسي لهذا الإعلان لم يتم العثور عليه، ويوضح أن دوافع نابليون لم تكن دينية مشيراً إلى أن نابليون كان قريباً من القدس عندما غزا فلسطين لكنه لم يزرها(٤).

ويمكن القول أنه من غير المؤكد البت في أن نابليون قد أولى اهتماماً خاصاً باليهود في فلسطين، فهو علماني وساهم (كجزء من الثورة الفرنسية) في إدماج اليهود في العديد من الدول الأوروبية، ودفع باتجاه نيلهم حقوقهم المدنية(٥)، بكلمات أخرى يمكن القول أن نابليون لم يكن ينظر لليهود كشعب وإنما كأفراد لهم الحق في نيل حقوقهم في الدول التي يقيمون

---

(1) Sidebotham, Herbert: op. cit., p96.

(2) أنيس، محمد وحراز، السيد رجب: الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ص٧٥.

(3) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٣، ص٥٧.

(4) نافع، بشير: الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية،ص٤٥.

(5) جريس، صبري: تاريخ الصهيونية، ج١، ص٢٥.

فيها، وهذا من شأنه أن يُثير بعض الشكوك حول صحة نداء نابليون سابق الذكر والموجه ليهود فلسطين.

لكن المؤرخة اليهودية باربارا توخمان تؤكد قيام نابليون بتوجيه الدعوة المذكورة لليهود وتقول: "إن نابليون لم يكن مهتماً بالنواحي الدينية، ولم يكن يعرف شيء عن التوراة، وهو كرجل علماني كان ينظر لكل الأديان على حد سواء، فهو عندما نزل مصر وجه خطاباً للمسلمين يؤكد فيه حرصه عليهم وعلى دينهم، وذلك لأن هذا الأمر يساعده على تحقيق أهدافه. وفي هذا الإطار يأتي نداءه لليهود حيث أطلق على اليهود الورثة الحقيقيين لفلسطين"(١).

لكن على كل الأحوال فإن مجرد التحرك الفرنسي نحو مصر وفلسطين قد ساهم في جعل بريطانيا تولي الحوض الإسلامي ومصر وفلسطين أهمية كبيرة. وقد رأينا كيف ساهم الأسطول الإنجليزي في هزيمة فرنسا أمام أسوار عكا.

**الثورة الفرنسية ونبوءات الكتاب المقدس**

بعد بضعة أشهر من اندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩، اعتبر الإنجليز أن هذا الحدث الجلل هو النذير بانتهاء الأجيال والبشير بقدوم مملكة المسيح. وجاء الإعلان الأول المكتوب عن أن ظهور المسيح بات وشيكاً مسجلاً في كراس صغير ألفه شخص يدعى إدوارد مه Edward May كان قد قرأ دراسة كتبها رجل دين بروتستانتي فرنسي من القرن الثامن عشر هو بيير جوريو Jurieu Pieerre، حول تحقق النبوءات الواردة في رؤيا القديس يوحنا(٢). فقد كتب أن ثورة كبرى ستقع في فرنسا أواخر ثمانينات القرن الثامن عشر، وأنها ستطيح بالكنيسة الكاثوليكية. وكانت فرنسا في ذلك الوقت هي الداعم الأقوى للكنيسة الكاثوليكية. ومع سقوط الحكومة الفرنسية، كما أشار جوريو، فإن الفترة التي خصصها الرب لسيادة الشر في العالم ستكون قد انتهت، وذلك يفتح الطريق -حسب اعتقاده- أمام تدشين سيادة المسيح(٣). وعندما نشبت الثورة الفرنسية اعتقد ادوارد مه أنها

(1) Tuchman, Barbara: op. cit., P163.

(2) فرته، مير: م. س. ذ.، ص١١.

(3) ن. م.، ص١١.

دليل على صحة النبوءات الواردة تلميحاً في رؤيا القديس يوحنا، وأنها ستقع لا محالة. وكذلك فقد بدأت الجماهير تستجيب وتصدق هذه النبوءات بعد الإطاحة بالنظام الكنسي القائم، مما أجهز على نفوذ البابا وأدى إلى سقوط النظام الملكي وقيام الجمهورية سنة ١٧٩١م[١].

وفي نفس الإطار نشر جيمس بيتشنو James Bichino سنة ١٧٩٢م كتاب (علامات الأزمنة The Signes of Times) أوضح فيه أن الرب أسقط البابوية الاستبدادية في فرنسا التي هي قلعة المذهب الكاثوليكي. وأضاف أن هنالك حكمة للرب في كل شيء يفعله، كما أشار إلى أن دراسة المؤشرات الموجودة في رؤى الأيام الأخيرة التي كانت قد راودت القديس يوحنا، ومن خلال دمج مضمون هذه الرؤى مع فقرات أنبياء إسرائيل حول الأيام الأخيرة، تمكنا ليس فقط من فهم ما كان يحدث في فرنسا، بل معرفة ما كان يخبؤه المستقبل[٢]. وتابع بتشنو تفسيره قائلاً إن الثورة الفرنسية كانت إحدى تلك الأحداث الخارقة التي تشير إلى أحقاب الزمان العظيمة والتي تفضي إلى إقرار نواميس جديدة للأشياء، خاصة وأن فترة حكم الشر الاستبدادي كانت قد وصلت إلى نهايتها بسقوط الكنيسة، وبأن الرب يريد الآن تدشين حقبة الأيام الأخيرة. وطبقاً لأغراض الرب، كما هي مكتشفة في النبوءات فإن لهذه الحقبة سلسلة أحداث تخصها، فعقب المرحلة الحالية، يقول المؤلف، سيتم "السقوط الكامل والنهائي للبابوية". أما في أثناء هذه المرحلة الثانية فلن يجري إلا تدمير بعض القوى المعادية للمسيح "وذلك على الطريق في مرحلة ثالثة أمام بعث اليهود وإعداد الجنس البشري لنعم أكبر من أي شيء سبق له أن عُرف على الأرض"[٣].

وفي سنة ١٧٩٠ طلب القس ريتشارد بير Richard Beere من رئيس الوزراء البريطاني وليام بت أن يساعد على تحقيق عودة اليهود نهائياً إلى الأرض المقدسة، وطالب بأن تكون بريطانيا في طليعة الدول التي تعيد اليهود إلى وطنهم، وأكد أن وجود اليهود في

---

(1) ن. م.، ص١٢.

(2) ن. م.، ص ١٧.

(3) ن. م.، ص١٨.

تلك المنطقة سيكون له مردود اقتصادي على بريطانيا، لأن اليهود سيستوردون منها الكثيــر من البضائع لسنوات طويلة(١).

وبعد ذلك عرض بتشنو سنة ١٨٠٠ على الجمهور تفسيراً منهجياً وشاملا لمــا كــان جارياً في فرنسا، وكشف النقاب عن سر المغزى الألفي لذلك بالنسبة إلى المسيحيين والعــالم كذلك في المستقبل المباشر، ووضع مخططاً تفصيلياً لمجمل أحداث حقبة الأيــام الأخيــرة. وفي هذه الأثناء قام أيضاً بإيراد بعث اليهود في سياق تلك الأحداث، مشيراً إلى أهميته فــي عملية تحقيق الألفية السعيدة، واعتبر أن بعثهم يمكن أن يتم دون اعترافهم بيــسوع، وأشــار إلى أن عودتهم هي خطوة ضرورية في سبيل إلحاق الدمار الكامل بكــل القــوى المعاديــة للمسيح، بغرض تمهيد الطريق أمام العودة الثانية، ومن أجل نشر العقيدة المسيحية الطــاهرة بين جميع الأمم، وفي سبيل إقامة ملكوت الرب على الأرض، ويعتبر بتشنو أول مــن حــدد عملية إعادتهم إلى فلسطين بوصفها حدثاً مادياً ملموساً.

صدر القسم الأول من (علامات الأزمنة) من المطبعة سنة ١٧٩٢، ومع نهاية العــام التالي ظهرت طبعتان إضافيتان. وما لبثت بداية ١٧٩٤م أن شهدت ظهور طبعــة رابعــة، ومع نهاية العام كانت ثلاث طبعات قد صدرت للكتاب. وفي العام التــالي أصــدر بتــشنو طبعتين لكتاب جديد أعاد فيه وبلغة بسيطة وموجزة مفعمة بقدر كبير من الإيمان والحماســة سرد النقاط الرئيسة للتصور الألفي، مدخلاُ فيه عودة اليهود إلى فلسطين واعتمد فيه برنامجاً زمنياً بمسار الأحداث المتتالية(٢).

وتبع بتشنو آخرون مثل الدكتور جوزيف بريستلي Joseph Priestlyالذي اعتبــر أن الثورة الفرنسية والحروب التي أفرزتها بشرت بمملكة المسيح، وأكد أن العصر الألفي فــي متناول اليد وأن اليهود سيعودون إلى أرضهم قبل ظهور المسيح المخلص، واعتبر أن عودة اليهود ليست متوقفة على إيمانهم بيسوع(٣). ثم تبعهم ريتشارد برذرز Richard Brothers وهو ضابط سابق في البحرية حيث زعم سنة ١٧٩٢ أن الرب حمله مسؤولية إنقاذ إنجلتــرا

(1)Sharif, Regina: op. cit., P39.

(2) فرته، مير: م. س. ذ.، ص١٥.

(3)ن. م.، ص١٧.

والعالم، وأنه كان الشخص الذي سيتولى قيادة عملية إعادة اليهود إلى أرضهم في غضون بضعة أعوام. وبدأت على الفور تُنشر نبوءاته، وما لبث أن اجتذب مجموعة كبيرة من الأتباع والأنصار المتحمسين، وقد استجابت الجماهير لدعوة برذرز، الأمر الذي اضطر الحكومة إلى اعتقاله ووضعه في مصح عقلي، ونظراً لأن نبوءاته لم تتحقق، فإن العاصفة التي أثارها ما لبثت أن هدأت تدريجياً. لكن الأمور لم تتوقف هنا بل بقيت رواسب الفكر الألفي تستيقظ كلما مر بأوروبا أو العالم حدث جديد، ومثال ذلك سقوط السلطة الزمنية للبابا في روما واعتقال بيوس السادس في شباط ١٧٩٨، فقد اعتبره الألفيون دليلاً على صواب تفسيرهم لنبوءة القديس يوحنا بأن سقوط النظام الملكي الكاثوليكي الفرنسي كان سيعقبه انهيار كنيسة روما، ووفقاً للتتابع المحتوم مسبقاً لأحداث الحقبة بات الألفيون يؤكدون بأن ساعة الإمبراطورية التركية كانت هي الأخرى قد دقت، وما أن تتجرع تلك القوى كأس الهزيمة وتنهار، حتى يأتي دور بعث اليهود. ومنذ أن باتت أنباء حملة نابليون على مصر وفلسطين معروفة في إنجلترا، بدت نبوءة الألفيين صحيحة مرة أخرى[١].

يمكن القول أن الثورة الفرنسية قدمت ما يمكن اعتباره في حينها دليلاً عملياً على صحة النبوءات الواردة في الكتاب المقدس، وفي مثل هذه الحالات فإن الإيمان بالأفكار وانتشارها يزداد وينتقل من دائرة النخبة إلى الدوائر الشعبية الواسعة، وهذا ما حدث مع ريتشارد برذرز. ورغم أن الفكرة الصهيونية أصبحت أكثر وضوحاً وتحديداً وأوسع انتشاراً، إلا أنها حتى اللحظة، بقيت هي وحاملوها خارج إطار دائرة التأثير على القرار السياسي في بريطانيا. فهل سيستمر الحال على ما هو عليه؟ أم ستسمح التغيرات الداخلية في بريطانيا للفكرة الصهيونية أن تتقدم وتقترب من صناع القرار؟

**الثورة الصناعية**

لقد أدى تراكم رؤوس الأموال والاحتلال العسكري والاكتشافات الجغرافية وتقدم العلم والتكنولوجيا إلى حدوث النقلة النوعية التي يُطلق عليها "الثورة الصناعية، وكانت إنجلترا في المقدمة في هذا التحول، فقد كانت أول دولة في العالم تتحول من دولة تجارية إلى دولة رأسمالية صناعية، حيث حدثت فيها سلسلة من التغيرات الأساسية في طرق الصناعة التي

---

(1)ن. م.، ص١٤.

نقلت الجماهير من الحرف الزراعية الموروثة والعمل في مجال التجارة إلى أساليب جديدة في العمل والسفر والمعيشة. وقد أصبح لهذه الثورة مظاهر عدة منها اختراع الالات لتساعد المجهود الإنساني أو لتحل محله في صنع المنسوجات وغيرها من البضائع الرئيسة. ونمو القوة المحركة، والتوسع في حركة النقل، وحلول انتاج الجملة بدل الانتاج الفردي، وحدوث الهجرة من الحقل إلى المعمل والمصنع ومن الريف إلى المدينة. واستخدام الآلات الميكانيكية في الزراعة كما في الصناعة والتجارة. وهذا أدى إلى تضخم الانتاج الاقتصادي والتبادل التجاري تضخماً هائلاً في كل ناحية. وازدياد نفوذ الرأسمالية نتيجة لهذا النشاط الصناعي(١).

وقد تمكنت بريطانيا من الولوج مبكراً في مجال الصناعة وتحقيق التقدم على غيرها من الدول بسبب ما توفر لها من مناخ معتدل في بعض المناطق، خاصة جنوبها، وكذلك بسبب توافر مساقط المياه التي استخدمت لإدارة الآلات، وتوفر بعض المواد الخام مثل الفحم والحديد، وعدم تعرض إنجلترا لخطر الغزو الخارجي من قبل دول القارة. وإقبال النبلاء فيها على كسب المال عن طريق الصناعة سواء كان في المصانع أو في المناجم. وظهور عدد من المخترعين الذين وصلوا مرتبة العبقرية وبخاصة فيما يتعلق بتطبيق الميكانيكا على حرفهم(٢).

وبدأت الاختراعات في مجال تحسين صناعة النسيج مثل جون كاي النسّاج الذي اخترع المكوك الطيار الذي زاد الانتاج إلى ثلاثة أضعاف ما كان ينتج أولاً، وكان ذلك سنة ١٧٢٣(٣). وفي سنة ١٧٦٧ اخترع جيمس هرجريفز آلة الغزل التي أعطت الفرصة للغزال أن يدير ثمانية مغازل بيده اليمنى، واستمر إدخال التحسينات على هذه الآلة حتى أصبح بإمكان الغزال أن يدير ١٢٠ مغزل، ثم أصبحت المغازل تدار بواسطة الحيوانات ثم بالماء.

---

(1)Hobsbawm, E.: The Age of Revolution, P.27.

(2)Jones, R: Economic and Social History of England 1770- 1970, p. 65.

(3) ول، ديورانت: م. س. ذ.، ج٣٥، ص٧٣.

ولما تحسنت صناعة الحديد تمكن جيمس واط سنة ١٧٦٩م من صناعة المحرك البخـــاري، واستمر واط بعد ذلك في تحسين محركه لجعله أكثر اقتصاداً في النفقات وأوسع استعمالاً(١).

وفي نهاية القرن الثامن عشر بدأت تتكون بعض العلاقة بين الانقلابين اللـــذين كانـــا منفصلين عن بعضهما وهما التعدين وصناعة القطن، إذ حلّت المحركات البخاريـــة مكـــان الدواليب المائية كقوة محركة لمكائن الغزل والنسيج الحديثة في مصانع القطن، وأخذت هـــذه المكائن تُصنع من الحديد بدلاً من الخشب(٢). وقد أدى هذا التحول الصناعي إلى العديد مـــن التغيرات ذات الأثر البالغ على مستقبل بريطانيا ودورها في العالم. وتتمثل هـــذه التغيـــرات في:

- أدى تقدم الصناعة إلى تضخم الإنتاج واتساع نطاق التجارة بصورة تتناسب وزيادة حجم الإنتاج الصناعي. وعلى سبيل المثال فإن حجم الواردات مـــن القطـــن الخام كان يُقدر ب ٤ مليون باوند سنة ١٧٦١، فارتفع إلى ٥٦ مليون باونـــد ســـنة ١٨٠٠، ثم وصل ١٠٠ مليون باوند سنة ١٨١٥م. كما أن كلفة إنتاج النـــسيج قـــد هبطت بين ١٧٧٩ و ١٨١٢ بمعدل ١٠٠ إلى ٧، أما في الفترة الواقعة بين ١٧٧٩ و ١٨٨٢ فقد بلغ معدل الهبوط ١٠٠ إلى اثنين(٣). وربما تتضح الـــصورة بـــشكل أفضل إذا ما تم استعراض الحجم إجمالي للصادرات والواردات خلال القرن الثامن عشر؛ حيث بلغ حجم الصادرات سنة في مطلع القـــرن ٦،٥ مليـــون باونـــد، أمـــا الواردات فقد بلغت ٦ مليون باوند في نفس السنة(٤). أما سنة ١٧٣٠ فقد ارتفع إلـــى ٨،٥ مليون باوند، وبلغ حجم الواردات ٧،٨ مليون باوند(٥). وفي سنة ١٨٠٠ بلـــغ حجم الصادرات ٤٠ مليون باوند بينما لن تتجاوز الواردات ٢٨ مليـــون باونـــد(٦). يتضح من خلال استعراض المعطيات السابقة أن استفادة المجتمع البريطـــاني مـــن

---

(1)Prall, Stuart and Willson, David: Ahistory of England 1603 to the Present, p. 544.
(2)Hobsbawm, E.: op. cit., P.32.
(3)Prall, Stuart: op. cit., p. 544.
(4)Ashton, T.: An Economic History of England in The Eighteenth Century, P.252.
(5)Ibid, P.252.
(6)Ibid, P.252.

التقدم الصناعي أصبح كبيراً، وأن الحاجة للمستعمرات والمواد الخام القادمة منها في تزايد مستمر؛ فأدى هذا إلى تصاعد العمليات الاستعمارية لإيجاد أسواق لتصريف الإنتاج، وللبحث عن المواد الخام، وحماية طرق التجارة التي تُعتبر فلسطين جزءاً هاماً منها.

●أضر دخول الآلة لعجلة الاقتصاد بالكثير من العمال لأن أصحاب المصانع والشركات التجارية بدؤوا يستغنون عن العمال، وبذلك انتشرت البطالة. وأدى هذا الأمر إلى انخفاض الأجور خاصة وأن أصحاب المصانع توجهوا لاستخدام الأطفال والنساء لتشغيل الآلات لرخص أجورهم. وبذلك ساءت أحوال العمال، لأن أصحاب العمل استغلوهم أسوأ استغلال، وكان العامل يعمل أكثر من خمس عشرة ساعة في اليوم. وأدت كثرة المنتوجات مع رخص الثمن إلى إقبال المجتمع على الشراء بكثرة، فازدادت الصناعة وبالتالي تزايد الإقبال على الأيدي العاملة فارتفعت أجورهم من جديد. وبدأت الحكومات تتدخل وتضع القوانين لتنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب العمل. لكن بقيت أوضاع العمال صعبة لأن الأجور لم تكن تكفي للنفقات. وبسبب تدهور الأجور بدأ العمال مسيرتهم في الدفاع عن حقوقهم فأسسوا النقابات لتدافع عن مصالحهم، واستمروا في نضالهم حتى تحسنت أحوالهم من خلال سن تشريعات تضمن هذه الحقوق[١].

●أدت الثورة الصناعية إلى الهجرة الكثيفة من الريف إلى المدن والمناطق الصناعية، فأصبحت المدن مزدحمة، تجمعت فيها شرائح اجتماعية مختلفة، منها المفكرين والعمال والرأسماليون، مما أدى إلى ظهور أحزاب سياسية متعددة تمثل مصالحها، وهكذا تكرست التعددية على صعيد الفكر والممارسة السياسية[٢]. وهذا يعني أن القرار السياسي في بريطانيا لم يعد يُصنع فقط في قمة الهرم السياسي. وإنما أصبح هنالك مجال للقوى الاجتماعية الصاعدة أن تتكتل وتصبح ذات أثر ونفوذ، فهل ستستفيد الفكرة الصهيونية من هذا التحول، خاصة وأن القرن الثامن

(1)Jones, R: op. cit., p159.

(2)Ibid, p151.

عشر انتهى بوجود تيار لا بأس به من مؤيدي الفكرة الــصهيونية والــداعين لهــا. ويضاف إلى هذا أن الدولة ذاتها وجهت اهتمامها للمشرق الإســلامي فــي إطــار الإمبريالية المتصاعدة، وقد حدث هذان التطوران- تنامي دوائر المؤيــدين للفكــرة الصهيونية شعبياً ونخبوياً وتزايد اهتمام الدولة بالمشرق الإسلامي وفلسطين- فــي خطين متوازيين؛ فهل سيقدر لهما أن يلتقيا؟!

# الفصل الثالث

# العمل المنظم لتأسيس كيان يهودي في فلسطين

**المبحث الأول: تصاعد الاستعمار في القرن التاسع عشر واهتمام بريطانيا بفلسطين**

**المبحث الثاني: الضغط النخبوي على القيادة البريطانية الهادف إلى تأسيس كيان يهودي في فلسطين**

**المبحث الثالث: العمل المؤسساتي الهادف لإثبات الارتباط الديني والتاريخي لليهود بفلسطين**

**المبحث الرابع: سعي بعض المسيحيين لنقل الفكرة الصهيونية لليهود**

# العمل المنظم لتأسيس كيان يهودي في فلسطين

يتناول الفصل الثالث بالبحث والتحليل مجموعة من الأحداث والوقائع والأفكار التي تضافرت معاً، وساهمت مجتمعة في تخصيب التربة البريطانية وجعلها أكثر قدرة على تغذية مضامين المشروع الصهيوني وجعلها أكثر وضوحاً والعمل لتحقيقها على الأرض بطرق وأشكال أكثر تنظيماً. يتوكن الفصل الثالث من أربعة مباحث. يتناول المبحث الأول موضوع تصاعد الاستعمار في القرن التاسع عشر واهتمام بريطانيا بفلسطين. ويعالج المبحث الثاني الضغط النخبوي على القيادة البريطانية الهادف إلى تأسيس كيان يهودي في فلسطين. أما المبحث الثالث فيوضح التطور الذي طرأ على العمل من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين، وتطوره لكي يصبح عملاً مؤسساتياً يسعى لإثبات الارتباط الديني والتاريخي لليهود بفلسطين. والمبحث الرابع يعالج مسألة سعي بعض المسيحيين لنقل الفكرة الصهيونية لليهود.

**المبحث الأول: تصاعد الاستعمار في القرن التاسع عشر واهتمام بريطانيا بفلسطين**

شهد القرن التاسع عشر منذ بدايته سلسلة من الأحداث الهامة بدءاً بحروب بريطانيا ضد نابليون بونابرت التي استمرت حتى سنة ١٨١٥، وهُزمت فيها فرنسا وصعد نجـم بريطانيـا التي استفادت من معاهدة سلام فيينا سـنة ١٨١٥[١] حيـث كـسبت بمقتـضاها مـستعمرات جديدة[٢]. كما تعاظم أثر الثورة الصناعية في بريطانيا خلال القرن التاسع عشر وانعكس ذلـك على مختلف مجالات الحياة فيها[٣]، وتضاعف عدد السكان خلال القرن ثلاث مرات ونـصف إذ تُفيد الإحصائيات أن عدد سكان بريطانيا سنة ١٨٠١ بلغ ١٠،٥٠١،٠٠٠نسمة، أما في سنة ١٩٠١ فقد قُدّر بـ ٣٧ مليون نسمة[٤]. وأدى اتساع مجالات العمل في بريطانيا إلى تـشغيل أعداد كبيرة من الأطفال الذكور والإناث دون سن الخامسة عشر في مختلف مجالات العمـل الشاق، وتُقدّر الإحصائيات عددهم في منتصف القرن بـ ٥٥٠ألف عامل[٥]، وإن كان تـشغيل الأطفال يعني في نفس الوقت وجـود حالـة كبيـرة مـن الجـشع والاسـتغلال. وتوسـعت الإمبراطورية حتى وصلت إلى أقصى حدودها، وأخذت بريطانيا تقوم بـدور متعـاظم علـى الصعيد الدولي.

وحدثت في بريطانيا العديد من التطورات الداخلية في هذه الفترة ، مثل طـرق النقـل البريـة والحديدية وحفر القنوات بين الأنهار التي ازدادت شبكاتها بشكل كبير[٦]، وتطـورت وسـائل

---

(1) انظر نص معاهدة فيينا في

Wiener, Joel: Great Britain Foreign Policy and Span of Empire, P.229

(2) مؤتمر سلام فيينا هو اجتماع عقد سنة ١٨١٥ لتسوية النزاعات التي نشأت بسبب الحرب بين فرنسا وبقية دول أوروبا، وقرر المؤتمر كيفية حكم أوروبا بعد هزيمة نابليون الأول، كما قرر المؤتمر إعادة العديد مـن ملوك وأمراء أوروبا إلى السلطة بعد أن كان نابليون قد أزاحهم عنها. وشمل الحكام الذين تم إعادتهم للـسلطة ملوك البوربون في فرنسا. وقد أجاز المؤتمر استيلاء الدول المتحالفة على العديد مـن الأقطـار المغلوبـة؛ فاحتفظت بريطانيا بعدد من المستعمرات التي استولت عليها خلال الحرب وتعززت بمقتضى المعاهـدة قـوة ومكانة بريطانيا في العالم.

الموسوعة العربية العالمية، ج١٧، ص٧٣٢.

انظر: الجمل، شوقي وعبد الرازق، عبد الله: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص١٦١-١٧٠.

Christie, Ian: Wars and Revolutions Britain 1760-1815, P.325.

(3) الجمل وعبد الرازق: م. س. ذ.، ص١٧٨.

(4)Court, W.: A Concise Economic History of Britain, P.5.

(5)Best, Geoffery: Mid Victorian Britain 1851-1875, PP.112,113.

(6)Ibid., PP. 32-35,

الاتصالات خاصة البريد والهاتف. وعملت الحكومة في المجال السياسي على تعديل وتوسيع حق الانتخاب ليشمل معظم ساكني المدن وذلك من خلال سن قانون الإصلاح Act of Reformation 1832[١] الذي توسعت بمقتضاه دائرة أصحاب حق الاقتراع[٢] . وحدثت إصلاحات عديدة في مجال التعليم تُوّجت بتأسيس أول كلية لتدريب المعلمين سنة ١٨٣٩[٣] . وبرزت في هذا العصر معاناة طبقة العمال على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، ولهذا شهد هذا القرن ظهور نقابات العمال ونضالهم من أجل استصدار قوانين تعترف بحقوقهم وتوفر لهم الحماية[٤]، وتأسست أول نقابة للعمال في بريطانيا سنة ١٨٣٦[٥] .

لم يتسم القرن التاسع عشر بالهدوء في العلاقات الخارجية؛ وكان محمد علي قد ظهر بقوة على مسرح الأحداث السياسية في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وقام بتكوين إمبراطوريته الصغيرة في مصر والشام؛ مما أدى إلى قلب موازين القوى الدولية التي رأت في هذه الخطوات تهديداً لمشاريعها الاستعمارية؛ ذلك أنها كانت تفترض أن العالم كله إن هو إلا ساحة لنشاطها وسوقاً لسلعها[٦]. ورأت هذه الدول أن خطوة محمد علي تضع حداً لآمالها حيث كانت تترقب اللحظة المواتية لاقتسام تركة الدولة العثمانية. ولذا تحالفت الدول الغربية كلها، وعقدت مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ وقررت فيه الإجهاز على محمد علي، واضطرته للتوقيع على معاهدة لندن لتهدئة المشرق[٧].

---

Webb, R.: Modern England from the 18th Century to the Present, P.103.

(1) انظر نص القانون في

Adams, George: op. cit., P.514.

(2) انظر: عبد الرحيم، عبد الرحيم: م. س. ذ.، ص١٩٦.

Prall, Stuart: op. cit., P.604.

(3) Ibid., P.604.

(4) Best, Geoffery: op. cit., P.117.

(5)Prall, Stuart: op. cit., P.604.

(6) Sidebotham, Herbert: op. cit., P.112.

(7) Webster, Charles: The Foreign Policy of Palmerston, Vol.2, P.753.

وتورطت الإمبراطورية البريطانية في العديد من الحروب أهمها حرب القرم(١) (١٨٥٣-١٨٥٦) التي خاضتها إلى جانب فرنسا ضد روسيا صاحبة الطموح في السيطرة على أملاك الإمبراطورية العثمانية، الأمر الذي كانت ترى فيه بريطانيا خطراً على طريقها إلى الهند. وقد أُنهكت روسيا عسكرياً واقتصادياً من هذه الحرب. واضطرت أخيراً للتوقيع على معاهدة سلام في باريس بتاريخ ٣٠ مارس ١٨٥٦. واضطرت بموجبها للتخلي عن بعض الأراضي التي احتلتها من الدولة العثمانية، ومُنعت سفنها الحربية من دخول البحر الأسود، ومُنعت من إنشاء تحصينات حوله(٢). كما شهدت هذه الفترة ضم الهند إلى التاج البريطاني سنة ١٨٥٧ وحكمها بشكل مباشر، في عهد الملكة فكتوريا(٣) (١٨٣٧-١٩٠١). وانتهى القرن بتورط بريطانيا في حربي البوير(٤) في جنوب أفريقيا: الحرب الأولى (١٨٨٠، ١٨٨١) والثانية (١٨٩٩-١٩٠٢). واستطاعت بريطانيا هزيمة البوير في النهاية وإنشاء اتحاد جنوب إفريقيا.

---

(1) اندلعت حرب القرم بين القوات الروسية من جهة وجيوش التحالف التي ضمت كلاً من فرنسا والدولة العثمانية وبريطانيا. وبدأت الحرب بسبب النزاع حول مكانة الكنيسة الأرثوذكسية في الدولة العثمانية الإسلامية. وقامت روسيا باحتلال ما يُعرف حاليا باسم رومانيا في يوليو ١٨٥٣، فسارعت بريطانيا وأرسلت أسطولها إلى القسطنطينية لدعم الأتراك. ودارت معارك عديدة بين الأطراف المشاركة في الحرب.

الموسوعة العربية العالمية، ج٩، ص٢٥٤.

(2) الجمل وعبد الرازق: م. س. ذ. ص٢١٧.

(3) فكتوريا (١٨١٩-١٩٠١) أصبحت من أشهر الملوك في التاريخ الإنجليزي. تولت الحكم لمدة ثلاثة وستين عاماً وحققت بريطانيا في عصرها التقدم والإزدهار في كل المجالات، حتى أن عصرها يُطلق عليه عصر التقدم. وفي عهدها برز دور رؤساء الوزراء الأقوياء مثل جلاديستون ودزرائيلي وسالسبري.

الموسوعة العربية العالمية، ج١٧، ص ٤٠١، ٤٠٢.

(4) حربا البوير عبارة عن حربين وقعتا في جنوب إفريقيا بين البريطانيين والبوير. وقعت الأولى بين البوير والإنجليز. ويعود سببها إلى رغبة بريطانيا توحيد مستعمراتها في جنوب إفريقيا، وهي الكاب وناتال مع جمهوريات البوير، وهي الترانسفام وولاية أورانج الحرة. هُزم البريطانيون في هذه الحرب ومنحوا الترانسفال الاستقلال. أما الحرب الثانية فنشبت نتيجة تجدد الجهود البريطانية للسيطرة على الترانسفال التي كان قد أعيد تسميتها جمهورية جنوب إفريقيا. وخلال هذه الحرب أُنهكت قوى البوير وانقسموا على أنفسهم ما بين الذين تخلوا عن المقاومة وأولئك الذين استمروا في القتال، واستسلم البوير دون شروط بعد إجراء محادثات السلام، وقبلوا بالحكم البريطاني.

الموسوعة العربية العالمية، ج٩، ص١٨٥-١٨٨.

وفي منتصف القرن التاسع عشر كانت إنجلترا بمثابة ورشة العالم بلا منازع، فإنتاجها الصناعي كان قد وصل إلى مستوى لم تعرفه البشرية من قبل، وإمبراطوريتها كانت مترامية الأطراف تحميها قوة عسكرية ضخمة وأسطول يسيطر على كل بحار العالم. وقد اتخذت السياسة البريطانية شكلاً إمبريالياً أكثر حدة، ولا سيما بعد تحطيم مطامع روسيا في حرب القرم، وبعد أن تحول مشروعها الاستعماري إلى أواسط آسيا وغيرها من المناطق البعيدة عن أفريقيا والشرق الأوسط، الذين تزايد الاهتمام الإمبريالي البريطاني بهما. واشترت بريطانيا أسهم قناة السويس سنة ١٨٧٦، واستولت على قبرص سنة ١٨٧٨، واحتلت مصر ١٨٨٢. ونتيجة كل هذا التوسع أصبح مصير فلسطين جزءاً من المخطط الاستعماري البريطاني. ورغم ذلك كانت بريطانيا لا تزال ملتزمة بضمان وحماية ممتلكات الدولة العثمانية.

لم تقتصر التطورات التي شهدتها بريطانيا على ما تقدم ذكره في مجال الإصلاح الداخلي والاستعمار الخارجي، بل إن التطورات الفكرية والتنظير الفلسفي لتلك التطورات خاصة في جانبها الجشع ربما يكون هو الأهم أو الأخطر. وفي هذا السياق فقد نشر تشارلز داروين ١٨٠٩-١٨٨٢ Charles Darwin سنة ١٨٥٩ كتابه الشهير "أصل الأنواع". وقد أحدث هذا الكتاب جدلاً واسعا في دوائر الفكر والعلم البريطانية وقد ترددت أصداء الجدل المحتدم بوتيرة عالية بين المتدينين والعلمانيين[١]. ولم يتوقف داروين عند هذا الحد بل تقدم في مشروعه ونشر كتابه الثاني "أصل الإنسان" في سنة ١٨٧١[٢]. ولم يقتصر فكر داروين في تأثيره على علم الأحياء، بل امتد إلى الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والجيولوجيا والسياسة والاقتصاد والأخلاق. وقد أحدثت أفكاره زلزالاً في هذه الأوساط حيث أصبح الناس لا يؤمنون إلا بالتطور في كل شيء[٣].

وتكاثر مؤيدو دارون وأصبح يطلق عليهم أصحاب فكرة الداروينية الاجتماعية[٤]. ويرى دعاة هذه الفكرة أن القوانين التي تسري على عالم الطبيعة والغابة هي نفسها التي تسري على الظواهر الإنسانية التاريخية والاجتماعية، وتتلخص المفاهيم الأساسية للداروينية

---

(1) سترومبرج، رونالد: م. س. ذ.، ص ٤١٤.

(2)Britannica, vol.3, p 894.

(3) Webb, R: op. cit., p. 413.

(4) سترومبرج، رونالد: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ص ٤٢٦.

الاجتماعية على النحو التالي: أن التطور هو الأساس الذي بمقتضاه ظهرت كـل المخلوقـات وذلك عبر عملية طويلة من التطور، وهي عملية حتمية شاملة تـشمل كـل الكائنـات وكـل المجتمعات في المراحل التاريخية كافة. وأن العالم كله في حالة تطور دائم، قد يكـون بطيئـاً وغير ملحوظ أحياناً، وقد يأخذ شكل طفرة فجائية واضحة أحياناً أخرى. وأن عملية التطور لا تحدث في حالة من الهدوء، بل تتم من خلال صراع دائم بين الكائنات والأنـواع، فالـصراع دموي وحتمي وهو جماعي لا فردي(١).

والكائن أو النوع الذي ينتصر على الكائنات والأنواع الأخرى، ويحقق البقـاء المـادي لنفسه، يثبت بالتالي أنه أرقى من الأنواع الأخرى إذ حقق البقاء لنفسه، حيث بقي هـو بينمـا كان مصير الآخرين الفناء. ولا تستطيع الكائنات تحقيق البقاء إلا بإحدى طريقتين فإمـا مـن خلال التكيف مع الواقع فتتلون بألوانه وتخضع لقوانينه، أو من خلال القـوة وفـرض الإرادة على الواقع، والبقاء من نصيب الأصلح القادر على فرض إرادته. ويعتبر البقاء هـو القيمـة المحورية في المنظومة الداروينية التي تتجاوز الخير والشر والحزن والفرح. ويصبح التفـوق عنصراً وراثياً لأن المنتصر سيورث خصائصه إلى بقية أعضاء نوعه. وهذا يعنـي اسـتحالة وجود مساواة مبدئية بين الأنواع أو بين أعضاء الجنس البشري. ومع تزايد معدلات التطـور يصبح هناك كائنات أكثر رقياً من الكائنات الأخرى بحكم بنيتها البيولوجية(٢).

لقد رسخت الفلسفة الداروينية النظر للعالم باعتباره مادة محايدة لا تعرف الخير أو الشر أو القبح والجمال، لأن كل ما في هذا الكون متطور ولا يستقر على حال؛ والإنـسان مجـرد جزء من هذه المادة، وقد صدر عنها من خلال عملية التطور، وأنه لا يوجـد سـوى قـانون طبيعي واحد يسري على الإنسان والأشياء، فالوجود الإنساني نفسه يتحقق من خلال الآليـات التي تحكم تطور كل الكائنات الأخرى، وهي الصراع والقوة والتكيف. وبنـاءً علـى قـانون التطور فإن الإنسان حتماً سيفقد مكانته بنفس الطريقة التي وصل من خلالها إلـى القمـة. وأن الإنسان لا يتمتع بأية حرية ولا يحمل أية أعباء أخلاقية، فالقوانين الأخلاقية هي مجرد تطـور لأشكال من السلوك الحيواني الأقل تطوراً والحرص الغريزي على البقاء البيولـوجي. وهـذا يعني أن القانون الأخلاقي، وكل القوانين، هي قوانين مؤقتة ونسبية، ترتبط بحلقة التطور التي

---

(1) Britannica, vol. 16, p. 977.

(2) Ibid, p. 978.

أفرزتها، ولذا يتم الاحتفاظ بالقوانين طالما أنها تخدم المرحلة. ومن ثم فإن الأخـــلاق المطلقـــة تقف ضد التقدم العقلاني المادي، وخصوصاً، إذا كانت أخلاقاً دينية تدعو إلى حماية الأضعف والأقل مقدرة(١).

ويعتبر داروين أن البقاء هو القيمة الوحيدة، والصراع هو الآلية، والأنانية وحب الذات هما مصدر الحركة، ولذا فإن العالم هو ساحة قتال بين الذئاب مـــن البـــشر. وقـــد أدت هـــذه الأفكار بالعالم الغربي إلى التأكيد على ضرورة التنافس والصراع والإصـــرار علـــى حريـــة السوق وآلياته وعدم تدخل الدولة بحيث يهلك الضعفاء ولا يبقى إلا الأقوياء. والإمبريالية هـــي تدويل للرؤية الداروينية حيث أصبح العالم كله مسرحاً لنشاط الإنسان الأبيض المتفوق الـــذي أباح لنفسه قتل الآخرين ضماناً لبقائه وتأكيداً لقوته. كما هيمنت النظرية التطورية على العلـــوم الاجتماعية، فالإيمان بالتقدم والحتمية التاريخية والاجتماعية يعتبر تطبيقاً للفكر التطوري، فقـــد درس هربرت سبنسر التاريخ باعتباره تطوراً من المجتمع العسكري إلى المجتمع الـــصناعي، واعتبر ماركس تطوراً من المشاعية إلى الإقطاع ثم الرأسمالية ثم الاشتراكية ثم الشيوعية(٢).

وتلا داروين من حيث الأهمية الفيلسوف وعالم الاجتماع الليبرالي هربرت سبنسر الذي يُعتبر من أهم منظري الداروينية الاجتماعية. يعتبر هربرت سبنسر مـــن المتـــأثرين بدراســـة العلوم الطبيعية، وكان قد عمل معلماً ثم مهندساً مدنياً في مصلحة القطارات قبـــل أن يتفـــرغ تماماً للتأليف. ويعتبر سبنسر من أهم الشخصيات الفكرية في بريطانيا في القرن التاسع عـــشر ومن أكثرهم تعرضاً للجدل والنقاش العام(٣).

قسم سبنسر المجتمعات إلى مجتمعات عسكرية ومجتمعات صناعية، واعتبر أن المجتمع العسكري يُحكم بالقوة والتسلط. أما المجتمع الصناعي فيتيح الحرية لأفـــراده ويـــؤمن تلقائيـــاً حاجات الجماعات الاجتماعية المختلفة. واعتبر أن الارتقاء في جميع ممالك الطبيعة (إنـــسان وحيوان ونبات) وما يتصل به من شئون تتعلق بالعادات والأخلاق والفنون والسياسة إنما يقوم على أساس واحد وهو الانتقال من التماثل والتشابه إلى التباين وعدم التجـــانس والميـــل إلـــى التفرد التخصصي الذي هو أساس كل تطور ودعامة كل ارتقاء في الموجودات، وهذا القـــانون

(1) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج١، ص ٢٦٢.
(2) سترومبرج، رونالد: م. س. ذ.، ص٤٢٦.
(3) ن. م.، ص ٤٥٨.

يرتكز في نظره على قاعدتين أولهما أنه كلما ازداد المركب الحيوي تعقيداً كلما ازداد اختصاصاً وتفرداً، وثانيهما أنه كلما ازدادت الأعضاء تفرداً واختصاصاً ازدادت استقلالاً[١].

وقد طبق سبنسر فكرته البيولوجية التطورية على الحياة السياسية والاجتماعية معتبراً أن الإنسان في الجماعات البشرية كان يعيش على الفطرة، وكان الناس متشابهون، بل متماثلون من حيث طرق المعيشة والحاجات والغايات، ولم يكن الواحد منهم يعتمد على الآخر في سائر أحواله، فكان الفرد يعد طعامه ويبني كوخه، ولما تطورت الحياة أخذت تتضح الفروق بين الأفراد، وأصبحت الأدوار تتوزع (زوجة أب أم زوج.. إلخ). ثم بعد ذلك من يقوم بالزراعة والصناعة ثم التسويق والدفاع والتعليم..إلخ. ومع الوقت ازداد التخصص الواحد تطوراً فالزراعة تخصصات والصناعة كذلك، لكن التباين والاستقلال لا يعني الانعزال، وإنما التكامل والتماسك، واعتماد الأجزاء والوظائف بعضها على البعض الآخر[٢].

ويشبه سبنسر المجتمع بالكائن الحي من ناحية تركيبه الداخلي، فجهاز التغذية للمجتمع يتمثل في هيئاته وطبقاته المنتجة. ودورته الدموية تتمثل في نظم التوزيع وطرق المواصلات. أما قلب المجتمع فهو ثروته، وجهازه الهضمي والإخراجي فيتمثل في نظم الاستهلاك، وله جهاز عصبي يتمثل في الجهاز التنظيمي والحكومي[٣].

ويعتبر سبنسر أن المجتمع شأنه شأن الفرد من حيث النشأة والتكوين ينشأ بسيطاً صغير الحجم ثم يتكاثر، ويتبع ذلك تميز في الأعضاء وتعقيد في التركيب، وينتقل من مظهر الشيوع إلى نظام التخصص وتقسيم العمل. وهذا النمو يتبعه تعقيد في بنية المجتمع وتركيبه، وكلما استقرت الحياة الاجتماعية تأخذ الظواهر والنظم في الارتقاء والتطور وتخضع بدورها للانتقال من حالة التجانس إلى التباين، واعتبر أن الفرد هو نواة المجتمع[٤].

يرى سبنسر أن وظيفة الحكومة تتلخص في حماية الدولة وتحقيق الأمن وضمان الوفاء بالعقود بين الأفراد. أما ما تلجأ إليه الحكومات من سن التشريعات والقوانين التي تحد من نشاط الأفراد وتعوق إمكانياتهم وتعمل على سيادة بعض الطبقات، وما تلجأ إليه من نظم

---

(1) ن. م.، ص ٤٥٩.

(2)ديورانت، ويل: قصة الفلسفة، ص٤٨١.

(3)ن. م.، ص٤٨١.

(4)ن.م.، ص ٤٧٤.

لرعاية الفقراء والعجزة والمرضى، وما تلجأ إليه للتدخل في شئون الصناعة والعمل ونشر التعليم وتعزيز الروابط وتنظيم الأعمال الخيرية فهذا لا يصح للحكومة التدخل فيه. ويعتبر أن الحكومة غير ضرورية ويرى أنها من طبيعة غير أخلاقية لأنها تستمد دعائمها من القوة والعنف ونشر الخوف. فهي بهذا الوصف شر لابد منه، ويعتبر أن سعادة الناس غير مرتبطة بوجود الدولة ودليله أن الجريمة لم تنته للآن رغم وجود الدولة. وبما أن سبنسر من أنصار المذهب الفردي الذي يعتبر أن الفرد محور الحياة فقد رفض كل تدخل للدولة، وطالب بإطلاق حرية الفرد حتى أنه فضل النظام الفوضوي على الدولة. ويرى سبنسر أن تدخل الدولة في الشئون الاقتصادية لا يستقيم مع القوانين التي انتهى لها التطور وهي القوانين المتعلقة بتنازع البقاء والبقاء للأصلح والانتخاب الطبيعي، لذا فيجب ألا تتدخل الحكومة، بل عليها أن تترك الأمور تتقدم وترتقي حسب طبيعتها، لأنه نتيجة للصراع سيقاوم الصالح ويعيش أما الفاسد والضعيف فسيفنى من الوجود. ويرى سبنسر أن الفعل الخلقي هو الذي يحقق المتعة ويجنب الألم ويجلب المنفعة.

يتضح مما تقدم أن بريطانيا تمكنت خلال القرن التاسع عشر من تأكيد تفوقها على الصعيد العالمي كقوة استعمارية مهيمنة. وتدخلت خلال هذا القرن للمرة الثانية لمنع أي قوة طامعة من احتلال فلسطين عندما طردت قوات محمد على من فلسطين وسائر بلاد الشام. وبدأت النخب البريطانية تدرك أهمية الحفاظ على الطريق التجاري للمستعمرات والذي يمر عبر مصر وفلسطين. ويضاف إلى ذلك أن هذا التفوق والتوسع واستغلال الآخرين جرى التنظير له وتبريره فكرياً من خلال جهود العديد من المفكرين من أمثال داروين وهربرت سبنسر وغيرهما.

**المبحث الثاني: الضغط النخبوي الهادف إلى تأسيس كيان يهودي في فلسطين**

لقد شهد القرن التاسع عشر بروز دعوات عديدة وأحياناً مساعي حثيثة يقوم بها أشخاص من النخبة البريطانية تسعى إلى لفت أنظار رجال الدولة لأهمية تأسيس كيان يهودي في فلسطين. وفيما يلي استعراض لمجموعة من الآراء الهامة في هذا الإطار.

**جورج جاولر ١٧٩٦-١٨٦٩ George Gawler**

هو قائد عسكري بريطاني، مسيحي، أخذ على عاتقه نشر الأفكار المرتبطة باستقرار اليهود في فلسطين. وكان حاكماً لمستعمرة جنوب استراليا (١٨٣٨-١٨٤١)[١]. كان يرى أن فلسطين ملك لرب إسرائيل، وأن اليهود هم شعب الله[٢]. وكان يذهب إلى أن العناية الإلهية وضعت سوريا ومصر في الطريق بين إنجلترا من جهة وبين أعظم مناطق إمبراطوريتها ومراكز تجارتها في الهند والصين، أي أن الوضع الجغرافي السياسي المتميز لسوريا ومصر والذي يمكن الامبراطورية من الاستفادة منه هو جزء من المخطط الإلهي، وكأن الإمبراطورية الإنجليزية هي امتداد للتاريخ التوراتي المقدس. والوضع نفسه ينطبق على الشعب المختار في نظر جاولر، لأنه سيقف على جبال إسرائيل في مستوطنات زراعية عسكرية مزدهرة تحميها ضد المعتدين. وكان جاولر يعتقد أن توطين اليهود في فلسطين يمثل الحل الأمثل لمشكلة عدم الاستقرار في الشرق الإسلامي، وهو الأمر الذي تنبهت له بريطانيا بعد الحروب النابليونية، كما يمثل الحل الأمثل للمشكلة اليهودية في أوروبا[٣].

وكان جاولر يعتقد بإمكانية توطين اليهود في فلسطين في غضون بضعة أعوام. وسافر مع السير موسى مونتفيوري[٤] Moses Montefiore إلى فلسطين سنة ١٨٤٩ ونجح في الحث على تحقيق المشروع وفي بناء مستوطنات زراعية قرب يافا، وقد رفض معظم اليهود البريطانيين أفكار جاولر الاستيطانية[٥]. وقد كانت جهود جاولر تهدف لحماية المصالح

---

(1) Pragai, Michael: op. cit., P.22.

(2) Ibid., p.22.

(3)Tuchman, Barbara:op. cit., p.216.

(4) موسى مونتفيوري (١٧٨٤-١٨٨٥) هو ثري ومالي يهودي بريطاني، زعيم الجماعة اليهودية في بريطانيا، ومن كبار المدافعين عن الحقوق المدنية لليهود في إنجلترا والعالم.

المسيري، عبد الوهاب: م.س.ذ.، ج٦، ص، ١٧٧.

(5) Tuchman, Barbara:op. cit., p.217.

البريطانية في الهند وفي المستعمرات الجديدة عن طريق خلق منطقة دفاع من المستوطنين اليهود الموالين للإمبراطورية لمواجهة أعدائها.

**إدوارد متفورد Edward Mitford**

أخذ متفورد يدعو إلى صهيونية أشد تطرفاً وإلى إقامة دولة متكاملة، ففي عام ١٨٤٥ قدم للحكومة البريطانية خطة نيابة عن ما أسماه الأمة اليهودية بخصوص السياسة البريطانية في الشرق(١). وتطالب الخطة التي قدمها بإيجاد أمة يهودية في فلسطين كدولة محمية تحت وصاية بريطانيا العظمى أولاً، ثم توطينهم نهائياً كدولة مستقلة عندما تكتسب المؤسسات القوة الكافية لإنهاء الوصاية، وأكد على أن الدولة اليهودية ستضع إدارة المواصلات البريطانية التجارية في أيدي الإمبراطورية تماماً وستجعلها مسيطرة على الشرق بحيث تستطيع أن تحد من الانتهاكات وترهب الأعداء وتحول دون تقدمهم إذا دعت الضرورة(٢).

وكانت الملاحة خلال أربعينيات القرن التاسع عشر قد جعلت الشرق الإسلامي منطقة مهمة لسيطرة بريطانيا على الطريق للهند، فالسفن التجارية بحاجة إلى التزود بالوقود، ولذا فإن السفن البريطانية كانت تستعمل طريق البحر المتوسط – البحر الأحمر عبر السويس بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح الطويل. وكان متفورد كغيره من الصهيونيين منحازاً لليهود فقد وصفهم بأنهم شعب متفوق تتجسد فيه صفات الشجاعة والمثابرة التي جعلتهم جديرين بدولة مستقلة لهم في فلسطين، ولكنه كان بعيد النظر بحيث أثار مشكلة السكان العرب في فلسطين لأن البلاد غير مكتظة بالسكان حالياً بالنسبة لمساحتها، ولكن الضغط الواقع على السكان الفعليين بسبب هذا العدد من الغرباء قد تكون له نتائج ضارة. لذا فمن المستحسن تهيئة البلاد لاستقبالهم قبل محاولة التوصل إلى تسوية، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إغراء الحكومة التركية بجعل السكان المسلمين يعودون إلى آسيا الصغرى الواسعة التي لم تفلح إلا جزئياً(٣).

---

(1) محمود، أمين: مشاريع الاستيطان اليهودي، ص٢٤.

(2) Sharif, Regina: op. cit., p

(3) Ibid., p

### جورج إليوت ١٨١٩-١٨٨٠ George Eliot

اسمها الحقيقي ماري آن إيفانس، تدل كتاباتها الأولى على أنها بدأت حياتها الفكرية بنبذ اليهود وتراثهم فهي ترى أن كثيراً من أساطيرهم الأولى، وكذلك كل أحداث تاريخهم، تعاف النفس منها إلى أقصى مدى..وتعتبر أن كل شيء يهودي هو شيء وضيع على وجه الخصوص.

لكن موقفها تغير عندما نشرت جورج إليوت سنة ١٨٧٦ رواية "دانييل ديروندا" وهي رواية ذات طابع صهيوني عن يهودي يكتشف هويته ويرى أن لا خلاص له إلا من خلال الحل الصهيوني، أي من خلال الهجرة وتأسيس دولة يهودية في فلسطين(١). وتقدم هذه الرواية صورة جديدة لليهودي باعتباره بطلاً وليس مجرد مرابي أو تاجر. وقد جاء في الرواية دعوة إلى مشروع صهيوني يموله أثرياء اليهود ويتم الإعلان عنه بكفاءة، بحيث ينظم اليهود أنفسهم بهدف تأسيس كيان يهودي. ويتم ذلك من خلال هجرة عظمى تتحرك عبرها روح الإنجاز السامية. ليصبح اليهود أمة مثل كل الأمم(٢). وهذا هو المشروع الصهيوني لإفراغ أوروبا من اليهود عن طريق تهجيرهم خارجها، وهو في جوهره مشروعاً معادياً لليهود.

والواقع أن "دانييل ديروندا" من أهم وثائق الصهيونية غير اليهودية. ومن الأهمية بمكان أن نشير أن أدبيات الصهيونية غير اليهودية تسبق مثيلاتها اليهودية بسنوات. وقد تُرجمت إلى العبرية وانتشرت بين يهود ألمانيا وغيرهم من الجماعات اليهودية في أوروبا.

### تشارلز تشرشل ١٨٠٧-١٨٦٩ Charles Churchill

ضابط إنجليزي، مسيحي، من أوائل من دعوا إلى عودة اليهود إلى فلسطين، وهو من أسرة تشرشل الإنجليزية الشهيرة التي عملت في خدمة التاج البريطاني فترة طويلة، سواء في الجيش البريطاني أو في شركة الهند الشرقية. وُلد في الهند سنة ١٨٠٧، والتحق بالجيش البريطاني منذ شبابه المبكر سنة ١٨٢٧م. وشهدت تلك الفترة صعود قوة مصر إبان عهد محمد علي، حيث ساعدت القوات المصرية السلطان العثماني على إخماد ثورة اليونان رغم

---

(1) الراهب، هاني: م. س. ذ.، ص٦٣.

(2)ن. م.، ص٦٤.

تعرض الأسطول المصري للغرق بعد هجوم الأساطيل الأوروبية عليـــه(١). وبعـــد انتـــصار القوات المصرية على القوات العثمانية سنة ١٨٣٨ وتسليم فوزي باشا قائد الأسطول العثمـــاني سفنه لمحمد علي، اجتمعت الدول الأوروبية في لندن وأرسلت إنذاراً لمحمد علي بالانـــسحاب من الأراضي العربية التي كانت تابعة لتركيا في سوريا والحجاز واليمن.

وقد رفض محمد علي الإنذار، فأرسلت الدول الأوروبية مجتمعة حملة على بيروت سنة ١٨٤٠. وفي ٣ نوفمبر ١٨٤٠ سقطت عكا، وكان تشارلز هنـــري تـــشرشل أحـــد الـــضباط المشاركين في الحملة. وقد تزامنت هذه الأحداث مع قضية داخلية صغيرة، إلا أن ما يدور في المنطقة نفسها جعلها قضية كبيرة، ألا وهي الحادثة التي سميت بـــ "قضية دمشق". فقد اختفـــى راهب كاثوليكي يُدعى الأب توما وهو متوجه إلى حارة اليهود بتـــاريخ ١٨٤٠/١/٢٤. وقـــام القنصل الفرنسي بإثارة حاكم دمشق شريف باشا ضد مجموعة من العائلات اليهوديـــة علـــى اعتبار أن اليهود قد قتلوا الراهب وخادمه(٢).

وقام والي الشام شريف باشا بسجن هؤلاء اليهود(٣). وقد أرسلت بريطانيا بعثة برئاســـة سير موسى مونتفيوري لمصر، حيث نجحت تلك البعثة في تحرير الـــسجناء بالـــضغط علـــى محمد علي(٤). وأصدر محمد علي أمراً بالإفراج عنهم، وهذا ما قام به شريف باشا بالفعـــل(٥). والتقى مع تشرشل في مالطة، وأعرب تشرشل في هذه المقابلة عن إحـــساسه العميـــق بـــأن الأقدار قد رتبت هذا اللقاء في هذا المكان بالذات في إشارة واضـــحة إلـــى فرســـان حمـــلات الفرنجة وغزوهم فلسطين(٦). وفي دمشق دعاه رئيس الجماعة اليهودية التاجر والمالي الكبيـــر روفائيل فارحي إلى حفل استقبال كبير حيث ألقى تشرشل كلمة عبر فيها عن رغبته وأمله بـــل يقينه في أن هذه الوديان والسهول الجميلة التي يقطنها الآن العرب الجوالون وبـــسببهم تعـــاني من الخراب بعد أن كانت مثالاً للوفرة والرخاء وتملأ أرجاءها أغاني بنات صـــهيون، ســـتعود

---

(1) أنيس، محمد وحراز، رجب: تاريخ الشرق الحديث والمعاصر، ص١٨٩.

(2) مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص١١٣.

(3) ن. م.، ص١٢٠.

(4) ספיר، שאול: שלושת מסעותיו הראשונים של משה מונטיפיורי לארץ ישראל، ע' 20.

(5)مؤلف مجهول: م. س. ذ.، ص١٢١.

(6) Tuchman, Barbara: op. cit., P.208.

لإسرائيل في ساعة قريبة حيث إن اقتراب الحضارة الغربية من هذه الأرض يمثل فجر نهضتها الجديدة. من أجل أن تستعيد الأمة اليهودية مكانتها بين الشعوب.

وقد كتب تشرشل خطاباً لمونتفيوري بتاريخ ١٨٤١/٦/١٤ يطلب فيه أن يأخذ اليهود زمام الموقف في أيديهم وأن يبادروا باتخاذ الخطوات الأولية نحو الاستيطان وأن على جميع اليهود تأييد مشروع الاستيطان(١)، وخصوصاً أن جميع الدول الأوروبية ستساعدهم في مساعيهم. كما بين تشرشل في خطابه أن مساندة إنجلترا للدولة العثمانية هو زيف كبير وأنه يجب إنقاذ فلسطين من براثنها(٢).

وبدأ تشرشل على الفور خطوات عملية تتعلق بتنفيذ رؤيته، فنصّب نفسه حامياً لليهود في دمشق حيث بدأ يعاملهم كنواة للأمة المُتخيّلة، ولكنه لم يقابل نجاحاً وسط صفوف يهود سوريا والشام عامة، ولهذا فقد بدأ يتوجه إلى يهود أوروبا فأرسل خطاباً للسير موسى مونتفيوري سنة ١٨٤٢ طالباً منه المساعدة لإنقاذ اليهود من آلامهم وتعبئتهم للهجرة إلى فلسطين، باعتبار هذا حلاً سعيداً للمسألة الشرقية. ووضع في هذا الخطاب خطة توطينية استيطانية شاملة حيث يساهم يهود أوروبا الغربية الأثرياء بتوطين أبناء أمتهم الفقراء في فلسطين، وأوضح أنه في مثل هذه المشروعات الضخمة يضحي المرء بكل عزيز لديه من مال ونفس. كما أكد أن البدو والأعراب القاطنين في المنطقة لن يشكلوا عقبة كبيرة في وجه المشروع، بل إن المشروع سيمثل قلعة تدرأ خطر هجمات البدو وأطماع الطامحين أمثال محمد علي، حسب تعبير تشرشل(٣) .

ورغم أن مونتفيوري تحمّس شخصياً للمشروع إلا أن مجلس ممثلي يهود بريطانيا لم يعره اهتماماً(٤). وفي هذه الأثناء انعقد مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ لتقرير مصير الشرق، حيث قرر أن يقتصر حكم محمد علي على مصر فقط، وعودة الشام وباقي الأراضي العربية للحكم التركي. وكانت قرارات مؤتمر لندن مخيبة جداً لآمال تشرشل الذي كان قد أصبح قنصل

---

(1) محمود، أمين: مشاريع الاستيطان اليهودي، ص٢٤.

(2) Tuchman, Barbara: op. cit., P.209.

סמט، משה: משה מונטיפיורי וארץ ישראל מיתוס ומציאות، ע'82.

(3) Sharif, Regina: op. cit., P.62.

ספיר، שאול: שלושת מסעותיו הראשונים של משה מונטיפיורי לארץ ישראל، ע' 26.

(4) סמט، משה: משה מונטיפיורי، ע' 82.

بريطانيا في دمشق. ورغم خيبة أمله وإحباطه إلا أنه استمر في أداء دوره كحام لليهود ومدافع عنهم، الأمر الذي أثار حفيظة حاكم دمشق التركي، وظهر العداء بينهما بوضوح في خطاب أرسله تشرشل للقنصل البريطاني في بيروت معارضاً سياسة بالمرستون الرامية إلى عدم المساس بممتلكات الدولة العثمانية؛ وأعرب من خلاله أن عودة الأتراك لحكم الشام هو انتصار للمسلمين(١).

وبالمقابل اتهمه الحاكم التركي بسوء السلوك وإثارة الإضطرابات والتخابر مع الدروز، وقد أدى هذا إلى إعادته إلى إنجلترا. لكن هذا أتاح له فرصة أخرى للقاء السير مونتفيوري وأخبره أنه رغم عرقلة قرارات مؤتمر لندن لخطة إعادة اليهود إلى فلسطين، إلا أنه توجد خطة بديلة. وأرسل تشرشل للسير مونتفيوري خطاباً مفصلاً يتضمن هذه الخطة اقترح فيه خلق منصب خاص لمعتمد بريطاني لشؤون اليهود، كما طالب يهود أوروبا عامة وبريطانيا خاصة بالضغط على دولهم لخلق مثل هذا المنصب، ودعا إلى تكوين منظمة يهودية خاصة تمثل الشعب اليهودي دبلوماسياً وسياسياً. كما عبّر تشرشل عن أمله في أن يؤدي هذا للإسراع بخلاص الشعب اليهودي. وكان رد مونتفيوري على هذا الاقتراح سلبياً جداً، وكان هذا آخر اقتراح يقدمه تشرشل(٢).

يعتبر تشرشل من أشهر الداعين لمشروع استيطان اليهود في فلسطين في منتصف القرن التاسع عشر. وانتقد سياسة الحكومة البريطانية في الحفاظ على الدولة العثمانية، ودعا إلى إنهاء سيطرة الأتراك على سورية وفلسطين ووضعهما تحت الحماية البريطانية. ويتضح من خلال مساعي ومراسلات تشرشل مع مونتفيوري أن عملية بناء الأمة اليهودية تجري على قدم وساق في قلب العقل البريطاني بلا كلل أو ملل، فيما كان جل الاهتمام اليهودي موجهاً للحصول على المساواة وحق المواطنة في بريطانيا.

**إيليوت وربرتون Eliot Warburton**

نشر الرحالة البريطاني إيليوت وربرتون سنة ١٨٤٠ كتابه "الهلال والصليب"، وقد تم طبع هذا الكتاب سبعة عشر مرة. ورغم أن الكتاب لم يشر إلى المشروع اليهودي الاستيطاني بشكل مباشر إلا أنه ملأ الرأي العام البريطاني بإحساس معاصر للأسماء والأماكن في الأرض

---

(1) محمود، أمين: مشاريع الاستيطان اليهودي، ص٢٣.

(2) Tuchman, Barbara:op. cit., P.210.

المقدسة، وأعرب هذا الرحالة عن أمله في أن تنجح مصالح بريطانية في الهند في تحقيق ما فشل الصليبيون في تحقيقه، ولعل المصالح تنجح في إحراز ما فشل الكتاب المقدس في تحقيقه. لقد حمل هذا الكتاب رسالة واضحة ومباشرة بأن بريطانيا قادمة إلى الشرق، وأشار إلى أنه عندما يموت الباشا المجنون (محمد علي) فإنه على بريطانيا ألا تسمح بعودة مصر للاستيلاء على الشام، لأن طريق الهند من حقها، وهناك ستنتشر الحرية والإخاء[١].

**لندسي Lindsay**

أما الرحالة الآخر لندسي والذي نشر أعماله في ذات الفترة، فقد كان أكثر إحاطة بالمشروع اليهودي في كتابه "رسائل من مصر والأرض المقدسة". وعندما تحدث عن معالم القدس ذكر وجود "جبل صهيون"[٢] حيث شكر الإله لأن كثافة سكان فلسطين من الضآلة بحيث لن يستطيعوا منع عودة مالكيها الأصليين (أي اليهود) [٣].

**بنيامين دزرائيلي ١٨٠٤-١٨٨١ Benjamin, Disraeli**

ولد دزرائيلي لعائلة بريطانية ذات أصول يهودية سفاردية[٤]، خرج والده على اليهودية، واعتنق المسيحية، وكان بنيامين في الثالثة عشرة من عمره، فعُمد ونشأ نشأة مسيحية[٥].وانتُخب دزرائيلي عضواً في البرلمان عن حزب المحافظين سنة ١٨٣٧[٦].وفي سنة ١٨٥٢ أصبح دزرائيلي رئيساً لمجلس العموم[٧]، وفي سنة ١٨٦٨ أصبح رئيساً للوزارة[٨]، وهو منصب تقلده مرة أخرى في الفترة ما بين عامي ١٨٧٤-١٨٨٠[٩].

---

(1) Ibid., P.207.

(2) Lord Lindsy: Letters on Egypt, Edom and The Holy Land, vol.2, p.60.

(3) Ibid, pp. 207-210.

(4) Britannica, vol. 4, p. 127.

(5)Monypenny, William: The Life of Benjamin Disraeli, Vol.1, P.23.

(6) Bigham, Clive: The PrimeMinisters of Britain 1721-1921, P.288.

(7) Ibid, P.291.

(8) Ibid, P.293.

(9) Ibid, P.294.

وتمكن دزرائيلي من عقد صفقة شراء نصيب مصر من أسهم قناة السويس عام ١٨٧٥، وذلك بمساعدة مالية من عائلة روتشيلد اليهودية*. وتعتبر هذه الصفقة من أهم خدماته

* عائلة روتشيلد، هي عائلة يهودية ألمانية. ويعود الفضل في تأسيس العائلة وتوسيع دورها الرأسمالي إلى ماجيراشيل روتشيلد (١٧٤٣-١٨١٢)، وهو في الأصل تاجر عملات قديمة لكنه تحول للعمل في البنوك، بعد أن حقق ثروة طائلة أثناء حروب الثورة الفرنسية. وقد تفرق أبناؤه الخمسة وأسسوا خمسة أفرع لعائلة روتشيلد في خمسة بلدان أوروبية هي: إنجلترا وفرنسا والنمسا وإيطاليا بالإضافة إلى ألمانيا. وبالتالي فقد أقاموا شبكة من المؤسسات المالية المرتبطة ببعضها البعض.

أسس الابن الأكبر نيثان ماير روتشيلد (١٧٧٧-١٨٣٦) فرع بيت روتشيلد في إنجلترا سنة ١٧٩٩م، وكان الهدف من ذهاب نيثان روتشيلد في البداية إلى إنجلترا هو تأسيس فرع لشركات النسيج التابعة للعائلة، وذلك حتى يتم التخلص من الحاجة لتعيين وكلاء إنجليز، وبهذا تم تأسيس الفرع الإنجليزي لعائلة روتشيلد. وتزوج أخت زوجة موسى مونتفيوري، الثري والمالي اليهودي وزعيم الأقلية اليهودية في إنجلترا. وتمكن نيثان من الاندماج في المجتمع اليهودي السفارادي في إنجلترا سريعاً. واكتسب نيثان ماير روتشيلد مكانة مرموقة في عالم المال أثناء الحروب النابليونية حيث ساهم في تمويل إنفاق الحكومة الإنجليزية على جيشها في أوروبا واستعان في ذلك بأخيه جيمس روتشيلد المقيم في فرنسا، كما ساهم في تمويل التحويلات البريطانية إلى حلفاءها في أوروبا. وقد استطاعت عائلة روتسيلد خلال تلك الفترة تدبير ما يقرب من مائة مليون جنيه استرليني للحكومات الأوروبية.

وبعد الحرب كانت هذه العائلة هي الأداة الرئيسية في تحويل التعويضات الفرنسية إلى الحلفاء وفي تمويل القروض والسندات الحكومية المخصصة لعمليات إعادة البناء. وأكسبته هذه المعاملات المالية مكانة متميزة في جميع أنحاء أوروبا ودعمت مركز مؤسسته كواحدة من أبرز المؤسسات المالية الأوروبية في تلك الفترة.

وكان نيثان روتشيلد يتسم بالدهاء المالي والتجاري. فخلال فترة الحروب النابليونية نجح هو وإخوته، في تحقيق مكاسب ضخمة كما استغل إمكانياته في الحصول على المعلومات والأخبار بشكل سريع نسبياً، بفضل شبكة الاتصالات التي أسستها العائلة فيما بينها، لتحقيق أرباح طائلة لمؤسسته. وكان نيثان من أوائل من علموا بانتصار انجلترا على قوات نابليون في معركة ووترلو. وكان ذلك يعني ارتفاع أسعار سندات الحكومة الإنجليزية. إلا أن نيثان أسرع ببيع عدد كبير من سنداته حتى يوهم الجميع بأن إنجلترا قد خسرت الحرب. وهو ما دفع الكثيرين إلى التخلص من السندات التي في حوزتهم، الأمر الذي أدى بدوره إلى انخفاض أسعار هذه السندات بشكل حاد. وهنا قام بشراء هذه السندات بثمن بخس محققاً من وراء ذلك أرباحاً طائلة حيث قفزت أسعار السندات إلى أعلى عقب إعلان خبر انتصار إنجلترا وهزيمة نابليون. وظل نيثان يستغل قدرته على الحصول على المعلومات والأخبار سواء الخاصة بالتطورات السياسية أو الخاصة بالأمور المالية في التلاعب من خلال عمليات البيع والشراء الواسعة النطاق في أسعار الأسهم والسندات محققاً لنفسه ولمؤسسته مكاسب ضخمة.

وبعد وفاة نيثان ماير تولى أكبر أبنائه ليونيل نيثان روتشيلد (١٨٠٦-١٨٧٩) إدارة مصالح بيت روتشيلد في لندن. وكان ليونيل أول عضو يهودي في البرلمان الإنجليزي. وقد اشترك في عمليات مالية مهمة

للإمبراطورية البريطانية حيث حققت لها السيطرة الاستراتيجية على أهم الممرات المؤدية إلى الشرق[١].

وتبنى دزرائيلي سياسة تهدف إلى الحفاظ على الدولة العثمانية وإلى تأييدها في صراعها مع روسيا. وجاءت سياسته هذه في الواقع تعبيراً عن صراع القوى الأوروبية الكبرى في تلك الفترة، ومن بينها بريطانيا وروسيا، للحصول على أكبر نصيب ممكن من تركة الإمبراطورية العثمانية. وبالتالي جاء دعم بريطانيا لتركيا بهدف صد التوسع الروسي باتجاه الجنوب. وقد نجح دزرائيلي في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ في منع الدول الأوروبية من المساس بوضع الدولة العثمانية، كما حصل لبريطانيا على قبرص التي كانت تعتبر بوابة آسيا الصغرى[٢].

---

من بينها تدبير قرض قيمته ١٦ مليون جنية لتمويل حرب القرم. كما قدم ليونيل التمويل اللازم لدزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا الذي كانت تربطه به صداقة حميمة، لشراء نصيب مصر في أسهم قناة السويس سنة ١٨٧٥م، وهي عملية تمت في كتمان وسرية تامة بعيداً عن الخزانة البريطانية ولم يبلغ البرلمان البريطاني بها إلا بعد اتمامها. ولا شك أن هذه المساهمة من بيت روتشيلد في تقديم القروض للخديوي إسماعيل ولأعيان مصر، وما تبع ذلك من تضخم المديونية المالية لمص ثم ما تبع ذلك من امتيازات أجنبية ثم تدخل بريطاني في آخر الأمر بحجة الثورة العرابية كل ذلك تم في إطار المصالح الإمبريالية الرأسمالية التي كانت تسعى لفصل أجزاء الإمبراطورية العثمانية عنها تمهيداً لتحطيمها وتقسيمها.

وقد تولى اللورد روتشيلد (١٨٤٠-١٩١٥) إدارة بيت روتشيلد بعد وفاة والده،وأصبح أول فرد في عائلة روتشيلد يحصل على لقب لورد، وقد كانت له علاقات صداقة مع ولي العهد البريطاني الذي أصبح فيما بعد الملك إدوارد السابع، ومع كل من بلفور ولويد جورج رئيس وزراء بريطانيا آنذاك وقد اهتم ناثانيل روتشيلد بأوضاع الجماعات اليهودية في شرق أوروبا، والتي تدهورت بسبب تعثر عملية التحديث وتعرض جميع الأقليات للاضطهاد. فرفض تدبير القروض للحكومة القيصرية احتجاجاً على ذلك. ورغم عدم تعاطفه مع الصهيونية إلا أنه رحب بمشاريع هرتزل لتوطين اليهود.

أما ابنه اللورد روتشيلد (١٨٦٨-١٩٣٧) فإن أهميته تكمن في أن وعد بلفور أخذ شكل خطاب موجه إليه، وقد أيد ليونيل منذ ١٩١٧ الجهود الدبلوماسية لكل من حاييم وايزمان وناحوم سوكولوف الرامية إلى إصدار تعهد بريطاني بشأن تأسيس وطن قومي لليهود.

Tuchman, Barbara: Bible and sowrd, p293.
Endelman, Todd: The Jews of Britain, p48.
Polins, Harold: Economic History of the Jews In England, p 84.

(1) انظر الملاحق في

Socolow, Nahum: History of Zionism, Vol.2, P. 246.

(2) Bigham, Clive: op. cit., P. 293.

كتب دزرائيلي عدة روايات ومؤلفات ليست ذات أهمية أدبية كبيرة، ولم يتعرض للموضوع اليهودي في أكثرها، ومن بين رواياته التي تتعرض للموضوع اليهودي قصة داوود الرائي المدهشة ١٨٣٣ ورواية الجيل الجديد ١٨٤٤، ورواية الحرب الصليبية الجديدة ١٨٤٧ فهي تدور حول حياة أرستقراطي بريطاني يسافر إلى القدس ليبحث عن شفاء لروحه من المادية الغربية(١).

لقد كان يتباهى بأصله اليهودي العرقي، كما أن دفاعه عن قضية إعتاق اليهود أمام البرلمان الإنجليزي في ديسمبر ١٨٤٧، عندما طرح على البرلمان مشروع قانون حقوق المواطنة، الذي حقق المساواة السياسية لليهود في بريطانيا، وعارضه نواب حزبه، المحافظين، فعبر دزرائيلي قاعة المجلس إلى الجانب الخاص بالأحرار وأعطى صوته لصالح إقرار المشروع. وقد ألقى خطاباً صريحاً في المجلس صارخاً في أعضائه " أين هي مسيحيتكم إن لم تؤمنوا بيهوديتهم..في كل خطوة للإنجاز القانوني نجد على المائدة التشريع اليهودي أمامنا..كل المسيحيين الأوائل كانوا يهوداً، وإذا لم تنسوا ما تدينون به لهذا الشعب، فعليكم كمسيحيين أن تنتهزوا الفرصة للموافقة على مطالب هؤلاء المؤمنين باليهودية"(٢).

**شافتسبري وبالمرستون**

وكان أنتوني آشلي كوبر الذي اشتهر باسم اللورد شافتسبري (١٨٠١-١٨٨٥) Lord Shaftesburey من أهم الشخصيات البريطانية في القرن التاسع عشر فيما يخص الدعوة لإقامة كيان لليهود في فلسطين. ينتمي شافتسبري لعائلة من كبار الملاك؛ وكانت والدته بروتستانتية أنجليكانية بالغة التدين، وقد تركت أثراً عميقاً عليه. أصبح شافتسبري نائباً في البرلمان البريطاني. ويُذكر هذا الرجل في تاريخ بريطانيا في القرن التاسع عشر الميلادي لدوره الخيري في العمل على تخفيف الآثار غير الإنسانية للثورة الصناعية على عموم الشعب

---

(1) الراهب، هاني: الشخصية الصهيونية في الرواية الإنجليزية، ٨٧-٩٥.

(2) انظر الملاحق في

Socolow, Nahum: op. cit., Vol. 2, P.249.

البريطاني، حيث حمل على عاتقه دور المدافع عن مسألة تحديد ساعات العمل للصبيان في المعامل والمصانع البريطانية(١).

وكانت دوافع شافتسبري الرئيسية في نشاطاته الخيرية أو تلك المتعلقة بالمسألة اليهودية دوافع دينية بحتة، إذ أنه كان أرستقراطياً محافظاً، ولم يكن صاحب توجهات اجتماعية أو اشتراكية، وظل عضواً في حزب المحافظين حتى وفاته، وتذكر بعض الدراسات أنه كان متأثراً بكتابات جيمس بتشنو(٢). ورغم ذلك فقد كانت علاقته باللورد بالمرستون ،وزير خارجية حكومة الأحرار في الثلاثينات، أقوى من علاقته برجال حكومات المحافظين التي تولت الحكم في حياته. وقد ربطته ببالمرستون علاقة قرابة بالنسب(٣)، إلى جانب التقاء أفكارهما حول مصالح بريطانيا الاستراتيجية في الشرق والاهتمام بمستقبل اليهود.

وفي ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي كانت بريطانيا -بخلاف أغلب الدول الأوروبية- ترى أن مصلحتها تتمثل في حماية السلطان العثماني وضمان بقاء دولته ضماناً لحماية الطريق إلى الهند مروراً بمصر، وفي السنوات الثلاثين التي امتدت من نهاية حملة بونابرت على مصر وفلسطين إلى بداية حملة محمد على، تحولت مواقف القوى الأوروبية، ما عدا روسيا، من سياسة توازن القوى مع الدولة العثمانية إلى التدخل المباشر في شأنها الداخلي(٤).

وفي سنة ١٨٣٤م عقد بالمرستون اتفاقاً تجارياً مع الأستانة يتعهد فيه بحماية أملاك الدولة مقابل تسهيلات وفتح قنصلية بريطانية في القدس، ولكن الخارجية البريطانية لم تقم بتأسيس القنصلية فعلاً إلا بعد أعوام وتحت إلحاح وضغط لا يلين من جهة شافتسبري، في عام ١٨٣٨ أي بعد عام من تولي المكلة فكتوريا العرش البريطاني، وفيما أزمة الأستانة مع محمد على تتصاعد، بدأ شافتسبري حملته لصالح استيطان اليهود في فلسطين(٥).

كان خطابه خليطاً من عناصر متعددة يتداخل فيه الوقت الحاضر والزمان الغابر والتاريخ المقدس، وكان شافتسبري ينظر إلى اليهود وفق مفهومه للعقيدة الألفية الاسترجاعية،

---

(1) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٦، ص ١٦٠.

(2) محمود، أمين: م. س. ذ.، ص٢٠.

(3) Webster, Charles: op. cit., Vol.1, P.5.

(4) أنيس، محمد: م.س.ذ.، ص ٧٠-٧٩.

(5) المسيري، عبد الوهاب: م.س.ذ.، ج٦، ص١٦٠.

فاليهود بالنسبة له يكونون شعباً مستقلاً يتمتع باستمرارية لم تنقطع، ولكنهم لهذا السبب أصبحوا جنساً من الغرباء المنبوذين المنغمسين في الانحطاط الخلقي والجهل بالإنجيل. ولكل هذا، عارض شافتسبري منح اليهود حقوقهم المدنية والسياسية في إنجلترا(١).

ورأى شافتسبري أن بعث اليهود لا يمكن أن يتم إلا في فلسطين، كما أن عودتهم إليها أمر ضروري حتى تبدأ سلسلة الأحداث التي ستؤدي إلى العودة الثانية للمسيح وخلاص البشر. ونشر سنة ١٨٣٨ مقالة في مجلة كوارترلي ريفيو، وهي من أكثر المجلات نفوذاً في ذلك العصر، صدّرها بمقدمة عن قضية اليهود، ثم تحدث بعد ذلك عن تربة فلسطين ومناخها باعتبارها مناسبة لنمو محصولات تتطلبها احتياجات إنجلترا مثل القطن وزيت الزيتون. كما بيّن شافتسبري أن كل المطلوب لإنجاز هذه العملية هو رأس المال والمهارة، وكلاهما ستوفره من انجلترا، وخصوصاً بعد تعيين قنصل لإنجلترا في القدس، إذ سيؤدي وجوده إلى زيادة أسعار الممتلكات. ثم يقترح توظيف اليهود على أن يكون القنصل البريطاني الوسيط بينهم وبين الباشا العثماني، حتى يصبحوا مرة أخرى مزارعين في يهودا والجليل(٢).

وقدّم شافتسبري وثيقة إلى بالمرستون في ١٨٤٠/٩/٢٥ طالب فيها باسترجاع اليهود إلى فلسطين وحل المسألة الشرقية وتطوير المنطقة الممتدة من جهة نهر الفرات حتى البحر الأبيض المتوسط، وهي البلاد التي وعد بها الإله إبراهيم حسب النصوص التوراتية. ويؤكد شافتسبري في مقدمة المذكرة أن المنطقة التي أشار إليها تعاني من الفقر والإهمال بسبب التناقص في الأيدي العاملة، ولذا فهي تتطلب رأس مال وعمالة. لكن رأس المال لن يأتي إلا بعد توفير الأمن. ولهذا فلا بد من اتخاذ القرار بإعادة اليهود إلى فلسطين(٣).

وفي سنة ١٨٧٦م كتب شافتسبري مقالاً آخر يطرح فيه مرة أخرى أفكاره الصهيونية بدقة ووضوح بالغين، وقد أكد أن سوريا وفلسطين ستصبحان شديدتي الأهمية من الناحيتين الجغرافية والتجارية بعد فترة وجيزة. وأوضح في مقاله: "أن فلسطين في حاجة إلى السكان ورأس المال، وبإمكان اليهود أن يقدموا الشيئين معاً. لكل هذا يجب أن تحتفظ إنجلترا بسورية لنفسها، كما يجب أن تدافع عن قومية اليهود وتساعدهم حتى يعودوا فيكونوا بمنزلة الخميرة

---

(1) محمود، أمين: م. س. ذ.، ص٢٠.

(2) Tuchman, Barbara: op. cit., p.191.
(3)Ibid., 191.

في أرضهم القديمة. إن إنجلترا أكبر قوة تجارية وبحرية في العالم، ولهــذا فــلا بــد لهــا أن تضطلع بدور توطين اليهود في فلسطين ... وهذه ليست تجربة مصطنعة إنها الطبيعــة، إنــه التاريخ". ويلاحظ هنا أن الصبغة الدينية قد اختفت وطغت عليها الصبغة السياسية التي تــولي الأهمية لموازين القوى والموقع الجغرافي والأهمية التجارية والعسكرية(١).

وقام شافتسبري بعدة محاولات لتطبيق أفكاره ، فتحدث مع بالمرستون عــن اســتخدام اليهود كرأس حربة لبريطانيا في المنطقة العربية. ونتيجة لإلحاح شافتسبري قام بالمرســتون بافتتاح قنصلية في القدس تتولى مهمة مقاومة مصالح الدول الأوروبية الأخرى، وكذلك حتــى توفر بريطانيا الحماية للأقلية اليهودية؛ فقد كانت فرنسا تحمي الكاثوليك في لبنــان، وروســيا تحمي الأرثوذوكس في فلسطين(٢). وتم تعيين وليــام يــونج William Yong قنــصلا فــي فلسطين لتقديم الحماية لليهود وللطوائف المسيحية(٣)، وهكذا تمكنت بريطانيا من تقديم الحماية لأي يهودي دون التثبت من أصله، وقد وافق الروس بين عامي ١٨٤٧ و١٨٤٩ على أن يقوم الإنجليز بحماية اليهود الروس(٤).

وكان شافتسبري يؤكد دائماً أن روح العودة موجودة عند اليهود منذ ثلاثة آلاف عــام، وأن "الأمة اليهودية" أمة تحن إلى وطنها، ولا بد أن تحصل عليه، إلا أنه لاحــظ أن اليهــود الحقيقيين الذين يقابلهم في الحياة تنقصهم الوحدة التي يفترض هو وجودهــا حــسب رؤيتــه. وعلى كل فإنه يذكر في أحد خطاباته إلى بالمرستون أن اليهود غيــر متحمــسين للمــشروع الصهيوني، خاصة الأغنياء فهم مرتابون منه ويستسلمون لمخاوفهم، وسيؤخرهم جمع المــال في بلاد العالم، وسوف يفضل بعضهم مقعداً قي مجلس العموم في بريطانيا على مقعــد تحــت أشجار العنب والتين في فلسطين. كما أن شافتسبري حث بالمرستون على أن يكتــب للــسفير البريطاني في إستانبول عن فكرة الدولة اليهودية. وقد تحرك بالمرستون بناء علــى نــصيحة شافتسبري وأرسل خطاباً بهذا المعنى(٥).

(1) Pragai, Michael: op. cit., p.52.

(2) محمود، أمين: م. س. ذ. ، ص١٨.

(3) السماك، محمد: م. س. ذ.، ص٤٤.

(4)ن. م.، ص٤٤.

(5) محمود، أمين: م. س. ذ.، ص١٩،٢٠.

لم يكن وزير الخارجية البريطاني متديناً، لكن بروز المسألة الشرقية واعتبارات الرأي العام البريطاني، الذي تحكمت فيه وبقوة صيحات الإنجيليين، جعلته جاهزاً لاعتناق مشروع شافتسبري. وقد ذكرت زوجة بالمرستون وبتأكيد واضح قوة تأثير الإنجيليين على زوجها واستجابته بالتحرك لدعم إرجاع اليهود إلى فلسطين. أما شافتسبري فقد جعله اهتمامه الدائم بمشروع عودة اليهود إلى فلسطين مقتنعاً أكثر من كل البيوريتان قبل مائتي عام بدور الإنسان في تحقيق الإرادة الإلهية، وجعل من مهمته أن يقنع شعبه وقادتهم أنه ورغم احتقارهم الخفي لليهود فإن عليهم أن يدركوا أن خلاصهم مرتبط بخلاص شعب الله القديم[١].

وفي ١٨٤٠/٨/١١، وبعد لقاء آخر بين شافتسبري وبالمرستون أرسل الأخير إلى سفيره في استانبول يقول: "يوجد هناك في الوقت الحاضر بين اليهود المنتشرين في أوروبا اعتقاداً قوياً بأن زمان عودتهم كأمة إلى فلسطين يقترب.... إن من المهم للسلطان أن يشجع اليهود على العودة للاستقرار في فلسطين لأن الثروة التي سيحضرونها معهم ستزيد من ثراء ممتلكات السلطان. وإذا عاد الشعب اليهودي بقرار وحماية ودعوة من السكان، فإن وجودهم في فلسطين سيصبح صمام أمان ضد أي مخططات شريرة لمحمد علي أو أي من خلفائه.... إن عليّ أن أصدر تعليماتي لسعادتكم بأن تعملوا بقوة على دفع الحكومة العثمانية لتشجيع اليهود في أوروبا للعودة إلى فلسطين"[٢].

كان الدافع الثاني لبالمرستون في اعتناقه لمشروع شافتسبري، هو حرصه على أن يجعل من فلسطين عازلاً بين مصر والشام. فمنذ تولي محمد علي لحكم مصر واستقراره فيها، وبعد أن أظهر إمكانية تحويلها إلى قوة رئيسة في المنطقة العربية ، أصبح ضرورياً للسياسة البريطانية، الحريصة على استمرار الأمر الواقع، أن تمنع مصر تحت حكم محمد علي أو أياً من خلفائه من إعادة الكرّة إلى الشام. أما الدافع الثالث فكان اعتقاد بالمرستون أن تدخل بريطانيا لحماية اليهود في فلسطين سيجعل لها دوراً موازياً للدور الفرنسي في حماية الكاثوليك والدور الروسي في حماية الأرثوذكس، وذلك حتى يحين وقت التفاهم الدولي النهائي على مستقبل الدولة العثمانية[٣].

---

(1) ن.م.، ص٢١.

(2) انظر نص الرسالة في ملف وثائق فلسطين، ج١، ص٤٩.

(3) محمود، أمين: م.س.ذ.، ص٢٢.

عندما عيّن بالمرستون وليام يونج نائب قنصل في القنصلية البريطانية في فلسطين أمره أن يجعل واحداً من مهامه حماية اليهود القاطنين فيها. فأجابه يونج –بالغ الحماسة لمشروع التوطين- أن عدد المقيمين منهم في فلسطين يبلغ ٩٦٩٠ نسمة، يعيشون بشكل شبه كامل على المعونات الخيرية التي تصلهم من الخارج، كانت تلك الحفنة من اليهود مقسمة إلى صنفين: الأول وهو رعايا الدولة العثمانية الذين لم يكن ليسمح لدولة أجنبية أن تتدخل في شؤونهم، والثاني وهم غير المتمتعين بالمواطنة العثمانية، ويمكن أن تمتد الحماية البريطانية إليهم. ولم يفرق يونج بين الصنفين، مما أثار حفيظة القنصل البريطاني العام في مصر، الكولونيل باترك كامبل، الذي أرسل إلى لندن يطلب إيقاف يونج عن التدخل في شؤون يهود الرعية، خوفاً من إثارة أزمة مع الحكومة العثمانية، ولكن بالمرستون دعم موقف قنصله في القدس[1]. وكان في ذلك إشارة ضمنية للمرة الأولى من مسؤول بريطاني إلى اعتبار اليهود أمة وحدهم مهما كانت جنسيتهم، بعد أن كان ذلك الاعتبار مقتصراً على الأوساط الدينية الإنجيلية. وهي خطوة سبقت بروز الحركة الصهيونية اليهودية بخمسين عاماً، بل إن اليهود الأوروبيين الغربيين لم يبدو أي اهتمام يُذكر في ذلك الوقت بأطروحات العودة، وحتى شافتسبري نفسه حذر بالمرستون من الاعتماد على يهود الغرب.

يتضح مما سبق أن بالمرستون وشافتسبري قد صنعا معاً في النصف الأول من القرن التاسع عشر بداية التزاوج بين المفاهيم المستقاة من صفحات الكتاب المقدس، وبين الخطط التي تُرسم في غرف المداولات الدنيوية في مقار الوزارات البريطانية، لكنهما أخطآ الحساب معاً. أخطأ شافتسبري عندما اعتقد أن إقامة قنصلية بريطانية في القدس وصلوات المناصرين للمشروع في لندن ستكفي لإنجازه، وأخطأ بالمرستون، وهو الأجدر بالحسابات الصائبة، عندما ظن أن سياسة الحفاظ على الدولة العثمانية ومشروع الاستيطان اليهودي متطابقان. إذ أن المدقق في الدعوة لاستيطان الملايين من يهود العالم في بقعة صغيرة كفلسطين، التي كانت تعتبر جزءاً لا يتجزأ، بل من أقدس أجزاء أراضي الدولة العثمانية، والمأهولة بمئات الآلاف من المسلمين، كان عليه أن يدرك استحالة تنفيذ المشروع دون تفكيك عرى الدولة العثمانية.

---

(1) انظر نص التقرير في ملف وثائق فلسطين، ج١، ص٤٣.

## المبحث الثالث

## العمل المؤسساتي الهادف لإثبات الارتباط الديني والتاريخي لليهود بفلسطين

شهد مطلع القرن التاسع عشر تطوراً هاماً على صعيد الانتقال من العمل الفردي، في أوساط المسيحيين البريطانيين، إلى العمل المنظم من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين. وفي سنة ١٨٠٧، وفي إطار تصاعد المشاعر المتعاطفة مع إقامة كيان لليهود في فلسطين، أُسست في بريطانية "الجمعية اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود". وتتمثل الفكرة المحورية المحركة لمؤسسي هذه الجمعية في أن اعتناق اليهود للمسيحية سيُعجل من عودتهم إلى فلسطين[١]، وهي العودة الممهدة للظهور الثاني للسيد المسيح، إذ أن ارتباط التحول إلى المسيحية بمشروع الوجود اليهودي في فلسطين كان قوياً في الأوساط البروتستانتية.

وكان من أهم شخصيات الجمعية في سنوات نشاطها الأولى الأب ألكسندر ماكويل Alecsander Maccwel الذي كان أهم أساتذة اللغة العبرية في كلية الملك في جامعة لندن، وقد كرس حياته كلها للاهتمام بيهود العالم ومسألة عودتهم إلى فلسطين، إلى الدرجة التي ترك فيها منصبه الجامعي في العشرينات من القرن التاسع عشر الميلادي، وذهب إلى وارسو ليساعد في تخفيف العداء الكاثوليكي البولندي لليهود، وليبشر بمشروع الجمعية. أما ابنته مسز فن Mrs Finn فان لها ولزوجها جيمس فن James Finn دور واسع في أربعينيات القرن التاسع عشر في إقامة كاتدرائية الأنجليكان في القدس سنة ١٨٤٤، وفي نشاطات القنصلية البريطانية في الأراضي المقدسة وبين يهود فلسطين[٢].

وقامت مسز فن بالتنسيق مع زوجها، الذي كان يعمل قنصلاً بريطانياً في القدس ١٨٤٥-١٨٦٢ بالدعوة لتوطين اليهود في فلسطين ووضعهم تحت الحماية البريطانية. وفي سنة ١٨٤٩ أقنع جيمس فن وزارة الخارجية البريطانية بأن تزود يهود روسيا في فلسطين بالحماية بعد أن رفضت الدولة الروسية أن تفعل ذلك. وألف فن عدة كتب عن اليهود منها

---

(1) السماك، محمد: م. س. ذ.، ص٤٢.

(2) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٦، ص١٦٠.

"تغليب الأزمنة" ١٨٧٦، وكتاب "يهود الصين" سنة ١٨٤٩، و"مستعمرة اليهـود اليتيمـة في الصين" ١٨٧٢، و"السفراد" ١٨٤١[١].

لم تنجح هذه الجمعية في إنجاز مشروعها الأساسي بكل المقاييس، وبعد ثلاثين عاماً من تأسيسها لم تتمكن من تحويل أكثر من ٢٠٧ من اليهود إلى الكنيسة الأنجليكانية، وبدا لمؤسسيها معجزة إلهية لن تحول اليهود إلى فلسطين. لكن أهمية دورها برز في نشرها للثقافة العبرية بين قادة الرأي البريطانيين ورجال الدولة، وحشدها لعدد كبير من الشخصيات العامة حول مشروعها؛ ومن أبرز الشخصيات البريطانية التي انتمت لهذه الجمعية وتأثرت بأفكارها اللورد شافتسبري. وكان نتيجة جهود هذه الجمعية أن تم تأسيس جمعية جديدة أكثر أهمية في مجال تأكيد ما يُسمونه الروابط التاريخية والدينية لليهود في فلسطين، وتُعرف هذه الجمعية باسم "صندوق استكشاف فلسطين"[٢].

### صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund

جمعية تأسست سنة ١٨٦٤ تحت رعاية الملكة فكتوريا Queen Victoria ملكة إنجلترا. وساهمت وزارة الحربية البريطانية بدعم هذا الصندوق من خلال تفريغ عدد من الضباط للعمل على تحقيق أهدافه، وخصوصاً من المهندسين أمثال الكابتن "كلود كاوندر"، والكابتن "تشارلز دارين"، واللورد كتشنر "Lord Kitchener"، و"ت. أ. لورانس"[٣]. وقد أعلن الصندوق أنه مؤسسة تهتم بالبحث الدقيق والمنظم في الآثار والجيولوجيا والتاريخ؛ وعادات وتقاليد الأرض المقدسة ومطابقتها مع ما ورد في التوراة، بمعنى أن البحث العلمي يجري توظيفه لخدمة الأهداف التوراتية[٤].من خلال استعادة مجد فلسطين ومكانة القدس ومجدها وأبهتها، واستعادة أسماء الأماكن المذكورة في التوراة[٥].

---

(1)ن. م.، ج٦،ص١٦٠.

(2) حمادة، حسين: آثار فلسطين بين حرب الهياكل العظمية التوراتية اليهودية ووثائق الاستكشافات الأثرية العلمية والإدانة الدولية، ص٥٧.

(3) ان. م.، ص٥٧

(4) رزوق، أسعد: إسرائيل الكبرى، ص٣٩.

(5) Sharif, Regina: Non Jewish Zionism, p.67.

وقد لعب الصندوق بالفعل دوراً عظيم الأهمية في مجال تزويد الساسة والعسكريين البريطانيين بالمعلومات الجغرافية والتاريخية والسياسية؛ التي كانوا يحتاجون إليها لمد نفوذهم الاستعماري في المنطقة ولدراسة جدوى المشروع الاستعماري في فلسطين[١]. وقد اعتمد الصندوق في ذلك على العديد من خبراء الآثار والتاريخ والجغرافيا والجيولوجيا والمناخ، وكانت غالبية التقارير والدراسات الصادرة عن الصندوق ذات طابع صهيوني إذ كانت تشير إلى أهمية فلسطين وضرورة عودة اليهود إليها وإقامة كيان استيطاني لهم فيها تحت الحماية البريطانية[٢].

ونشر الكابتن "دارين"عدة مجلدات من أهمها "إحياء القدس" و "ومذكرات عملية مسح فلسطين"، وذلك بالإضافة إلى كتاب "أرض الوعد" الذي دعا فيه إلى أن تتولى شركة الهند الشرقية تنمية موارد فلسطين، وخصوصاً مواردها الزراعية والتجارية، كما دعا إلى تدريب المستوطنين اليهود على إدارة شؤونهم تمهيداً لتسلمهم حكم فلسطين وإدارة شؤونها[٣].

وقد أصدر الصندوق، بالإضافة إلى العدد الكبير من الكتب والتقارير، خريطتين دقيقتين، إحداهما للجزء الغربي من فلسطين ١٨٨٠، والأخرى للجزء الشرقي ١٨٨٤. وقد حملت الخرائط الأسماء الحديثة والقديمة للبلدات والمدن الفلسطينية؛ بالإضافة إلى إبراز تضاريس البلاد وطبيعتها المناخية. وقد بلغت الخريطتان من الدقة حداً كبيراً سهّل استعمالهما في عملية تحريك الجيوش البريطانية وانتقالها عبر تلك الأراضي في الحرب العالمية الأولى.

**كلاود كوندر ١٨٤٨-١٩١٠**

هو ضابط بريطاني كان مسؤولاً عن عملية مسح شمال فلسطين نيابة عن صندوق استكشاف فلسطين، وكان يعد أحد مؤسسيه مع "تشارلز دارين". وقد ألفا معاً كتاباً من عدة أجزاء عنوانه "مسح فلسطين الغربية"[٤]. وقد قام العرب بالهجوم عليه وإصابته بالقرب من

---

(1) אילת, אליהו: שיבת ציון וערב, ע 23
(2) السماك، محمد: م. س. ذ.، ص٤٧.
(3) حمادة حسين: م. س. ذ.، ص٥٩.
رزوق، أسعد: م. س. ذ.، ص٤١.
(4) حمادة، حسين: م. س. ذ.، ص٥٩.

صفد ١٨٧٥م. وفي دراسته السابقة الذكر ركز "كوندر" على دراسة مصادر المياه فيها والتثبت من أماكنها وحجمها؛ خاصة في منطقة الخليل[١].

لم يكن نشاط كوندر أو "تشارلز دارين" علمياً محايداً، ولم يقتصر نشاطه على التنقيب، بل كانت له ميول صهيونية وإستعمارية واضحة، حيث أبدى اهتماماً بمشاريع السكك الحديدية المرتبطة بالمشروع الاستعماري. وكان يذهب إلى أن الهدف من تأسيس صندوق استكشاف فلسطين هو توضيح ما جاء في التوراة[٢]. ومن أهداف الصندوق الأخرى –حسب تصوره- مساعدة اليهود الذين سيصبحون سكان البلاد في المستقبل، إذ سيزودهم الصندوق بالحقائق الثابتة عن طاقات وإمكانيات البلاد. وفي سنة ١٨٩٢ قام بحملة تأييد للاستيطان اليهودي في فلسطين، وذلك لتخفيف أثر ازدياد هجرة يهود شرق أوروبا إلى إنجلترا [٣].

كتب كوندر عدة كتب، من أهمها كتاب عن تاريخ المملكة اللاتينية ينوه فيه بأن الحملات الصليبية هي حملات متحضرة، وأن مملكة القدس كانت نموذجاً للحكم العادل والمعتدل، تماماً مثل الحكم البريطاني في الهند. وكان يذهب إلى أن الاستعمار الإنجليزي قد أكمل ما فشل فيه الفرنجة، فقد عادت قبرص إلى الأمة التي غزتها أيام "ريتشارد قلب الأسد".

وقد أصدر صندوق استكشاف فلسطين كتاباً بعنوان "المدينة والأرض" سنة ١٨٩٢، ساهم فيه "كوندر" بدراسة عنوانها "مستقبل فلسطين" يعرض فيها مشروعاً صهيونياً مؤكداً فيه أن العنصر الفعال الوحيد القادر على النهوض بفلسطين وبمدينة القدس هم اليهود. وأشار إلى أن نهضة يهودية قد بدأت في الأرض المقدسة، فبعد أن كان عدد اليهود لا يتجاوز المئات سنة ١٧٩٣ أصبح ٤٠ ألفاً سنة ١٨٩٢، ولم يعودوا أقلية مضطهدة جبانة، وإنما أصبحوا يسيطرون على التجارة في القدس. وتنبأ كاوندر بزيادة المستوطنات الزراعية اليهودية. وكلما ازداد رأس المال الأوروبي والمستوطنون الأوروبيون ازداد استقلال فلسطين عن الدولة العثمانية، وسيعود اليهود باعتبارهم عرقاً مستقلاً يعتمد على نفسه، وهي عودة لا تُعارضها

(1) אילת، אליהו: שיבת ציון וערב، ע 25

(2) رزوق، أسعد: م. س. ذ.، ص٤٣.

(3) אילת، אליאהו: שיבת ציון וערב، ע 30

الحكومات الغربية، وإنما تنظمها. وإن أعاق أحد هذه العودة فينبغي حلها في هرمجـــدون، أي بقوة السلاح(١).

ويجب التأكيد على أن البدايات الصهيونية في الغرب كانت ذات طابع ديني في القـــرن السابع عشر، كما ظلت النزعة الصهيونية في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عـــشر تأخذ طابعاً فكرياً تأملياً لكن مع تزايد معدلات العلمنة، ابتداءً من القرن الثـــامن عـــشر ومـــع انتشار الفلسفات النفعية والعقلانية، بدأت التسويغات المسيحية في الـــضمور والتـــواري، وتـــم تسويغ الصهيونية وفق ما تتطلبه المصالح الإمبريالية. ومع هذا فعادةً ما تخـــتلط التـــسويغات العلمانية والدينية، ولذا كانت تطرح ضرورة توطين اليهود في فلـــسطين لتحقيـــق الخـــلاص ولحماية الطريق إلى الهند.

---

(1) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٦، ١٥٦.

## المبحث الرابع

## سعي بعض المسيحيين لنقل الفكرة الصهيونية لليهود

لم يكتف الصهاينة المسيحيون بتوجيه النداءات إلى حكوماتهم والضغط عليها، وتأسيس الجمعيات لصالح خدمة فكرة تأسيس كيان لليهود في فلسطين، بل إن بعضهم توجه لمخاطبة اليهود وتجنيدهم لصالح هذه الفكرة بعد أن تبلورت في أوساط دوائر مسيحية عديدة ابتداءً بالكثير من المتدينين وانتهاءٍ بالعسكريين مروراً بالعديد من الفلاسفة والأدباء. وقد تميز في هذا المجال كل من لورانس أوليفانت ووليام هيكلر.

### لورنس اوليفانت ١٨٢٩-١٨٨٨ Laurence Olephant

صهيوني غير يهودي وهو احد أصدقاء لورد شافتسبيري . عمل في السلك الدبلوماسي البريطاني بعض الوقت في الشئون الهندية، كما كان عضواً في البرلمان الإنجليزي. يرى أوليفنت أن اليهود جنس مستقل يتسم اعضاؤه بالذكاء في الأعمال التجارية وبالمقدرة على جمع المال، ولكن وجودهم داخل الحضارة الغربية أمر سلبي لأن جذورهم في فلسطين(١).

وأكد أوليفنت على ضرورة إنقاذ الدولة العثمانية من مشاكلها المستعصية حتى تقف حاجزاً ضد التوسع الروسي. ويمكن ذلك عن طريق إدخال عنصر اقتصادي نشيط في جسدها المتهاوي، ووجد أن اليهود هم هذا العنصر. لذلك دعا أوليفنت بريطانيا إلى تأييد مشروع توطين اليهود، ليس في فلسطين وحدها، وإنما في الضفة الشرقية لنهر الأردن كذلك. وكان المشروع يتلخص في إنشاء شركة إستيطانية لتوطين اليهود برعاية بريطانية وبتمويل من الخارج على أن يكون مركزها إستانبول(٢).

وكانت صهيونية أوليفنت تتسم بالعملية إذ لم يكتف بطرح أفكاره، بل اتجه إلى فلسطين للبحث عن موقع مناسب للمستوطن المقترح واختار منطقة شرق الأردن شمال البحر الميت ( وتسمى هذه المنطقة جلعاد في العهد القديم(٣). ثم اتجه إلى استانبول مع ادوارد كازلت "الممول

(1) Pargai, Michael: op.cit., p53.

(2) Pargai, Michael: op.cit., p55,
Tuchman, Barbara: op.cit., p173.

(3) السماك، محمد: م. س. ذ. ، ص٤٧.

الإنجليزي" لعرض مشروع إنشاء سكة حديد وادي الفرات وقدم طلباً إلى السلطان بإعطاء اليهود قطعة من الأرض بعرض ثلاثة كيلومترات على حافتي الطريق المقترح(١).

وكانت تربط اوليفنت علاقة بعدد من الزعماء الصهاينة اليهود في شرق أوروبا مثل "بيرتس سمولينسكن" و"أهارون دافيد جوردون". وقد حضر مؤتمر موكساني في رومانيا، الذي عقد في ٣٠-١٢-١٨٨١ لمناقشة هجرة اليهود واستيطانهم في فلسطين. وانتشرت آراؤه بشأن توطين اليهود في فلسطين بدلاً من الولايات المتحدة، حيث كان اليهود يتهددهم الاندماج. وقام اعضاء جماعة البيلو بالاتصال به وكتب له بعض أحباء صهيون يخبرونه بأن الخالق وحده هو الذي أوكل له قيادة اليهود، وأطلقوا عليه اسم المشيح. وعارض الجهود التي تبذلها جماعة الايليانس لتهجير اليهود إلى الولايات المتحدة لإنقاذهم، وقام بجمع توقيعات من اليهود على عريضة يؤكدون فيها رغبتهم في الهجرة إلى فلسطين لا إلى غيرها من البلدان. وبالفعل نجح اوليفنت في تهجير ٧٠ يهودياً من أصحاب الحرف إلى فلسطين(٢).

وفي سنة ١٨٨٠ نشر أوليفنت كتابه "أرض جلعاد" الذي نادى فيه بضرورة توطين اليهود في فلسطين، كما شرح أبعاد فكره الصهيوني الذي اسلفنا الإشارة إليه. ومن القضايا الأساسية مشروعه الخاص بسكان البلاد من العرب إذ اقترح تجميع العرب في منطقة خاصة بهم كما جرى للهنود الحمر في أمريكا(٣). وبعد أن عبّر اوليفنت عن عدم تعاطفه مع العرب باعتبارهم مسئولين عن إفقار فلسطين قسمهم، إلى قسمين، بدو وفلاحين(٤). واقترح طرد البدو ووضع الفلاحين في معسكرات مثل معسكرات الهنود في كندا، على أن يتم استخدامهم كمصدر للعمالة الرخيصة تحت إشراف اليهود(٥). وقد ترجم سكولوف هذا الكتاب إلى العبرية سنة ١٨٨٦ ووزع منة ١٢ ألف نسخة، وهو رقم قياسي بالنسبة إلى المنشورات العبرية في ذلك الوقت. ومات أوليفنت في حيفا سنة ١٨٨٨.

لقد سبق اوليفنت هيرتزل ويهود شرق أوروبا بالدعوة إلى أهمية إخراج اليهود من العالم الغربي واستخدامهم في إطار المشروع الاستعماري الغربي، كما أن صهيونية اوليفنت

---

(1) Tuchman, Barbara: op.cit., p274.

(2) Sharif, Regina: op.cit., p68.

(3) السماك، محمد: م. س. ذ.، ص٤٧.

(4) محمود، أمين: م. س. ذ.، ١٨.

(5) Sharif, Regina: op.cit., p69.

تختلف عن صهيونية شافتسبيري باقترابها من اليهود ومحاولة التوجه إليهم وتجنيدهم لصالح تطبيق رؤيته.

وبعد مذابح ١٨٨١ لليهود في روسيا، شكل اوليفنت مجموعة من المسيحيين النافذين لدعوة اليهود وتشجيعهم على تأسيس مستعمرات لهم في فلسطين. وحاول جهده إحباط خطط ونشاطات المنظمات اليهودية الأوربية لتهجير اليهود الروس إلى أمريكا.

**وليام هيكلر William Hechler**

صهيوني مسيحي ولد في الهند حيث كان أبوه يعمل مبشراً مسيحياً انجيلياً. عمل سنة ١٨٧١ مبشراً في نيجيريا، ثم عمل سنة ١٨٧٤ معلماً لأطفال فريدريك دوق بادن الأعظم عم القيصر ولهيلم الثاني قيصر ألمانيا. اشترك هيكلر سنة ١٨٨٢ في اجتماع عقده بعض المسيحيين المرموقين لمناقشة إمكانية توطين اليهود المهاجرين من يهود روسيا في فلسطين ثم ارتحل إلى القسطنطينية حاملاً رسالة إلى السلطان العثماني من الملكة فيكتوريا تطالب فيها السماح بتوطين يهود روسيا في الأراضي المقدسة[١].

قام هيكلر، الذي كان هيكلر يعمل حينها واعظاً بالسفارة البريطانية في فينا، بعد إصدار هيرتزل كتابه "الدولة اليهودية"، بإرسال خطاب إلى دوق بادن يوصيه فيه بهذا الكتاب واصفاً إياه إنه محاولة علمية وموضوعية جادة لتعليم اليهود كيف يتحدون من جديد لتكوين أمه في أرض الميعاد التي وعدهم الإله بها. وبعد ذلك كرس جهوده لإقامة علاقة بين هيرتزل وكل من دوق بادن الأكبر والقيصر[٢].

وثمة بعد آخر لصهيونية هيكلر، فقد كان مولعاً بالحسابات الرامية إلى تحديد نهاية العالم وبداية العالم الذهبي الألفي وتحوّل اليهود إلى المسيحية، وتوصل من خلال حسبة الأرقام إلى أن عودة اليهود ستحدث بين عامي ١٨٩٧ وبين ١٨٩٨[٣]. وحضر هيكلر المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧، وشكره هيرتزل علناً على هذا، ثم سافرا سوياً إلى فلسطين سنة ١٨٩٨ حيث قابلا قيصر ألمانيا وقدم له هيكلر البوماً عن المستوطنات اليهودية، وقد فشلت جهود

---

([1]) Pargai, Michael: op.cit., pp55, 58, 59.

(1) السماك، محمد: م. س. ذ.، ص٤٨.

([3]) Regina, Sharif: op.cit., p72.

هيكلر في الوساطة بين هيرتزل وألمانيا نظراً للعلاقة الوثيقة والتحالف القائم بين الإمبراطورية العثمانية والألمان(١).

وكان هيكلر يؤمن بالقدرة السحرية للأفكار وضرورة التنفيذ الحرفي للنبوءات، فالعهد القديم في نظره عبارة عن نص مقدس يجب تنفيذه حرفيا (٢).

عرف هيكلر اوليفنت عن قرب، وشارك في جهوده لتشجيع توطين اليهود الروس في فلسطين ١٨٨١. وفي هذا إشارة إلى أن عملية الأمة اليهودية، ليس فقط في العقل والوجدان وإنما في الواقع الأوروبي، قد بلغت أوجها في وسط رجال الفكر والثقافة والدين والاقتصاد والمصالح البريطانية المسيحية من خلال التنسيق والعمل المشترك والاتصال باليهود لتحريكهم نحو هذا الهدف، والبحث عن زعامة يهودية تقود جماهيرها نحو فلسطين.، رغم أنه لم يكن لمعظمهم أية صلات مباشرة باليهود. وعندما نشطت الحركة الصهيونية كان الرأي العام جاهزاً لاستقبال المسألة اليهودية وجاهزاً منذ عقود طوال لاعتبار اليهود أصحاب قومية متميزة مهما كانت سياستهم، بل كان جاهزاً لرؤية فلسطين كأرض بلا شعب أو شعب بلا قيمة تذكر في الحساب، تنتظر شعبها القديم(٣). على أن دوائر المشروع لم تكتمل حلقاتها بعد، إذ أن عملية صناعة الأمة اليهودية وإعادة تقديم فلسطين كأرض تحمل مبررات الرجوع اليهودي ديناً وتاريخاً واقتصاداً واستراتيجيته، لم تكن كافية لتبني المشروع. لأن الجماهير لم تكن قد اقتنعت بعد بالفكرة إضافة إلى دائرة صنع القرار السياسي في بريطانيا.

بقيت الصهيونية حتى منتصف القرن التاسع عشر مقتصرة على غير اليهود، فقد كان أولئك الذين اختاروا مناصرة الشعب اليهودي وحقه في العودة إلى فلسطين يفعلون ذلك بدافع شخصي وليس بالتعاون مع الشعب اليهودي. لكن المبادئ الصهيونية الأساسية كانت واضحة المعالم لديهم، فهناك فكرة وحدة الشعب اليهودي، وفكرة الارتباط الذي لا تنفصم عراه بفلسطين على أمل العودة إليها. لقد أدرك بالمرستون ورفاقه الصهيونيون كلتا الفكرتين واستخدموهما قبل أن ينسبهما اليهود لأنفسهم بعشرات السنين. لكن ما لبث اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن بدؤوا التحرك. وتجدر الإشارة إلى أن النشاط الصهيوني

---

(1) Pargai, Michael: op.cit., p60.

(2) المسيري عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج ٦، ص١٨٦.

(3) محمود، أمين: م. س. ذ.، ص٣٥.

اليهودي بدأ خارج بريطاني، ولم يكن من بين المفكرين الصهاينة اليهود في تلــك الفتــرة أي بريطاني. ومن أشهر هؤلاء المفكرين الذين ذاع صيتهم في تلك الفترة موسى هــس ويهــودا القالعي وتسفي هيرش كاليشر.

**موسى هس ١٨١٢-١٨٧٥م Moses Hess**

رائد الصهيونية العمالية. ولد في ألمانيا من أب بقال وأم كان أبوها حاخاماً. وانتقل هس وهــو بعد في التاسعة إلى منزل جده حيث تلقى على يديه تعليماً دينياً وتعلم العبرية. ورغم ذلك، لــم يبد هس أي اهتمام بالقضايا اليهودية إلا في مرحلة متقدمة من عمره. وقد اهتم هس بدراســة التاريخ وكان شديد الإعجاب بالفيزياء والأدب الفرنسي ودرس الفلسفة في الجامعة ولكنــه لــم يحــصل علــى درجــة علميــة. واســتقر هــس معظــم حياتــه فــي بــاريس[١]. نشر هس سنة ١٨٦٢ كتاب "روما والقدس"[٢] وكان يشير بذلك إلى روما التي ستؤسس عــن طريق بعث القومية الإيطالية، فهو يرى أن ثمة علاقة بين بعث روما فــي أوروبــا وبعــث القدس في الشرق[٣]. واعتبر أن الثورة الفرنسية معلم أساسي في تاريخ الغرب، فهــي تــشكل بعثاً اجتماعياً سيؤيد المشروع الصهيوني في الغرب[٤]، أي أن هــس اعتبــر أن الــصهيونية ظاهرة تنبع من حركيات التاريخ الغربي الاستعماري. والكتاب عبارة عن اثنتا عشرة رســالة إلى سيدة حزينة على فقد إنسان تحبه، ولعل هذا يفسر عدم ترابط الأفكار التــي جــاءت فــي الكتاب.

ورأى هس أن المخرج من هذا الوضع يمكن أن يتم عن طريق توظيف الشعب اليهودي فــي خدمة الحضارة الغربية التي نبذته. ويبين هس أن اليهود عنصر نافع فمبــدؤهم الرئيــسي أن موطن المرء حيث ينتفع. هذا هو دينهم وهو أعظم من كل ذكرياتهم القومية إذ يرى أن اليهود متميزون باجتهادهم الصناعي والتجاري. ولذا فقد أصبحوا مهمين للأمم المتحضرة التي يعيش فيها اليهود. وأصبحوا أمراً لا يمكن الاستغناء عنه لتقدم الأمم.

---

([1]) הס, מושה: כתבים כללים, ע 47

([2]) הס, מושה: רומי וירושלים, ע 30, 31, 34

([3]) הס, מושה: רומי וירושלים, ע 41, 66

([4]) הס, מושה: רומי וירושלים, ע 25, 35,43

**تسفي هيرش كاليشر ١٧٩٥-١٨٧٤م**

نشأ كاليشر في بولندا، وتعلم على يد كبار علماء الدين اليهودي في عصره، وجـاءت حياتـه العملية الباكرة معاصرة لقيام الحركة الإصلاحية اليهودية فراح يدافع عن التقليـد المتـوارث، وكتب مقالة دافع فيها عن موسى بن ميمون ، كما نشر عدة كتـب فـي الـشريعة اليهوديـة والفلسفة الدينية، وأكد على فكرة الماشيح وأرض الميعاد. وتجدر الإشارة إلى أن كاليشر تـأثر بأفكار زميله يهودا الكالعي(١).

ويعتبر أول نشاط صهيوني قام به كاليشر هو التقاؤه سنة ١٨٣٦ بروتشيلد ومحاولـة إقناعـه بفكرته التي يدعو لها، والتي تتمثل في أن اعتاق اليهود لن يأتي عن طريق المعجزة والظهور المفاجيء للمسيح، بل إنه سيتحقق من خلال الجهد البشري وبالتدريج، وأن بني إسـرائيل لـن يتجمعوا في أرض إسرائيل مرة واحدة، بل بالتدريج، كما تتجمع حبات القمح في السنابل. لكن روتشيلد لم يجب دعوته بشراء الأرض من خلال التفاوض مع محمـد علـي. ثـم عـرض المشروع على اليهودي البريطاني موشيه مونتفيوري(٢).

نشر كاليشر كتابه "السعي لصهيون" سنة ١٨٦٢، وتنقل بين البلدان الأوروبية وحرّض سكانها اليهود على تنفيذ أفكاره، مما حمل جماعة من اليهود على شراء أرض في ضواحي يافا سـنة ١٨٦٦م،حيث قامت "جمعية الإليانس الإسرائيلية" التي تأسست في فرنسا سنة ١٨٦٠ بإنـشاء المدرسة الزراعية مكفيه يسرائيل لتشجيع شراء الأرض وإقامة المستوطنات الزراعية عليهـا. وقد تعاون كاليشر مع هذه الجمعية بهدف توطين اليهود في فلسطين.

لقد ضمّن كاليشر أهم أفكاره الكتاب الشهير "السعي إلى صهيون"(٣)

١: رأى كاليشر مثل بقية حاخامات عصره أن العلاقة بين اليهود وأرض إسرائيل علاقة إلهية أزلية لا يمكن فصلها. وأن الهجرة والاستيطان فيها فريضة، وأن خلاص الشعب اليهودي لـن يكون عن طريق المعجزة، بل من خلال الجهد البشري المتدرج.

---

(1) صايغ، أنيس (تحرير): الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، ص١٣.

(2) ن. م.، ص١٣.

(3)ن. م.، ص١٣-١٧.

٢: واعتبر كاليشر أن الامتحان والتجربة مهمين لليهود ،في إشارة للظلم والاضطهاد الذي يعاني منه اليهود في أوروبا، قبل ظهور المسيح، ويستشهد على ذلك من التوراة بقصة آدم ودخوله الجنة واختباره بالشجرة. وكذلك عندما غادر بنو إسرائيل بلاد مصر وامتحنها الله بالجوع والعطش.

٣: اعتبر كاليشر أن سكان فلسطين اليهود هم علماء في التوراة، ذهبوا إلى هناك معرضين حياتهم للخطر، وهم موجودون في لأرض غريبة لم يسبق لهم العمل وكل ما يطلبونه هو ما يكفي لحفظ الجسم والروح معاً. وذلك حتى يسكنوا الأرض التي هي نصيبهم من الله. ويكمن حل هذه المشكلة في نظره بتأسيس منظمة تشجع الاستيطان في الأرض المقدسة وتشتري المزارع والكروم وتدرب الفقراء على العمل.

٤: ورأى كاليشر أن الاستيطان الزراعي ذو فائدة كبيرة في تطبيق الوصايا الدينية المتعلقة بالعمل في تربة الأرض المقدسة.

٥: وأكد على أن وجود الخبز الذي توفره الزراعة سيمكن اليهود من دراسة التوراة، بمعنى أن العمل لا يلهي عن دراسة التوراى بل يشجعها.

٦: واعتبر كاليشر أن اليهود يجب أن يكافحوا أكثر من غيرهم لأنهم لا يريدون تحرير أرض الأجداد فقط، وإنما العمل على إحياء مجد الإله الذي اختار صهيون. وطالب كاليشر اليهود بالاقتداء بالأغيار الذين ضحوا من أجل إنقاذ بلادهم مثل إيطاليا والبولنديين والمجريين الذين ضحوا بكل شيء من أجل الاستقلال.

وشرح كاليشر في كتابه بالتفصيل نظريته العملية لتحقيق خلاص اليهود واعتبر أن الخلاص يكون على مرحلتين، أولهما هي المرحلة الطبيعية وتتمثل في العودة "لأرض لإسرائيل" والعمل خصوصاً في الزراعة هناك لتقوية المستوطنات وجعلها قادرة على الاعتماد على نفسها بدلاً من الاعتماد على التبرعات الخارجية، وكذلك لجعله قادراً على حماية نفسه وتدريب الشباب المسلحين لحماية المستوطنات. أما المرحلة الثانية فهي المرحلة الخارقة للعادة والمتمثلة في عودة المسيح لكنها لن تأتي إلا بعد المرحلة الأولى.

ورأى كاليشر أن المسألة تبدأ بعودة بعض اليهود واستيطانهم الأرض على أن يتم ذلك بدعم الأمم وموافقتها، ودعم الأثرياء اليهود لشراء الأرض وإقامة المزارع والمدارس التي تدربهم على الزراعة التي هي فرصة اليهود لمراعاة وصاياهم الدينية. يُعتبر كاليشر مجدداً عندما دعا

اليهود لأخذ زمام المبادرة والعمل على تحقيق الفرائض بقــواهم البــشرية ولــيس انتظــاراً للمعجزة.

يتضح مما تقدم أن الصهاينة اليهود لم يبرزوا إلى حيز الوجود إلا في النــصف الثــاني مــن القرن التاسع عشر، وأن كلاً من لورانس أوليفانت ووليام هيكلر قد لعبا دوراً مهماً في تــشجيع هذه الجهود، وأحياناً فقد قام كل من أوليفانت ولورانس بمهام رســمية لإســكان اليهــود فــي فلسطين عبر الحصول على موافقة الدولة العثمانية. يُضاف إلى ما تقدم أن تــصاعد الــروح الاستعمارية والقومية ساهمتا في لفت أنظار اليهود إلى إمكانية إقامة دولة خاصة بهــم، كمــا فعل الإيطاليون والألمان في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وتم تغذية هذا التوجه لــدى اليهود بسبب تصاعد المشاكل والمذابح ضد اليهود في أوروبا. لكن الجهود اليهودية حتى تلــك اللحظة بقيت محلية وغالباً فردية، ولم يكن من بين هؤلاء المفكــرين أي يهــودي بريطــاني. فكيف أصبحت بريطانيا في مطلع القرن العشرين رافعة لواء المشروع الصهيوني؟!

# الفصل الرابع

# المشروع الصهيوني في مرحلة التبلور

**المبحث الأول: أفكار هرتزل ودبلوماسيته**

**المبحث الثاني: بدايات التفاعل الرسمي بين الصهاينة اليهود والبريطانيين**

**المبحث الثالث: الحرب العالمية الأولى وإصدار وعد بلفور**

# الفصل الرابع

## المشروع الصهيوني في مرحلة التبلور النهائية

بعد أن اكتمل تطور مفهوم الشعب اليهودي وضرورة إعادتـــه إلـــى ارض فلـــسطين لأسباب دينية تتعلق بانتظار عودة المسيح كما يفهمها المسيحيون البروتستانت، إضافة إلـــى الأسباب الاستعمارية النفعية التي ستعود على إنجلترا من جراء إعادتهم إلى فلـــسطين لـــدى دوائر واسعة من المتدينين والاستعماريين والمثقفين. بعد هذا الاكتمـــال جـــاءت المرحلـــة الأخيرة حيث ساهمت مجموعة من الشخصيات الصهيونية اليهودية، وشخصيات صـــهيونية مسيحية أخرى في لعب الدور الأخير، والقيام بالجهد النهائي لإيصال الفكرة الصهيونية التي نمت في النسيج الفكري البريطاني خلال ثلاثة قرون إلى مرحلة المشروع المتبلـــور. وفـــي هذا الفصل سنتناول دور الشخصيات الصهيونية اليهودية الرئيسية في التوصل لوعد بلفـــور، ثم دور الشخصيات الصهيونية الإنجليزية، وأخيراً مرحلة صدور وعد بلفـــور، أي بلـــورة المشروع الصهيوني، وما دار من جدل بشأن إصداره مع التركيز على موقف يهود بريطانيا من صدور وعد بلفور. وسيتم ذلك من خلال المباحث الثلاثة التالية.

## المبحث الأول

## أفكار هرتزل ودبلوماسيته

ولد **تيودور هرتزل Theodor Herzl**(١) سنة ١٨٦٠ في مدينة بودابست بهنغاريا، لكنه نزح إلى فيينا عاصمة النمسا ١٨٧٨(٢). وتعلم تعليماً حديثاً حيث حصل على دكتوراة في القانون الروماني سنة ١٨٨٤، وعمل بالمحاماة لمدة عام، لكنه فضل أن يكرس حياته للأدب والتأليف؛ فتشر ابتداءً من سنة ١٨٨٥ مجموعة من المقالات، وكتب بعض المسرحيات التي لم تلاقي نجاحاً كبيراً ومن أهمها مسرحية "الجيتو الجديد" ١٨٩٤م(٣)، وعمل في صحيفة "نويا فريا براسا" "Neue Freie Presse" (٤).

وقد كان هرتزل من الناحية الثقافية ابن عصره، يجيد الألمانية والمجرية والإنجليزية والفرنسية لكنه لم يتعلم العبرية. وكانت علاقته بالثقافة اليهودية هشة للغاية لدرجة أنه تساءل علناً وبسخرية في المؤتمر الصهيوني الثالث سنة ١٨٩٩م عمّا يُسمى "الثقافة اليهودية"(٥). وحينما قرر مجاملة حاخامات مدينة بازل وتأدية الصلاة في كنيس المدينة قبيل افتتاح المؤتمر الصهيوني الأول في سنة ١٨٩٧م؛ اضطر إلى تعلم بضع كلمات عبرية لتأدية الصلاة. وذكر أن المجهود الذي بذله في تعلمها أكبر من المجهود الذي بذله في إدارة جلسات المؤتمر مجتمعة(٦).

---

(1) كلمة ثيودور تعني هبة الله ، انظر:

ستيوارت، ديزموند: تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، ص٨.

(2)ن. م.، ص١٧.

(3) Bein, Alex: Herzl, P.17.

الخالدي، محمد علي: يوتوبيا أم تبشير صهيوني قراءة في رواية هرتسل ألتنيولاند، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٤٥-٤٦، ص٤٦.

(4) The Jewish Encyclopedia, Vol.VI, P. 370.

(5) جريس، صبري: م. س. ذ.، ج١، ص١٤٤.

(6) ن. م.، ج١، ص١٤٤، ١٤٥.

تذكر الكثير من المؤلفات الصهيونية والعربية أن واقعة درايفوس[1] Dreyfus Caseهي التي هزت هرتزل وأعادته إلى يهوديته[2]. لكن يوجد من يخالف هذا الرأي ويعتبر أن "المقالات التي كتبها هرتزل لصحيفته سنة ١٨٩٤ تدل على أنه كان مقتنعاً في البداية بأن الضابط اليهودي كان خائناً ومذنباً"[3].

كان هرتزل يهودياً مندمجاً متشبعاً بروح الثقافة الغربية العملية النفعية التي تتحرك نحو المصلحة. ويمكن القول أنه لم يتحرك لحل المسألة اليهودية بناءً على خلفية دينية بل استناداً إلى قراءة الواقع وبحثاً عن المتاح والممكن في إطاره. ويتضح هذا من خلال أفكاره التي تتسم بالبساطة والتوفيقية لأنه يقدمها لأطراف مختلفة، ويسعى لأن تحظى بالقبول لديهم جميعاً، أو على الأقل ألا تجابه بالرفض من أي منهم. كما يتعامل هرتزل مع الأفكار المطروحة والقضايا المثارة بكثير من الهدوء، ويتجه دائماً للبحث عن الحلول، وفيما يلي عرض وتحليل لأهم آرائه وأفكاره المتعلقة بالقضايا التي شكّلت تحدياً له ولحركته.

اعتبر هرتزل أن معاداة اليهود مسألة أساسية في الحضارة الغربية لا مجال للتخلص منها، وأوضح أنه بالرغم من كون هذا العداء يشكل موروثاً غربياً ذا جذور تاريخية؛ إلا أنه

---

([1]) ألفريد درايفوس هو ضابط يهودي فرنسي من مواليد إقليم الألزاس سنة ١٨٥٩. بعد تخرجه من مدرسة الحرب العليا التحق سنة ١٨٩٣ بديوان وزارة الحربية في باريس. اعتُقل بتهمة التجسس لصالح ألمانيا، واستغلت الصحافة هذا الحادث وشنت هجوماً عنيفاً على اليهود بشكل عام. وصدر بحقه حكماً من محكمة عسكرية بتجريده من الرتب وطرده من الخدمة ونفيه مدى الحياة إلى إحدى المستعمرات الفرنسية. وفي مقابل هذا الحكم شن اليهود هجوماً مضاداً وشككوا في نزاهة الحكم. وقد انشغلت فرنسا لعدة سنوات بقضية هذا الضابط. وانتهى الأمر بإعادة محاكمته وتبرئته وأُعيد إلى الخدمة.

للمزيد حول الموضوع انظر:

קוטיק, מאיר: פרשת דריפוס, ע 54-25.

([2])العيسى، محمد عبد الله: الفكرة الصهيونية عند هرتزل بين النظرية والتطبيق، مجلة الدراسات والعلوم الإنسانية، م ٢٠أ، عدد ٢، ص ٣٤.

Vital, David: The Origins of Zionism, P.243.
Nahum Socolow: op. cit., Vol.1, P.112.

קוטיק, מאיר: פרשת דריפוס, ע149- 253.

([3]) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٢، ص٣٦٧.

في جوهره حالة من حالات الدفاع عن النفس بسبب كون اليهود قــوة اقتــصادية منافــسة لنظيراتها في المجتمعات الغربية[١].

لكنه في نفس الوقت انتقد في كتابه "الدولة اليهودية" محاولة إقنـاع اليهـود بالتوجـه للعمل في قطاع اقتصادي منتج عن طريق توجيههم، من التجـارة والربـا، إلـى الأعمـال الزراعية بحيث يصبح اليهود فلاحين، وعلّل هرتزل ذلك بقوله أن هذا لن يزيل المشكلة لأن الطبقة الصاعدة في أوروبا هي العمال وليس المزارعين[٢].

ووجه هرتزل نقداً شديداً للمحاولات الاستيطانية الصهيونية في عصره، ووصفها بأنها رومانسية مستحيلة[٣]. واعتبر أن العصر الصناعي الرأسمالي يملك مقومات حـل المـسألة اليهودية من خلال الانقلاب الصناعي الهائل وحركة المواصلات الآمنـة والـسريعة التـي اختصرت المسافات. ويُفهم من هذا القول أن هرتزل يُفضل إقامة الدولة اليهودية عن طريق قيام الدول الغربية بنقل اليهود إلى أي مكان في العالم في إطار المشروع الاستعماري.

وبعد أن أكد هرتزل للدول الغربية أن حل المسألة اليهودية يكمن في إخـراج اليهـود من أوروبا ونقلهم إلى مكان ما في العالم في إطار المشروع الاستعماري الغربي، بعد ذلـك بيّن أن هذا الحل له منافع كثيرة للمعذبين والمضطهدين في الأرض[٤]. وكذلك ستستفيد منـه جهات عديدة؛ فلو قبل السلطان العثماني إعطاء فلسطين لليهود فإن الفوائد سـتكون كثيـرة لدولته حيث ستدفع قسطاً من دينها العام، كما سيؤسس الصهاينة جامعة في استانبول لإبعـاد الشباب التركي عن التيارات الثورية في الغرب. وأخيراً فإن هجرة اليهود ستبعث القوة فـي الإمبراطورية العثمانية كلها، وهو مطلب ألماني إنجليزي في ذلـك الوقـت ضـد الزحـف الروسي[٥].

---

(1) هرتزل، تيودور: الدولة اليهودية، ص٤.

(2)ن. م.، ص١٦، ١٧.

(3)ن. م.، ص٢٣.

(4)ن. م.، ص٣.

(5)ن. م.، ص٢٤.

واعتبر هرتزل أن فكرة خلق دولة يهودية في فلسطين أو في الأرجنتين أو أي دولة أخرى سيكون مفيداً لهذه الدولة وللدول المجاورة لها لأن استثمار قطعة أرض ضيقة يرفع قيمتها وقيمة المناطق المجاورة لها. [١]

وبالنسبة للحكومات الغربية، التي من المفترض أن تتبنى الفكرة وتدعمها، فقد أوضح هرتزل أن خلق دولة يهودية ونقل اليهود إليها سينهي فكرة معاداة اليهود؛ وبالتالي لن يحس الغرب الليبرالي بالحرج بسبب عنصريته، وأن الدولة اليهودية في فلسطين ستكون حائط لحماية أوروبا، وحصناً منيعاً للحضارة في وجه الهمجية[٢].

كما أشار هرتزل إلى أن تحسن وضع اليهود سيساعد على تحسن وضع مسيحيي الشرق، فهو بعد أن ربط مصير اليهود بالغرب، يرى إمكانية طرح السيناريو نفسه بالنسبة لمسيحيي الشرق من خلال تطمينهم على ممتلكاتهم وعلى أماكنهم المقدسة[٣]. إضافة إلى أن بريطانيا بإمكانها أن تستفيد من انتشار اليهود في العالم بحيث يكونون بمثابة عملاء لها.

ويعتبر هرتزل أن حل المسألة اليهودية يجب ألا يأخذ شكل هروب أو تسلل، وإنما يجب أن يتم وفقاً للقوانين الغربية؛ وبمعاونة صادقة من الحكومات المعنية التي يجب أن تضمن وجود اليهود، لأن اليهود لا يمكنهم فعل ذلك بأنفسهم[٤]. وهكذا فقد أكد هنا أهمية الاعتماد على الاستعمار في خلق الدولة اليهودية والحفاظ على بقائها واستمرارها. تجدر الإشارة هنا إلى أن ما طرحه هرتزل من أفكار في كتابه "الدولة اليهودية" هو تلخيص لأفكار الصهاينة المسيحيين الذين أطلقوا نداءات كثيرة لإقامة كيان لليهود في فلسطين؛ وذلك لاعتبارين يتمثل أولهما في كونها تقع على طريق المستعمرات البريطانية في الهند. أما الاعتبار الثاني فيهدف إلى التخلص من اليهود وإخراجهم من بريطانيا لكونهم شعب منبوذ.

لكن أهمية هرتزل تكمن في أنه بدأ يخاطب اليهود على نطاق واسع لإقناعهم بفكرة إنشاء وطن قومي لهم، وربما يكون هذا أحد ثمار لقائه مع هيكلر. وتوجه للقيادات اليهودية

---

(1)ن. م.، ص٢٤، ٨٢.

(2)ن. م.، ص٢٤، ٢٥.

(3)ن. م.، ص ٢٥.

(4)ن. م.، ص٢٣.

التقليدية، الحاخامات والأثرياء، الذين نظروا إليه بنوع من الفتور. ففي يونيو ١٨٩٥م قابل هرتزل البارون هيرش Baron Hirsch مليونير مصرفي فرنسي يهودي، وقرأ عليه خطاباً حدد فيه حل المسألة اليهودية كما ورد في كتاب الدولة اليهودية، لكن هيرش لم يسمح له بالاستمرار في الحديث وأنهى المقابلة[١]. وكذلك خاطب عائلة روتشيلد Rothschild Family في فرنسا وفيينا ولم يجد لديهم قبولاً لفكرته فهددهم بالتوجه للجماهير اليهودية[٢].

لم يتوجه هرتزل لأثرياء اليهود متوسلاً، وإنما جاء لهم كمفكر يهودي غربي يطرح عليهم قضية حاجة اليهود إلى القيادة، وينبه إلى عقم الاستعمار التسللي في الأرجنتين وفلسطين، وطالب أثرياء اليهود بالتوسط لدى قيصر ألمانيا وإقناعه بأهمية خلق دولة لليهود. وبعدها توجه هرتزل لإجراء اتصالات فردية فراسل بسمارك (١٨١٥-١٨٩٨)[٣] Bismark وأعد مذكرة إلى قيصر ألمانيا ولهلم الثاني، لكن اكتشف أن الدول لا تتعامل مع أفراد[٤]، ولهذا قرر التوجه إلى قطاعات اليهود الجماهيرية المختلفة؛ لكنه كان يرفض النزعات الصهيونية السابقة عليه مثل صهيونية أثرياء اليهود المندمجين والتي تأتي على شكل صدقات لإنقاذ اليهود في البلدان التي يعانون فيها من أوضاع صعبة، وكان يرى أن المشروع الصهيوني مشروعاً سياسياً وقومياً ضخماً. كما اعترض هرتزل على الصهيونية التسللية معتبراً إياها محاولة للتصدي لحل مشكلة كبيرة بوسائل تقليدية لا تفي بالحاجة، فعدد اليهود في العالم عشرة ملايين، ولو نجحت الصهيونية التسللية في إدخال عشرة آلاف منهم إلى فلسطين كل سنة فكم يحتاج الأمر لإعادة كل اليهود إلى فلسطين؟! إضافة إلى أن دخول اليهود سيستفز العرب، وسيرفع أسعار الأراضي، وأشار إلى أن التسلليين سيبقون تحت رحمة الباشا العثماني ويفتقدون إلى الحماية، لهذا لن يتمكنوا من تحقيق الاستقلال، وتوقع أن

---

(1) Vital, David: op. cit., P.249.

(2) *Ibid*., P.250.

(3) سياسي ألماني ساهم في توحيد ألمانيا، وعمل على تقوية جيش بلاده، وأصبح من أهم الشخصيات الأوروبية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.

الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص٤٢٥.

(4) אילון, עמוס: הרצל, ע 202.

Lowenthal, Marvin: op. cit., P.54.

يفشل الاستيطان التسللي. وبهذا يكون هرتزل قد بدأ يطرح نفسه وهو الصحفي ذو الثقافة الغربية بديلاً عن الأثرياء والحاخامات، وكان يملك رؤية جديدة للمسألة اليهودية واقتراحاً يلائم جميع الأطراف ذات العلاقة بانتقال اليهود من أوروبا إلى فلسطين أو الأرجنتين(١).

ولما أدرك هرتزل من خلال اتصالاته الفردية أن الاستعمار الغربي لا يتعامل مع أفراد وإنما يتعامل مع مؤسسات تمثل اليهود اقترح هرتزل في كتابه "الدولة اليهودية"، الذي صدر سنة ١٨٩٦، إنشاء مؤسستين، جمعية اليهود Society of The Jews، والشركة اليهودية Jewish Company. وقد أورد هرتزل هذه التسميات الإنجليزية في النص الألماني لكتابه(٢). واقترح أن تقوم جمعية اليهود بالدور السياسي والدبلوماسي والتفاوضي مع الدول الأوروبية، أما الشركة اليهودية فستقوم بتصفية الأعمال التجارية لليهود المغادرين والعمل على تنظيم التجارة والأعمال المتعلقة بها في البلد الجديد، وستؤسس كشركة مساهمة تسجل في إنجلترا بموجب القانون الإنجليزي(٣).

وبعد ذلك سعى هرتزل لعقد المؤتمر الصهيوني الأول في ٢٨-٨-١٨٩٧م فحضره مائتين وخمسين مندوباً، وكان وليام هيكلر من بين الحاضرين. ألقى هرتزل خطاباً في هذا المؤتمر دعا فيه اليهود لإنشاء منظمة صهيونية عالمية تسعى لإنشاء دولة لليهود تكفل لهم الأمن والاستقرار، وكرر في هذا الخطاب ما ذكره في كتابه الدولة اليهودية(٤). ومن خلال هذا المؤتمر تم تأسيس المنظمة الصهيونية كإطار يضم اليهود الذين يقبلون البرنامج الذي أقره المؤتمر الصهيوني الأول في بازل وبهذا حوّل الصهيونية من مجرد فكرة إلى حركة ومنظمة تعمل من أجل إقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين.

وبعد تأسيس المنظمة أدرك هرتزل أنها لا تمثل إلا أقلية من اليهود، واستمر يتصرف بطريقة فردية، ويجري اتصالاته مع الدول الأوروبية الأمر الذي يشير إلى أنه يولي أهمية أكبر للرعاية التي يمكن أن توفرها إحدى الدول العظمى للمشروع الصهيوني، وليس

---

(1) אילון, עמוס: הרצל, ע' 203.

(2) جريس، صبري: م. س. ذ.، ج١، ص١٤٨.

(3) هرتزل، تيودور: م. س. ذ.، ص٢٦،

(4) انظر نص الخطاب في מדזיני, מירון: קובץ מסמכים בתולדות המדינה, ע 13- 17.

للمنظمة الصهيونية ذاتها، أو جهود اليهود وحدهم من أجل إقامة وطن لهم. وذلك لأن هرتزل يعتقد، كما سبقت الإشارة بأن حل المشكلة اليهودية يجب أن يتم في إطار الاستعمار الذي بإمكانه استخدام اليهود كـ "مادة بشرية" تملأ المستعمرات على حد قول هرتزل في كتاب الدولة اليهودية[١].

لقد قويت مكانة هرتزل بعد انتخابه رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، ونتيجة لذلك قابله الزعماء واستمعوا له، كما أن مركزه قوي بين الصهاينة واليهود، ومنذ ذلك الوقت ركز هرتزل نشاطه على ثلاثة محاور هي:

١- تقوية المنظمة الصهيونية العالمية بواسطة المؤتمرات الصهيونية المتتالية التي عقدها، وأنشأ الأجهزة المكملة لها ودعمها.
٢- الانتقال من بلد لآخر لمقابلة زعماء عصره وحملهم على تأييده في مساعيه للحصول على منطقة ما في العالم لإقامة دولة لليهود فيها، في فلسطين أو غيرها.
٣- مواجهة المعارضة والانتقادات الداخلية، وكانت المؤتمرات الصهيونية ساحة أساسية للعمل على المحاور الثلاثة.

وكانت ألمانيا أول دولة اتجه هرتزل إليها طالباً مساعدتها في إقامة دولة يهودية في فلسطين، وذلك قبيل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، عندما سمع أن القيصر الألماني ولهلم ينوي زيارة فلسطين، فقدر أن السياسة الألمانية تولي اهتماماً كبيراً للسيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية في المشرق العربي[٢]. وعلى الأثر بعث هرتزل رسالة إلى دوق بادن الأكبر بتاريخ ١٨٩٨/١١/٩ يطالبه فيها بمساعدة الحركة الصهيونية على تحقيق أهدافها[٣]، ودُعي هرتزل لمقابلة القيصر في فلسطين بعد زيارة الأخير لتركيا، وحدث اللقاء في القدس في نوفمبر سنة ١٨٩٨م، وأكد هرتزل للقيصر، من خلال خطاب أعده بتاريخ

(1) هرتزل، تيودور: م. س. ذ.، ص ص٢١.
(2) الخولي، حسن صبري: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين العربية، م١، ص٧٧.
(3) انظر نص الرسالة:
ملف وثائق فلسطين،ج١، ص ١٢٣

١٨٩٩/٣/١٠ خصيصاً لهذه المقابلة[١]، أن الصهيونية تعمل على إبعاد اليهود عن الأحزاب الثورية، التي كانت تناوئ الحكم القيصري طالباً بسط الحماية الألمانية على الحركة، والتوسط لدى سلطان تركيا لحمله على الموافقة على قيام شركة يهودية صاحبة امتياز بتوطين اليهود في فلسطين وجوارها[٢].

لكن الجهود باءت بالفشل، ورغم ذلك أعلن هرتزل في خطابه الافتتاحي أمام المؤتمر الصهيوني الثالث ١٨٩٩م أن هدف حركته هو الحصول على امتياز من الحكومة التركية، للبدء في تنفيذ خطتها في فلسطين تحت حماية السلطان، وأنه يُفضل الانتظار، والحصول على ترخيص بدل إرسال اليهود بطرق غير مشروعة إلى فلسطين[٣]. والتقى هرتزل بالسلطان في مايو ١٩٠١م في اسطنبول، وأثناء اللقاء عرض هرتزل على السلطان تقديم قروض من بعض الرأسماليين اليهود، مقترحاً مقابل ذلك إصدار "بيان صداقة" من قبل السلطان تجاه اليهود، يرحب بقدومهم إلى الامبراطورية العثمانية والاستيطان فيها، فردت السلطنة على عروض هرتزل بالموافقة شريطة أن يوافق اليهود على قبول الجنسية العثمانية، ولن يسمح لهم باستيطان جماعي في أي مكان، لكن هرتزل رفض هذه الشروط، وتوقف المشروع بسبب الشروط التركية إضافة إلى عجز هرتزل عن توفير المال المطلوب، ولهذا اقتنع هرتزل أنه لن يحصل على امتياز توطين اليهود في فلسطين إلى بعد تقسيم تركيا[٤].

لم يكتف هرتزل بنشاطاته الدبلوماسية، وبذل جهداً واضحاً في تجميع عدد من الشخصيات اليهودية الصهيونية المؤثرة. وفي هذا السياق فقد تعرف سنة ١٨٩٢إلى ماكس نوردو (١٨٤٩-١٩٢٣) Max Nurdaw الطبيب اليهودي الألماني المندمج والمنغمس في

---

(1) انظر نص الخطاب:

ن. م.، ج١، ص١٢٧.

(2) الخولي، حسن صبري: م. س. ذ.،م١، ص٧٨.

(3) حلاق، حسان: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص ١٦٥.

(4)ن. م.، ص ١٦٦.

الثقافة الألمانية(١). وكان من بين الداعين إلى حل مشاكل أوروبا الاجتماعية بالعنف وعن طريق تصدير فائضها البشري إلى الشرق وذلك قبل تبنيه العقيدة الصهيونية(٢).

ومنذ التقائهما أصبح نورداو ساعد هرتزل الأيمن. وقد كان "لاعتناقه العقيدة الصهيونية فضل كبير في إظهارها بمظهر تقدمي أمام المثقفين اليهود في العالم الغربي"(٣). وقد ألقي نورداو الخطاب الافتتاحي عن وضع اليهود في العالم خلال المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧(٤)، واستمر على هذا المنوال حتى المؤتمر العاشر سنة ١٩١١، كما قام نورداو بدور بارز في صياغة برنامج بازل، وأيد مشروع شرق إفريقيا، لكنه وصف الوطن اليهودي الذي سينشأ هناك بأنه مجرد ملجأ "لمدة ليله واحدة"، قاصداً أنه نقطة عبور للأرض المقدسة. وكان نورداو يرى أن الصهيونية هي حركة لإخلاء أوروبا من اليهود في أقرب وقت. وقد شبه نوردوا اليهود بالبكتيريا، لكونها كائنات دقيقة لا تراها العين المجردة، ولكنها في واقع الأمر تقوض المجتمع من الداخل وتفت في عضده، وذلك إن لم تعرض للشمس، أي إن لم ترحل إلى أرض الميعاد(٥).

وتعرّف هرتزل على ناحوم سوكولوف ١٨٥٩-١٩٣٦ Nahum Socolow خلال المؤتمر الصهيوني الأول، وكان الأخير قد أبدى معارضة للصهيونية حيث كتب مهاجماً بنسكر وكراسته "التحرر الذاتي"(٦). وقد ظل على موقفه الرافض للصهيونية، فهاجم كتاب هرتزل "دولة اليهود" وتردد كثيراً في حضور المؤتمر الصهيوني الأول(٧). ولكن بعد حضوره المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م، تغير مجرى حياته وأصبح من كبار المعجبين بهرتزل. وقد استمر هذا الإعجاب حتى بعد وفاة الأخير بربع قرن، ويتجلى ذلك في الخطاب الذي ألقاه سوكولوف أمام المؤتمر الصهيوني السادس عشر حيث وصف عظمة

(1) הלוי, מושה: דרכו של נורדאו אל הציונות, ע 64

(2) הלוי, מושה: דרכו של נורדאו אל הציונות, ע 66

(3) הלוי, מושה: דרכו של מאכס נורדאו אל הציונות, ע 63

(4) נורדאו, מאכס: כתבים, חלק א, ע 55

(5) נורדאו, מאכס: כתבים, חלק ג, ע 17

(6) סוקולוב, נחום: הצופה לבית ישראל, ע 388

(7) סוקולוב, נחום: הצופה לבית ישראל, ע 469, 470

هرتزل بأنها "تشبه الجبال الضخمة التي لا تستطيع العين المجردة الإحاطة بها من جوانبها"(١) ولسوكولوف عدة مؤلفات حاول أن يشرح فيها وجهة النظر الصهيونية أحدها بعنوان " الكراهية الأزلية للشعب الخالد". وكما هو واضح من عنوان الكتاب، يطرح سوكولوف الرؤية الصهيونية لظاهرة معاداة اليهود باعتبارها ظاهرة لصيقة بالنفس البشرية، وله مؤلف آخر بعنوان " إلى سادتنا وأساتذتنا" يحاول أن يشرح فيه لليهود المتدينين لماذا يجب عليهم أن يصبحوا صهاينة(٢).

ولكن أهم كتب سوكولوف كتابه الشهير " تاريخ الصهوينية ١٩١٧ الذي يحلل فيه الجذور الغربية للفكرة الصهيونية، وهو يعد أول تاريخ للصهيونية وبمنزلة تاريخها الرسمي. والكتاب عبارة عن سرد جمع فيه الكاتب كل الأقوال الغربية التي تدعو لإرجاع اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة مستقلة لهم فيها.

---

(1) סוקולוב، נחום: הצופה לבית ישראל، ע 457

(2) Socolow, Nahum: op. cit., Vol.1, P. vii.

اتصل هرتزل بالروائي اليهودي الإنجليزي إسرائيل زانجويــل ١٨٦٤-١٩٢٦[١] Israel Zangwill لترتيب اجتماع مع قادة الاقلية اليهوديه في بريطانيا، وتمكن بالفعل مــن

---

([1])كتب زانجويل الكثير من الروايات التي تعالج المسألة اليهودية فكتاب أطفال الجيتو (١٨٩٢) هو تــاريخ أسرة يهودية، وهو في واقع الأمر تاريخ اسرته هو، وهو رواية بانورامية تتناول شخصيات يهودية عديدة كلها تبغي الهروب من الجيتو، ومن الشخصيات الشاعر بنحاس، وهو في الواقع شخــصية كاريكاتوريــة ساخرة للشاعر نفتالي إمبر مؤلف نشيد الهاتيكفاه.

ومن أهم أعمال زانجويل الأخرى أبناء الجيتو ١٨٩٢ الذي يصور بعض الشخصيات التي يمر فيها ازدواج الانتماء لعالم الجيتو اليهودي وعالم الأغيار المعاصر.والكتاب دراسات في شخصيات يهودية تترك العقيدة اليهودية، مثل : دزرائيلي وشبتاي تسفي. وتعالج رواية حالمو الجيتو ١٨٩٨ الموضوع نفسه فهــي تزخر بشخصيات تبحث عن مهرب من الجيتو والقيم الدينية العتيقة التي تهيمن عليه. أمــا روايــه رآســي حيتويه ١٨٩٣ فتحكي قصة يهودي تزوج من إمرأة مسيحية ولكنه لا يملك إلى أن يبقى يهودياً في الخفــاء. أما روايته ملك الشحاذين ١٨٩٤ فتتناول اليهود السفارديم في لندن قبل وصول يهود اليديشية. ومن رواياته الأخرى كوميديات حيتوية ١٩٠٧.

ويتميز موقف زانجويل تجاه اليهود بازدواجية غريبة، فهو من ناحية معجب إلى حد مــا بــالجيتو وبشخصياته، ولكنه من ناحية أخرى يجدها شخصيات ضيقة ومائلة للذوبان في العصر الحديث، وهو بخور ببعض الجوانب اليهودية في حياته ولكنه يشعر بالخجل تجاه البعض الآخر. ويمكن القول بأن رفضه لليهود واليهودية أكثر عمقاً من إعجابه ببعض جوانب الشخصية اليديشية.

ورفضه اليهود واليهودية يتجلى في كتابه الدين المقبل حيث يعبر عن أمله في ظهور ديانه جديــدة تمزج الديانتين اليهودية والمسيحية والحضارتين العبرية والمسيحية.

وله كتاب آخر في كتبه في أخريات حياته هو عقيدتي ١٩٢٥ يطالب فيه بيهودية غير يهودية، حتى يتم التوصل إلى عقيدة عالمية لكل البشر.

ومن أهم مسرحياته، مسرحية "أتون الصهر" التي يتصور فيها الولايات المتحدة على أنها أتون إلهي للصهر ستذوب فيه كل أجناس أوروبا وتندمج، وتختفي فيه كل الخصوصيات، وضمن ذلــك الخــصوصية اليهودية. ومن أهم آليات الصهر، الزواج المختلط ( وقد كان زانجويل نفــسه متزوجــاً مــسيحية) وكــأن الولايات المتحدة هي الترجمة التاريخية النهائية لمثل عصر الاستناره التي ستريح الانسان من عبئ التاريخ وتريح اليهودية من عبء الهوية.

للمزيد حول زانجويل انظر:

الراهب، هاني: م. س. ذ.، ص٨٧-٩٥.

المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٦، ص٣٠٦.

عقد هذا اللقاء سنة ١٨٩٦(١). وموقف زانجويل يشبه تماماً موقف هرتزل ونورداو ويهود غرب أوروبا عامة، وهو أن اليهود واليهودية يمثلان بالنسبة له مشكلة تتطلب حلاً، وحضر المؤتمر الصهيوني الأول لاقتناعه بضرورة العمل لتحقيق هذا الحل. لكن رغبته في التخلص من المهاجرين اليهود القادمين من روسيا إلى إنجلترا كانت قوية وغير قابلة للنقاش، ولذا فقد ألقي بكل ثقله خلف مشروع شرق إفريقيا؛ ووصفه بأنه سيكون وسيلة لمضاعفة عدد السكان البيض التابعين لبريطانيا، فالاستعمار الاستيطاني بالنسبة إليه عبارة عن وسيلة للتخلص من اليهود ولتذويبهم في التشكيل الحضاري الغربي(٢). ولهذا، حين رفض المؤتمر الصهيوني السابع ١٩٠٥ المشروع انشق زانجويل على المنظمة الصهيونية(٣)، وأسس منظمة جديدة أطلق عليها اسم "المنظمة الصهيونية الإقليمية" التي كانت تهدف إلى تأسيس إقليم يهودي، ليس بالضرورة في فلسطين، بهدف إنقاذ وإغاثة اليهود خارج أية تصورات قومية يهودية(٤). وقد تحرك زانجويل بحماس في إطار تصوره الإقليمي، فطلب العون من أثرياء الغرب المندمجين من أمثال اللورد روتشيلد وحاول توطين بعض المهاجرين اليهود، ولكنه لم ينجح إلا في توطين بعض عائلات في تكساس. وحينما أُعلن وعد بلفور أصبح زانجويل من كبار المتحمسين له، خاصة وأن هذا الوعد جعل المشروع الصهيوني جزءاً من التشكيل الإمبريالي الغربي.

يتضح من خلال ما تقدم أن هرتزل تمكن من جمع عدد لا بأس به من الأنصار ذوي الشأن الكبير حوله، وأخذ يتحرك على الصعيد الدبلوماسي علّه يتمكن من الحصول على موافقة إحدى الدول العظمى على إقامة دولة لليهود في فلسطين، لكن الحظ لم يحالفه في إيجاد الدولة التي تقبل بهذه المهمة.

---

(1) Cohen, Stuart: English Zionists and British Jews, P.25.

(2)Tuchman, Barbara: op. cit., p309.

(3)Cohen, Stuart: op. cit., P.83.

(4) Nahum, Sokolow: op. cit., Vol.1, P.296.

## المبحث الثاني

## بدايات وخلفيات التفاعل الرسمي بين الصهاينة اليهود والبريطانيين

عُقد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن سنة ١٩٠٠ في ذات الوقت الذي كان الفشل لا زال يلاحق هرتزل على الصعيد الدبلوماسي[١]؛ ومنذ ذلك الوقت توجه اهتمام هرتزل ورفاقه إلى بريطانيا. وحينما ألقى هرتزل كلمته في مؤتمر لندن أكد فيها على أنه "من هذا المكان ستصعد الحركة الصهيونية وتصعد إلى الأعلى، إنجلترا العظمى، إنجلترا الحرة، بعينها المثبتة على البحار السبعة ستفهمنا"[٢]. الأمر الذي يشير إلى أن هرتزل بدأ في ذلك الوقت يلحظ الالتحام بين حركته وبين مشروع الاستعمار البريطاني والذي كان يحمل معه تراث قرنين أو أكثر من ثقافة العهد القديم إضافة إلى هواجس أمن الامبراطورية الآخذة في التوسع والامتداد.

وقد رافق هذا التحول في التوجهات الصهيوينية تصاعد الهجرة اليهودية من روسيا وأوروبا الشرقية إلى بريطانيا، خاصة منذ عام ١٨٨١ حيث بدأت عمليات الاضطهاد ضد يهود روسيا بعد محاولة اغتيال القيصر هناك[٣]. وكنتيجة لهذه الهجرة أبدت الأوساط الحكومية البريطانية انزعاجاً واضحاً تجاه المسألة، فشكلت لجنة ملكية لتبحث الأمر. استدعت اللجنة هرتزل بتاريخ ٤ يونيو ١٩٠٢ للشهادة أمامها[٤]، فاستغل هرتزل اللقاء وعرض أمام اللجنة رؤيته لحل المسألة اليهودية وقال: "إن مشكلة هجرة اليهود من شرق أوروبا لن تتوقف، فأين لهؤلاء اليهود أن يذهبوا؟ إن الحل الوحيد أن يوجد لهم وطن يعترف به قانونياً وشرعياً كوطنهم هم"[٥]. وكان أحد أعضاء اللجنة هو اللورد روتشيلد الذي كان يعارض الحركة الصهيونية، ولكن الاقتراح قابل لديه هوى، فوعد بمساعدة هرتزل في أوساط الحكومة البريطانية. كان تشامبرلين chamberlain في ذلك الوقت وزيراً

---

([1]) Cohen, Stuart: op. cit., P.33.

([2]) Lowenthal, Marvin : op. cit., p 330.

([3]) Endelman, Todd: The Jews of Britain 1656-2000, P.187.

([4]) Lowenthal, Marvin: op. cit., P. 361.

([5]) שם, ע 362. איאלון, עמוס: הרצל, ע 396.

للمستعمرات، وآرثر بلفور قد استلم رئاسة حكومة المحافظين بعد استقالة اللورد سالـــسبري. وبعد شهور قليلة من شهادته أمام اللجنة الملكية لشؤون الهجرة اجتمع هرتزل بتـــشامبرلين، وكانت تلك هي المقابلة الأولى بين صهيوني يهودي ومسئول بريطاني[١]. وفي هـــذا اللقـــاء بين هرتزل وتشامبرلين، الذي عقد في١٩٠٢/٧/١٢م عرض الـــزعيم الـــصهيوني فكـــرة استيطان اليهود في سيناء على حدود فلسطين قرب منطقة العريش[٢]، وكان هرتـــزل يأمـــل بأن وجود اليهود تحت رعاية العلم البريطاني وعلى بعد كيلومترات قليلـــة مـــن فلـــسطين سيجعل من الأرض المقدسة بشكل تلقائي منطقة نفوذ بريطاني، مما سيهيئ لليهود القفز إليها في اللحظة المناسبة. ولم يكن تشامبرلين بعيداً عن ذلك التقدير، إذ إن تجزئة الدولة العثمانية في دوائر الامبراطورية أصبحت مسألة وقت، ووجود اليهود على حدود فلـــسطين ســـيكون عاملاً مساعداً لضمها إلى ممتلكات الامبراطورية. ولذا فقد قبل تشامبرلين الفكـــرة، ولكنـــه اشترط موافقة كرومر في مصر قبل أن يحاول الحصول على موافقة الحكومة[٣].

غادر تشامبرلين لندن في نوفمبر ١٩٠٢ في جولة لتفقد أملاك الامبراطوريـــة فـــي إفريقيا، فيما سارع هرتزل بإرسال مبعوثين لمقابلة كرومر في القاهرة ودراســـة مـــشروع العريش معه، كما كلف المحامي، لويد جورج، بإجراء دراسة جدوى للمشروع وخاصة فيما يتعلق بمسألة صلاحية الأرض للزراعة وإمكانية ريها، أكد مبعوثو هرتزل - وهم ليوبولـــد كسلر(١٨٦٤-١٩٤٤) [٤] ، و الكولونيل ألبرت جولد سميد[٥] (١٨٤٦-١٩٠٤) - لكرومـــر

---

([1]) שם، ע 399.

([2]) Lowenthal, Marvin: op. cit., p 374.

انظر نص مشروع سيناء:

ملف وثائق فلسطين، ج١، ص١٤١.

([3]) الخولي، حسن صبري: م. س. ذ.، ص٩٠.

([4]) ليوبولد كسلر هو مهندس يهودي بريطاني، عمل في جنوب إفريقيا. ترأس البعثة الصهيونية بشأن مشروع العريش، وفي سنة ١٩١٢ ترأس الاتحاد الصهيوني في إنجلترا. وشارك في اللجنة السياسية التي شكلها وايزمان لإصدار وعد بلفور.

انظر: حلاق، حسان: م. س. ذ.، ص١٨٧.

([5]) ألبرت جولد سميد هو كولونيل بريطاني ابن يهودي تنصر، لكن جولد اعتنق اليهودية من جديد سنة ١٨٧٠. ترأس جمعية أحباء صهيون البريطانية ونظمها على أساس عسكري.

أن مصر ليست هدف الصهاينة، وأن فلسطين هي الهدف، ولكن كرومر وجد أنه من الصعب فرض حق المواطنة لليهود - المتوقع حضورهم - على الحكومة المصرية، كما أنه أبلغ من الجانب المصري برفض فكرة تحويل مياه النيل، فأبدى فتوراً واضحاً تجاه المشروع، ورفضه رسمياً في مراسلاته مع لندن. وفي الوقت نفسه كانت دراسة لجنة الجدوى قد جاءت بنتائج مخيبة لآمال الصهاينة الأوائل، فالأرض فقيرة جدباء وترتيبات ريها غير متيسرة (١).

وعندما اجتمع تشامبرلين ثانية بهرتزل بعد عودته إلى لندن في ١٩٠٣/٤/٢٤م عرض عليه فكرة الاستيطان في أوغندا(٢)، وفي اليوم التالي للقاء ذاعت أنباء مذبحة يهودية في روسيا، كما تأكد فشل مشروع العريش. وفي نهاية العام عقد المؤتمر الصهيوني السادس في بال، ورفض الحاضرون بأغلبية كبيرة خطة الاستيطان في شرق أفريقيا، كما اتهموا هرتزل بخيانة المشروع الصهيوني(٣).

وكان جوزيف تشامبرلين ١٨٣٦-١٩١٤ Joseph Chamberlain يتميز بسعة الخيال والقدرة على الابتكار، وقد حاول أن يخرج بريطانيا من عزلتها الدبلوماسية وأن يقوي الإمبراطورية بحيث تصبح قوة مهيمنة تجاه القوى العظمى الأخرى. ولذا مد السكك الحديدية، وحاول إقامة الزراعة في المستعمرات على أساس علمي، ونظم إدارة الإمبراطورية واتجه نحو زيادة العنصر البشري الغربي في المستعمرات بسبب قناعته الراسخة بالتفوق العرقي عند الغربيين(٤).

ولاحظ أن الجو لم يكن مواتياً في كثير من المستعمرات لاستخدام الإنسان الأبيض في بناء السكك الحديدية، ولذلك تم استخدام الهنود كمادة بشرية وظيفية في بنائها، ولما كان غير

---

المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٦، ص٢٢٥.

(1) Vital, David: op. cit., P.149.

(2) الخولي، حسن صبري: م. س. ذ.، م١، ص٩٧.

انظر نص اقتراح نشامبرلين:

ملف وثائق فلسطين، ج١، ص١٤٥.

(3) גולדשטין, יוסף: פרשת אוגנדה היבטים נוספים, ע' 425.

(4)Amery, Julian: The Life of Joseph Chamberlain, Vol.4, PP.3, 4.

متوقع من الأوروبيون أن ينشطوا في عمليات الاستيطان فقد فكر تشامبرلين في استخدام اليهود كعنصر استيطاني، ذلك أن كل ما يهم تشامبرلين هو توسيع المستعمرات وحمايتها وتأمينها(١).

كان تشامبرلين ابن مرحلة الداروينية الاجتماعية، وحمل رايتها وعبر عنها في المؤسسة السياسية إضافة إلى سالسبري وكرومر. لم تعد الإمبريالية بالنسبة لهم مذهباً سياسياً حول فرص الحكم، بل رؤية أيديولوجية كاملة للحياة والتاريخ المستقبل. ولان مسألة الاستيطان، ونشر العرق الأوروبي في أركان الأرض الأربع، ضمن عملية الصراع لدفع الأعراق الأخرى، كانت إحدى أدوات الإمبريالية الكبرى، فان تشامبرلين في لحظة تبنيه لهرتزل وجد في اليهود كتله من الحضارة الأوروبية على استعداد لان تحتل بقعة فارغة من أرض الإمبراطورية وكانت صهيونية تشامبرلين إمبريالية بحتة، بدون دوافع دينية خاصة. بل إن المعروف عنه أنه عارض تدفق يهود روسيا ورومانيا على انجلترا عقب مذابح سنة ١٨٨١(٢).

مات هرتزل واستقال تشامبرلين من منصبه الوزاري في أوقات متقاربة من نهاية سنة ١٩٠٣. ولفترة قصيرة من الزمن، بدا وكأن الحركة الصهيونية اليهودية تواجه الحائط، فقد فشل مشروعاً العريش وشرق افريقيا، ومات زعيم الحركة ومؤسسها الذي رأى فيه نشطاء الحركة نبياً جديداً للشعب اليهودي. ولم تكن هناك شخصية يهودية صهيونية أخرى تتمتع بقدراته وعلاقاته الدولية الواسعة، مما جعل التحرك الصهيوني اليهودي يصاب بمرحلة من الهدوء والترقب على مستوى علاقاته الدولية.

لكن الأمور لم تستمر طويلاً على هذا المنوال؛ إذ أن لقاء هرتزل بتشامبرلين ودخول الحركة الصهيونية اليهودية إلى بريطانيا؛ جعل مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين يقف على قواعد قوية، لأن فئة من اليهود الصهاينة دخلت بريطانيا، وبالتالي حدث لقاء حقيقي وفعلي بين الطموحات الإمبريالية والتوجه اليهودي الصهيوني، فقد كان المدافعون عن وجهة النظر الصهيونية ينتشرون في دوائر الحكومة البريطانية، حتى أن

---

(1) איאלון, עאמוס: הרצל, ע 398.

(2) Amery, Julian: op. cit., Vol.4, P.

اللورد كتشنر Lord Kitchener الذي سرعان ما تولى مسؤولية وزارة الحرب نفذ صبره من سياسة الانتظار تجاه الدولة العثمانية وأصبح يدعو صراحة لاحتلال فلسطين فوراً، لتأمينها كجبهة أمامية للموقع البريطاني في مصر وكجسر إلى الشرق(١).

وبرز في هذه المرحلة جيمس بلفور (١٨٤٨-١٩٣٠) James Arthur Balfour السياسي البريطاني الذي شغل منصب وزير الخارجية ورئيس الوزراء في مطلع القرن العشرين(٢). كان بلفور قد تلقى تعليماً دينياً من أمه في طفولته، وتشبع بتعاليم العهد القديم، خصوصاً في تفسيراتها الحرفية البروتستانتية. ورؤية بلفور لليهود متأثرة بالرؤية الألفية الاسترجاعية التي تنظر لليهود باعتبارهم شعب الله المختار ووسيلة التعجيل بالخلاص، وهذه الرؤية المستندة إلى المفاهيم الدينية، تم علمنتها فتحول اليهود إلى شعب منبوذ يجب إخراجه من بريطانيا واستخدامه في المشروع الاستعماري(٣).

ويتجلى هذا المزيج من الكره والإعجاب من جانب بلفور في تلك المقدمة التي كتبها لمؤلف سوكولوف "تاريخ الصهيونية" حيث يبدي معارضة " لفكرة المستوطن البوذي أو المستوطن المسيحي، ولكنه يقبل فكرة المستوطن اليهودي لأن العرق والدين والوطن أمور مترابطة بالنسبة لليهود، كما أن ولاءهم لعرقهم ودينهم أعمق بكثير من ولائهم للدولة التي يعيشون فيها إن هذا الشعب يتميز أعضاؤه بالنشاط والحركية، ولذا فقد حققوا نجاحاً باهراً في المجتمع. لكن هذا الشعب أيضاً هو جماعة أجنبية معادية، تؤمن بدين هو محل كره متوارث من المحيطين بها. أدى وجودها في الحضارة الغربية إلى بؤس وشقاء استمرا دهراً من الزمن، ولأن تلك الحضارة لا تستطيع طرد أو استيعاب هذه الجماعة فهم يتسببون في كوارث تحيق بإنجلترا"(٤).

كان بلفور يعتقد أنه ليس من مصلحة أي بلد أن يكون فيه يهود مهما بلغت وطنيتهم وانغماسهم في الحياة القومية، وانطلاقاً من كل هذا فقد تبنى قانون الغرباء الذي صدر بين

---

(1) سليم، محمد عبد الرؤوف: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٩١٤-١٩١٨، ص٢٢٦.

(2) Britannica, vol. 1, p.831.

(3) سليم، محمد عبد الرؤوف: م. س. ذ.، ص٢٢٧.

(4) Nahum, Sokolow: op. cit., Vol.1, P. L.

عامي ١٩٠٣-١٩٠٥م[١]، والذي كان يهدف لوضع حد لدخول يهود أوروبا الـشرقية إلـى إنجلترا. وقد أدى موقفه هذا إلى الهجوم عليه في خطابات وبيانـات المـؤتمر الـصهيوني السابع سنة ١٩٠٥، حيث وصفت تصريحاته بأنها معادية للشعب اليهودي بأسـره[٢]. وقـد يبدو الأمر لأول وهلة وكأنه نوع من التناقض ، ولكن أفكار بلفور تعبر عـن رغبـة فـي التخلص من اليهود واستخدامهم كوسيلة لخدمة الحضارة الغربية، وذلك من خلال نقل اليهود خارج أوروبا وتوظيفهم في خدمة الحضارة الغربية، لأنه لا يمكن حل مشكلتهم من خـلال الاندماج في المجتمعات الغربية.

وشهدت هذه المرحلة انتقال الزعيم صهيوني، والعـالم الكيميـائي حـاييم وايزمـان (١٨٦٤-١٩٥٢)Chaim Weizmann للعيش في بريطانيا. وهو من أصل روسي، وكـان أبوه تاجر أخشاب من مؤيدي حركة الاستنارة اليهودية، ومع هذا، فقد تلقى وايزمان تعليمـاً دينياً تقليدياً حتى سن الحادية عشرة، فدرس العهد القديم والنحو العبري والتاريخ اليهـودي، ولكنه تلقى بعد ذلك تعليماً علمانياً. بعد حصوله على الدكتوراه من ألمانيا سنة ١٨٩٩، قـام وايزمان بالتدريس في سويسرا ١٩٠١ ثم في المانيا ١٩٠٤. وكان معجباً بآحاد هعام وتـأثر بافكاره[٣].

كان من أوائل المفكرين والزعماء الصهاينة الذين أدركوا عبث الجهـود الـصهيونية الذاتية التسللية وحتمية الاعتماد على الدعم الإمبريالي لوضع المـشروع الـصهيوني فـي موضع التنفيذ. وكان مدركاً تماماً علمانية الحضارة الغربية ونفعيتها، وبالتالي فقـد أدرك أن حل المسألة لا يتم من خلال تلاقي الأحلام اليهودية والأحلام المسيحية؛ وإنما عبـر تلاقـي مصالح الإمبريالية والصهيونية، فالدولة الصهيونية تحتاج إلى الدعم الإمبريـالي، وانجلتـرا

---

(1) Vital, David: Zionism the Formative, P.136.

(2) Tuchman, Barbara: op. cit., P. 297.

(3) Weizmann, Chaim: Trial and Error, pp.85-90.

تحتاج إلى قاعدة، وبما أن الدولة اليهودية قاعدة رخيصة، على حد قــول وايزمـــان، فـــلا تستطيع انجلترا أن تجد صفقة أفضل منها[١].

غادر وايزمان سويسرا إلى انجلترا سنة ١٩٠٤ وعين في جامعة مانشـــستر، ويقـــول وايزمان في مذكراته "لقد اخترت إنجلترا لعدة أسباب منها أن دخلي من براءة اختراعاتي بدأ يتلاشى، والفرص أمامي في سويسرا ضعيفة، إضافة إلى أنني لم أكن أعرف الفرنسية جيداً وباريس لم تجذبني، وألمانيا كانت خارج حساباتي. أما إنجلترا فقد لاحظت أنها البلـــد التـــي يستطيع فيها اليهودي أن يعيش بدون عوائق كما أن نظرتي الصهيونية كانت تجعلني أعتقـــد أن انجلترا هي التي ستتبنى قضية الشعب اليهودي"[٢].

ألقى وايزمان خطبة سنة ١٩٠٧ في المؤتمر الصهيوني الثامن اقترح فيها تبنـــي مـــا سماه " الصهيونية التوفيقية" التي تجمع بين التوجه السياسي الدبلوماسي من خلال التنـــسيق مع الدول الاستعمارية للحصول على دعمها لاستيطان فلسطين، والجهد الاستيطاني العملي. وقد أصبحت الصهيونية التوفيقية منذ ذلك الوقت الإطار الذي تحركت من خلالـــه الحركـــة الصهيونية. وبعد نهاية المؤتمر قام وايزمان بأول زيارة لفلسطين[٣].

وشهدت هذه المرحلة استقرار الكاتب والمفكر اليهـــودي آحـــاد هعـــام[٤] (١٨٥٦-١٩٢٧) Ahad Haam في بريطانيا بـــدءاً مـــن ســـنة ١٩٠٧[٥]. ويُعتبـــر أول مؤســـس للصهيونية الثقافية والروحية، بمعنى أن حل المشكلة اليهودية لا يتم إلا من خـــلال الحفـــاظ على الطابع الثقافي والروحي للشعب اليهودي، وتحقيق ذلك يكون بإيجـــاد مركـــز روحـــي ثقافي في فلسطين[٦]. ورغم ذلك فقد حضر آحاد هعام المـــؤتمر الـــصهيوني الأول وأبلـــغ

---

(1) ריינהרץ, יהודה: חיים וייצמן עיצובו של מנהיג ציוני לפני מלחמת העולם הראשונה, 262-265.

(2) Weizmann, Chaim: op. cit., P. 93.

(3)Tuchman, Barbara: op. cit., P. 331.

(4) كلمة آحاد هعام تعني واحد من الشعب، واسمه الأصلي آشر تسفي جنسبرج Asher Zvi Ginsbirg محمود، أمين عبد الله: الصهيونية فكرة ودولة في كتابات آحاد هعام، مؤتة للبحوث والدراسات، م٢، عدد٢، ص٧٠، ٧١.

(5) סימון, אריה (עורך): אגרות אחד העם, חלק ד, ע' 96.

(6) صايغ، أنيس (وآخرون): م. س. ذ.، ص١٤١.

هرتزل بموافقته على الحضور من خلال رسالة أرسلها إليه(١). ودعا إلى العمل في فلسطين ببطء وعناية فائقة. ولم يمانع أحاد هعام من بقاء اليهود في أوطانهم الأصلية كمواطنين مخلصين موالين لحكوماتهم مع الحفاظ على روحهم اليهودية. وطالب القادرين على الهجرة الذهاب إلى فلسطين لينهلوا من الينابيع الأصلية للروح والثقافة اليهودية هناك. وكان أحاد هعام قد انضم إلى حركة أحباء صهيون سنة ١٨٨٦، لكنه ما لبث أن انتقدها في مقال بعنوان "ليس هذا هو الطريق" انشق عنها وأسس جماعة تُعرف باسم "بني موسى" عمل من خلالها على ترسيخ أفكاره حول الصهيونية الثقافية والروحية(٢).

واعترض آحاد هعام على الصهيونية الدبلوماسية التي تبناها هرتزل ونورداو لأنها في نظره لا تركز على الهوية اليهودية رغم أنها تدعي ذلك. وأوضح آحاد هعام أن البرنامج الصهيوني غير عملي لأن الأهمية الاستراتيجية والدينية للمكان ستجعله محط أنظار القوى الكبرى، وكنتيجة لذلك ستتحول دولة اليهود إلى كرة تتقاذفها الدول الكبرى. هذا وقد أثّر آحاد هعام في مجموعة من المثقفين اليهود الصهاينة في الفترة بين ١٩٠١ و ١٩٠٣ انشقت عن المنظمة الصهيونية وأطلقت على نفسها "العصبة الديمقراطية"، ويعود سبب انشقاقها إلى الاعتراض على الأسلوب الفردي الذي يدير به هرتزل المنظمة، إضافة إلى عدم تركيز هرتزل والمنظمة على القضايا الثقافية اليهودية(٣).

---

(1) סימון، אריה (עורך): אגרות אחד העם، חלק א، ע' 246.

(2) حلاق، حسان: م. س. ذ.، ص٤١..

(3) صايغ، أنيس: م. س. ذ.، ص١٤١.

## المبحث الثالث

## الحرب العالمية الأولى وإصدار وعد بلفور

لم يكن الصهاينة اليهود في إنجلترا يتوقعون اندلاع الحرب العالمية الأولى، والدليل على ذلك أن هذه الحرب نشبت في وقت كان وايزمان قد سافر فيه إلى سويسرا، وعندما علم بخبر اندلاعها قطع رحلته وعاد إلى انجلترا. وفي هذه الأثناء بدأت النخبة السياسية البريطانية تولي اهتماماً لتجديد التنسيق مع الصهاينة اليهود؛ حيث قام تشارلز سكوت[١] (١٨٤٦-١٩٣٢) Charles Scott محرر المانشستر غارديان بترتيب لقاء بين وايزمان و بعض الشخصيات الإنجليزية المهمة، من بينهم لويد جورج Lloyd George، وهربرت صموئيل[٢](١٨٧٠-١٩٣٦) Herbert Samuel الذي كان قد أعد مذكرة بمبادرة منه لإقامة دولة يهودية في فلسطين بعد تقسيم تركيا. ولكن هيربرت أسكويث (١٨٥٢- ) Herbert Asquith رئيس الوزراء البريطاني رفض المذكرة الأمر الذي وضع حداً لكل الجهود الصهيونية، لكن أسكويث استقال[٣]، وأصبح لويد جورج رئيساً للوزراء، وكان من قبل وزيراً للامدادات، وكان وايزمان قد ترك انطباعاً جيداً عنده باكتشافه المادة الكيميائية المستخدمة في صناعة المتفجرات "الاسيتون"[٤]، إضافة إلى أنه كان على علاقة جيدة مع هرتزل كما تقدم في المبحث الثاني.

---

(1) صهيوني غير يهودي وصحفي بريطاني، وُلد في اسكتلندا، وكان يمتلك صحيفة المانشستر غارديان ويعمل رئيساً لتحريرها، وكان عضواً ليبرالياً في البرلمان البريطاني (١٨٩٥-١٩٠٦).
المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٦، ص١٦٩.

(2)سياسي بريطاني يهودي، وأول مندوب سامي بريطاني في فلسطين. ولد لعائلة يهودية أرثوذكسية تعمل بتجارة الذهب والأعمال المالية (كان أبوه شريكاً في شركة صموئيل ومونتاجو). وقد تلقى تعليمه في جامعة أكسفورد، وانضم إلى الحزب الليبرالي ورشح نفسه للإنتخابات ونجح سنة ١٩٠٢م. وتدرج صمويل في عدد من الوظائف إلى أن أصبح وزيراً في الوزارة البريطانية، وكان بذلك أول إنجليزي يهودي يشغل هذا المنصب.

Britannica, vol. 10, p. 382.

(3) Bigham, Clive: op. cit., P. 336.

(4) Tuchman, Barbara: op. cit., p332.

وكان بلفور وزير الخارجية وقد سبقت الإشارة إلى توجهاته الصهيونية في المبحث السابق، كما أن عدداً كبيراً من المؤثرين في القرار البريطاني، مثل سير مارك سايكس Mark Sykes ١٨٧٩-١٩١٩ ، وهو دبلوماسي بريطاني عمل في الجيش البريطاني بعض الوقت في جنوب افريقيا ١٩٠٢، وفي سوريا والعراق، ووعين ملحقاً فخرياً للسفارة البريطانية في استانبول. وعين بسبب خبرته الواسعة في الشرق الأوسط مساعداً لوزارة الحرب البريطانية، وكانت وظيفته تزويد مجلس الوزراء بالمعلومات والمشورة حول شؤون الشرق الأوسط[١]. ولم يكن سايكس من صانعي القرار إلا انه كان القوة المحركة للسياسة البريطانية الخاصة بفلسطين التي أدت إلى إصدار وعد بلفور ثم الانتداب البريطاني على فلسطين. ومما تجدر ملاحظته أن سايكس كان كاثوليكياً على عكس الغالبية الساحقة من الصهاينة غير المسيحيين الذين يأتون من أوساط بروتستانتيه، وهنا يظهر أن الأبعاد الاستعمارية أضحت أكثر تأثيراً من غيرها[٢].

ويأتي تأييد هؤلاء الساسة للمشروع الصهيوني كمحاولة لتقليص النفوذ الفرنسي في الشام، بمعنى آخر فإن الأجواء العامة في بريطانيا كانت مهيئة لصدور وعد بلفور قبل وصول وايزمان وبدون أن يبذل أي جهد. ورغم ذلك فإن معارضة اليهود الإنجليز، وخصوصا معارضة إدوين مونتاجو Edwin Montagu وكلود مونتفيوري Claude Montefiore، جعلت وايزمان يشعر بالإحباط لدرجة أنه فكر في الاستقالة من اتحاد الصهاينة الإنجليز، ولكن آحاد هعام نصحه بألا يفعل ذلك وذكّره بأنه لم يعين من قبل أحد، ولذا فلا يمكنه تقديم استقالته لأحد، وكان وايزمان قد قطع علاقته بالمكتب المركزي للمنظمة الصهيونية قبيل الحرب العالمية الأولى[٣]. ورغم ذلك فإن الصهاينة اليهود يصرون على أن جهود وايزمان هي العامل المحوري في صدور وعد بلفور ويعتبرون أن صدور وعد بلفور هو الإنجاز الأهم لوايزمان[٤].

---

(1) Cohen, Stuart: op. cit., P. 222.

(2) Ibid., P. 223.

(3) جريس، صبري: م. س. ذ.، ج١، ص٢٧٤.

(4) Fyvel, T: Weizmann and The Balfour Declaration, p. 167.

لم يكن حال قادة المنظمة الصهيونية التي تتخذ من العاصمة الألمانية برلين أفضل من حال النشطاء الصهاينة اليهود في بريطانيا، فقد تفاجئوا هم أيضاً باندلاع الحرب العالمية الأولى ووجدوا أنفسهم أمام مشاكل حرجة كان عليهم مجابهتها، فمن المعروف أن الحرب العالمية الأولى قامت لأسباب أوروبية محضة(١)، ولم يكن لليهود أو للمنظمة الصهيونية أي علاقة، لا من قريب ولا من بعيد، بهذه الأسباب. لكن كان من الطبيعي أن تتأثر المنظمة الصهيونية ونشاطاتها بهذه الحرب التي انطلقت شرارتها من البلقان، ثم امتد لهيبها لكي يطال أرجاء واسعة من هذا الكون الرحيب(٢). كانت رئاسة المنظمة الصهيونية عند نشوب الحرب في برلين، مما سهل عليها خصوصاً بعد أن دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، في مساعيها للحفاظ على الأقل، على الوجود اليهودي في فلسطين وإرسال المساعدات الاقتصادية لليهود في البلد بواسطة استغلال النفوذ الألماني لدى تركيا الحليفة(٣).

وكانت ألمانيا من ناحية ثانية في حالة حرب مع روسيا، حيث تعيش أكثرية اليهود والصهيونيين، الذين انقطعت اتصالاتهم بقيادتهم مع نشوب الحرب وكانت القيادة الصهيونية ملزمة بالتصرف بحذر خاصة في تعاملها مع ألمانيا، خشية من أن يؤدي أي موقف من جهتها، قد تعتبره روسيا غير ودي تجاهها إلى تشديد سياسة الاضطهاد ضد اليهود، التي كانت متبعة في روسيا أساساً(٤).

---

(1) انظر: أبو علية وياغي: م. س. ذ.، ص٣٧١-٣٧٥.

(2) بدأت الحرب العالمية الأولى في أواخر تموز ١٩١٤، على إثر إقدام شاب صربي بقتل ولي عهد النمسا في سرايفو،، وكانت الأطراف الرئيسة المشاركة في الحرب هي روسيا وفرنسا من جهة، أما الجهة الأخرى فتتمثل في ألمانيا والنمسا، ثم انضمت بريطانيا إلى جانب روسيا وفرنسا (الحلفاء). وبعد ثلاثة أشهر انضمت إليها تركيا، بعد أن أعلنت كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا الحرب عليها، لأن تركيا كانت حليفة ألمانيا. وانضمت ايطاليا للحرب سنة ١٩١٥ إلى جانب الحلفاء. أما الولايات المتحدة الأمريكية فلم تنضم للحرب إلا في نيسان ١٩١٧. وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء سنة ١٩١٨م. لمزيد من التفاصيل عن الحرب العالمية وأسبابها انظر:

نوار، عبد العزيز و جمال الدين، محمود: التاريخ الأوروبي من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص ٤٣٣-٤٥٠.

(3)גרינבוים: התנועה הציונית، חלק 4، ע' ١٤.

(4)גרינבוים: התנועה הציונית، חלק 4، ע' ١٥.

وفي هذه الأجواء وجدت قيادة المنظمة الصهيونية نفسها مجبرة على اتخاذ موقـف محايد ، علناً على الأقل، حتى لا يؤثر التحيز لهذا الفريق أو ذاك سلباً على أي مجموعة من اليهود المنتشرة في أوروبا. وكذلك حرصت القيادة الصهيونية على ألاَّ تضع بيضها كله في سلة هذا الفريق أو ذاك من الدول المتصارعة، إذ لم يكن واضحاً عند نشوب الحـرب مـن سيكون المنتصر[١].

يتضح المأزق الذي عاشته المنظمة الصهيونية في تلك الفترة من خـلال اسـتعراض أحوال قيادتها التي كانت تضم عند نشوب الحرب ستة أشـخاص، اثنـان مـنهم –رئـيس المنظمة البروفيسور أوتو واربرج[٢] (١٨٧١-١٩٣٧) Otto Warburg، وأرثور هنتكة – من صهيونيي ألمانيا، والأربعة الآخرون هم فكتـور يعقوبـسون ونـاحوم سـوكولوف[٣] (١٨٥٩-١٩٣٦) Nahum Socolow، يحيئـيـل تـشـلينوف (١٨٦٣-١٩١٨) Jehiel Tchelenov وشماريا ليفين (١٨٦٧-١٩٣٥) Shmarya Levin –من صهيونيي روسـيا، ولم يكن باستطاعة الأعضاء الأربعة من الصهيونيين الروس بالطبع، الحضور إلى بـرلين بعد نشوب الحرب للاشتراك في جلسات اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية، ولهذا تقرر نقل رئاسة المنظمة الصهيونية في كانون الأول ديسمبر سنة ١٩١٤م، إلـى مدينـة كوبنهـاجن عاصمة الدانمرك المحايدة، بحيث يسهل إجراء الاتصالات من هناك مع الـصهيونيين فـي

---

(1) גרינבוים, יצחק: התנועה הציונית, חלק 4, ע 13

(2) زعيم صهيوني ألماني الأصل من أسرة مندمجة، وهو ثالث رؤساء المنظمة الصهيونية حيث انتخب سنة ١٩١١ لهذا المنصب. تلقى تعليماً علمانيا كاملاً، وحصل على درجة الدكتوراة في علم النبات من برلين سنة ١٨٩٢.

المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج ٦، ص٢٤٨.

(3) صحفي وكاتب بولندي، وأحد قادة الحركة الصهيونية والمؤرخ الرسمي لها. تلقى تعليماً تقليدياً، وأبدى اهتماماً بقضية إحياء اللغة العبرية. كان في البداية رافضاً للصهيونية فهاجم ليوبنسكر وكذلك كتاب هرتزل دولة اليهود، لكنه حضر المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧ وبعدها أصبح من نشطاء الحركة الصهيونية.

ن. م.، ج٦، ص٢٤٤.

كافة أنحاء العالم، بينما بقي واربرج وهنتكه في برلين، وكانت تعقد في كوبنهاجن لقاءات بين الزعماء الصهيونيين من حين لآخر[١].

قررت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية إيفاد أحد أعضائها وهو يحيئيل تشلينوف إلى بريطانيا للقيام بمهام إعلامية، فطالب بأن يرافقه سوكولوف لمساعدته، وفي بريطانيا انضم الاثنان إلى وايزمان وأحاد هعام، ولم تقتصر نشاطاتهم على الجوانب الإعلامية فقد قاموا بدور دبلوماسي نشط، ربما لم يكونوا يتوقعون القيام به، وشكلوا نواة لمجموعة صهيونية نشطت في التنسيق مع الحكومة البريطانية بشأن إقامة دولة لليهود في فلسطين[٢].

وأرسلت اللجنة أيضاً شماريا ليفين إلى الولايات المتحدة للقيام بمهمة مماثلة، فاستطاع كسب ثقة أحد الزعماء اليهود البارزين هناك، لويس برانديس Lewis Brandeis، وأقاما لجنة طوارئ صهيونية[٣]. وكان برانديس في الوقت نفسه صديقاً ومستشاراً للرئيس الأمريكي ويلسون Wilson الذي عينه قاضياً في المحكمة العليا الأمريكية، وحتى ذلك الوقت كانت قد أقيمت بعض التنظيمات الصهيونية بين اليهود في الولايات المتحدة التي جاء أعضاؤها مع المهاجرين اليهود من روسيا[٤].

أعلنت المنظمة الصهيونية من كوبنهاجن الالتزام بالحياد تجاه الدول المشتركة في الحرب، وقررت لجنتها التنفيذية تكليف رئاسة المنظمة العمل على تأمين "الحقوق السياسية" لليهود في البلدان التي لا يتمتعون فيها بتلك الحقوق، بالإضافة إلى العمل على تنفيذ برنامج بازل، ومنح حقوق لليهود في فلسطين، وإجراء الاتصالات الضرورية مع الدول المعنية،

---

(1) גרינבוים: התנועה הציונית, חלק 4, ע' 16.

(2) سليم، محمد عبد الرؤوف: م. س. ذ.،

(3) حصو، توفيق يوسف: الصهيونية الأمريكية وفلسطين حتى الحرب العالمية الأولى، المستقبل العربي، عدد١٠٤، ص١٤٢.

(4) جريس، صبري: م. س. ذ.، ج١،ص٢٧٣.

حتى وإن كانت المشتركة في الحرب، وناشدت اللجنة الصهيونية أيضاً اليهود في كافة أنحاء العالم التبرع بالمال والمعدات لمساعدة المستوطنين اليهود في فلسطين(١).

بدأت بريطانيا تستقطب النشاط الصهيوني اليهودي في تلك الفترة، وأصبح وايزمان ورفاقه، يمثلون مركز الثقل الأساسي في تحركات الصهاينة اليهود، لأسباب عديدة منها ما يتعلق بأوضاع الحرب والقيود التي فرضتها على تحركات ومواقف قيادة المنظمة الصهيونية، ونشاط وايزمن وعلاقاته التي وفرها له أصدقاؤه الإنجليز أمثال تشارلز سكوت، وهربرت سايدبوثام. إضافة لذلك، وهو الأهم في هذا المجال، وهو المناخ العام في بريطانيا، حيث كانت هي الدولة الوحيدة، تقريباً، التي تداول قادتها مع قادة المنظمة الصهيونية بشأن مشاريع استيطان اليهود في فلسطين والعريش وشرق أفريقيا وغيرها، وكانت تأتي المبادرة غالباً من طرف المسؤولين البريطانيين، ناهيك عن الروح الصهيونية التي تشبعت بها البيئة الثقافية في بريطانيا، والتي تعرضنا لها في الفصل الثالث من هذا البحث(٢).

كان وايزمان من المؤمنين أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي قد تساعد الصهيونية على تحقيق أهدافها، وما أن سنحت الفرصة له للقاء مسؤلين بريطانيين حتى استغلها. ففي كانون الأول ١٩١٤م اجتمع مع تشارلز سكوت بوزيرين بريطانيين، لويد جورج وهربرت صموئيل ،وهو أول يهودي يدخل الحكومة البريطانية، للبحث في مستقبل فلسطين(٣).

وفي شهر يناير سنة ١٩١٥م قدم هربرت صموئيل مذكرة إلى رئيس وزراء بريطانيا أسكويث، وأتبعها بمذكرة مماثلة وزعها على باقي الوزراء في آذار من نفس العام، مقترحاً إقامة محمية بريطانية في فلسطين، يسمح لليهود بالهجرة إليها لإقامة مركز ثقافي وروحي لليهودية، مما سيكون له نتائج حميدة على موقف اليهود في العالم من بريطانيا، واقترح صموئيل أيضاً منح اليهود الذين يفدون إلى البلد حكماً محلياً، قد يتطور مع الوقت

(1) גרינבוים, יצחק: התנועה הציונית, חלק 4, ע' 16.

(2)גרינבוים, יצחק: התנועה הציונית, חלק 4, ע' 17.

(3) Cohen, Stuart: op. cit., P.224.

إلى دولة تكون موالية لبريطانيا[١]. وحظيت هذه المذكرة بتأييد لويد جورج الذي كان يخشى وقوع الأماكن المقدسة في قبضة فرنسا، ولكن معارضة رئيس الحكومة أسكويث للمشروع أدت إلى إسقاطه[٢]. ولهذا تأجل نقاش الموضوع، ولم يُفتح من جديد إلا مع صعود حكومة لويد جورج[٣]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المؤرخين يعتبرون أن رفض حكومة أسكويث كما لو أنها شكلت خيبة أمل لقادة الحركة الصهيونية اليهود، وفي هذا الإطار يقول صبري جريس: "وكان على الحركة الصهيونية الانتظار حتى تتطابق أطماعهم في فلسطين مع مخططات الدول الغربية في المنطقة التي أخذت في التبلور، وقد تم ذلك بعد مضي فترة غير قصيرة من الوقت، حدثت خلالها تغييرات سياسية مهمة في موقف الحلفاء من تركيا"[٤].

تمكنت بريطانيا سنة ١٨٨٢ من احتلال مصر التي كانت خاضعة رسمياً للحكم العثماني، بينما كانت فرنسا تحاول الحصول على مناطق نفوذ مماثلة لها في سوريا الكبرى، لهذا كانت السياسة البريطانية تتجه حتى نشوب الحرب إلى المحافظة على نفوذ بريطانيا في مصر لتأمين خطوط المواصلات البريطانية مع الهند عن طريق قناة السويس من جهة، ومنع فرنسا وباقي الدول الأوروبية من التغلغل في مناطق الإمبراطورية العثمانية، وبالتالي المحافظة على الحكم العثماني في المشرق العربي، من جهة أخرى. ولكن هذا الوضع تغير

---

(1) انظر نص المذكرة: أيوب، سمير: وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ج٢، ص٩-١٥.

(2) Weizmann, Chaim: op. cit., p. 193.

(3)هو رئيس حكومة الليبراليين إبان الحرب العالمية الأولى ومن المتحمسين للمشروع الصهيوني.يقول لويد جورج: نشأت في مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادي، وبمقدوري أن أذكر أسماء جميع ملوك إسرائيل ولكني أشك إن كنت أستطيع ذكر أسماء بضعة ملوك من ملوك إنجلترا، أو مثل ذلك العدد من ملوك ويلز. لقد أشربنا بتاريخ جنسكم في أعظم أيام مجده عندما أقام أدبه العظيم الذي سيتردد صداه حتى آخر أيام هذا العالم القديم، والذي سيؤثر في الأخلاق الإنسانية ويشكلها، وسيدعم ويلهم الحافز الإنساني لا لليهود فحسب، بل للمسيحيين كذلك. لقد استوعبناه وجعلناه جزءاً من أفضل ما في الأخلاق المسيحية.

Britannica, vol. 7, p. 424.

Sharif, Regina: op. cit.,p75.

(4) جريس، صبري: م. س. ذ.، ج١، ص٢٧٤.

بعد أن زالت تلك الصعوبات، إثر دخول بريطانيا وفرنسا وروسيا الحرب ضد تركيا، ثم انضمام إيطاليا إليهم في مرحلة لاحقة، مما مكن هذه الدول من انتهاج سياسة موحدة تجاه تركيا والبلدان الخاضعة لسيطرتها(١).

وبدأت دول الحلفاء الثلاث ، بريطانيا وفرنسا وروسيا، تُجري مفاوضات فيما بينها لتقرير مصير المناطق الخاضعة للحكم التركي، خصوصاً في المشرق العربي في منتصف آذار مارس ١٩١٦م عندما اتجه ممثل عن بريطانياً، مارك سايكس، وآخر عن فرنسا، جورج بيكو، إلى روسيا لإجراء محادثات مع سلطاتها بهذا الشأن. وقبل ذلك كانت قد جرت مفاوضات بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون، المفوض البريطاني في مصر، من خلال عشرة رسائل تبودلت بينهما، كتب الأولى منها الشريف حسين بتاريخ ١٩١٥/٧/١٤م، والأخيرة كتبها السير مكماهون بتاريخ ١٠/ ٣/ ١٩١٦م، وتم الاتفاق بين الطرفين بموجب هذه المراسلات على أن يعلن الشريف حسين الثورة ضد الأتراك ويشن الحرب عليهم إلى جانب الحلفاء، وهو ما تم فعلاً، شرط أن تقدم بريطانيا المساعدة للعرب وتتعهد بالاعتراف باستقلال المشرق العربي بعد انتهاء الحرب، وعلى أن تحظى بريطانيا بنفوذ اقتصادي وسياسي في المنطقة بعد استقلالها(٢).

لقد كان واضحاً في مراسلات حسين مكماهون أن هناك تعهد بريطاني باستقلال العرب في المشرق، لكن ذلك لم يمنع بريطانيا من الدخول في مفاوضات مع فرنسا وروسيا حول مصير تلك المناطق استمرت نحو شهرين، وانتهت في أيار سنة ١٩١٦م بتوقيع اتفاقية عرفت باسم اتفاقية "سايكس بيكو" قسمت بموجبها تلك البلدان إلى مناطق نفوذ، بحيث تسيطر روسيا على استانبول ومضيق البسفور والأراضي المحيطة بهما، والمناطق الواقعة إلى جنوب البحر الأسود وغير مأهولة بالعرب لتكون منطقة نفوذ لروسيا، التي منحت بريطانيا وفرنسا الحرية في المناطق العربية شرط المحافظة على الحقوق الدينية لطائفة

---

(1) نوار، عبد العزيز وجمال الدين، محمود: التاريخ الأوروبي الحديث،٤٠١.

(2) انظر نص المراسلات بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون:

ملف وثائق فلسطين، ج١، ص ١٦٩-١٨٦.

الروم الأرثوذكس في فلسطين[١]. وتضمن اتفاق سايكس بيكو أيضاً التي تنالها إنجلترا في المنطقة العربية وتتمثل في: ميناء حيفا وعكا، والاسكندرونة تكون ميناءً حراً لتجارة الامبراطورية البريطانية، أما فلسطين فتم الاتفاق على تشكيل إدارة دولية فيها. إضافة إلى إقامة دولة عربية في سوريا والعراق ويكون لفرنسا حق الأولوية في المشروعات التي تُقام في سوريا، ولإنجلترا حق مماثل في العراق[٢].

تمكنت بريطانيا في عهد حكومة أسكويث من استغلال تذمر العرب من السياسة التركية التعسفية ضدهم، وتوصلت إلى تفاهمات مع الشريف حسين تعهدت بمقتضاها بإقامة دولة عربية في مقابل أن يعلن العرب الثورة على الأتراك، وفي نفس الوقت تمكنت هذه الحكومة من توقيع اتفاقية سايكس بيكو المناقضة لها، وقد أدى هذا الأمر إلى تعقيد موقف الدول الغربية الكبرى من مصير المشرق العربي عامة وفلسطين خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، لأن كلاً من المراسلات والاتفاقية رغم التناقض فيما بينها تتعارض مبدئياً مع فكرة إنشاء كيان يهودي في فلسطين. لكن هذا الوضع تغير في الشهر الأخير من سنة ١٩١٦ عندما استقالت حكومة أسكويث البريطانية، وحلّت بدلاً منها حكومة أخرى ترأسها لويد جورج وعيّن بلفور وزيراً للخارجية[٣].

ويمكن القول أن هذا التغيير في الحكومة البريطانية قد أفسح المجال واسعاً أمام المشروع الصهيوني لكي يتبلور وتكتمل فصوله وذلك لأن لويد جورج كان من المؤيدين للمذكرتين اللتين تقدم بهما هربرت صموئيل إلى الحكومة البريطانية في النصف الأول من سنة ١٩١٥م بشأن الاحتفاظ بالسيطرة البريطانية على فلسطين بعد الحرب والسماح لليهود بالهجرة إليها. وازداد لويد جورج تمسكاً بهذا الرأي بعد توقيع اتفاقية سايكس بيكو، علّه

---

(1) انظر نص اتفاقية سايكس بيكو

أيوب، سمير: م. س. ذ.، ج٢، ص١٦-١٩.

(2) الخولي، حسن صبري: م. س. ذ.، ص١٧٨.

(3) Bigham, Clive: op. cit., P.340.

يستطيع التحرر من الالتزامات التي فرضتها بريطانيا على نفسها تجاه حلفائها، بموجب تلك الاتفاقية بشأن فلسطين، وإخضاع البلد مع انتهاء الحرب لسيطرة بريطانيا وحدها(١).

تعود علاقة لويد جورج بوايزمان إلى أوائل سنة ١٩١٦م عندما حدث نقص في نــوع من المتفجرات ، فاستدعى لويد جورج بصفته مسؤولاً عن التسليح، وايزمان، وذلك بتوصية من سكوت، محرر مانشستر جارديان، وكلفه بإيجــاد طريقــة لإنتــاج ذلــك النــوع مــن المتفجرات(٢). ويروي لويد جورج في مذكراته عن الحرب أنه شعر بتقدير عميق لوايزمان بعد نجاحه في مهمته، وإنتاج ذخائر كانت ضرورية للمجهود الحربي البريطاني، وأبلغه أنه سيطلب من السلطات المختصة مكافأة له، إلاّ أن وايزمان أخبره أنه لا يريد مكافأة لنفسه بل لشعبه(٣).

ويمكن الاستنتاج من كلام لويد جورج في مذكراته عن وايزمان أن وعد بلفور جاء إلى حد ما بمثابة مكافأة لوايزمان من قبل لويد جورج على الأقل بسبب الخدمات التي قدمها للمجهود الحربي البريطاني، وساعد على الإسراع في إجــراء تلــك الاتــصالات التحــرك العسكري البريطاني في الشرق الأوسط، إذ كانت القوات البريطانية مرابطــة فــي مــصر وتشن في ذلك الشهر ديسمبر سنة ١٩١٦م هجوم على القوات التركية في ســيناء وتتأهــب لغزو فلسطين. وفي مارس سنة ١٩١٧م هاجمت تلك القوات غزة لكنها دُحرت.

قدّمت مجموعة من الصهاينة اليهود برئاسة وايزمان في أكتوبر سنة ١٩١٦م مذكرة للحكومة البريطانية يشرحون فيها مخططاتهم بالنسبة لفلسطين طالبين الإعلان عــن البلــد وطناً قومياً لليهود يحق لهم الهجرة إليه من أي مكان في العالم، والتمتع فيه بحقوق سياســية قومية ومدنية كاملة. أما وسيلة ذلك فهي منح امتياز استيطان في البلــد لــشركة يهوديــة، والسماح لليهود الذين يفدون إلى هناك بإقامة حكم ذاتي والاعتراف باللغــة العبريــة كلغــة

---

(1) Ibid., P. 341.

(2) Weizmann, Chaim: op. cit., p. 220.

(3) George, Lloyd: War memories, vol. 2, p348.

رسمية[١]. وكانت هذه المذكرة هي الأساس الذي انطلق منه سايكس عندما أرسل في نهاية يناير سنة ١٩١٧م في طلب الزعيمين الصهيونيين وايزمان وسوكولوف، وأعلمهما أن بريطانيا تنظر بعين العطف إلى المساعي الصهيونية وتفتش عن طريقة لمساعدة هذه الحركة على تحقيق أهدافها، وأنه ينبغي إجراء مفاوضات بين الطرفين[٢].

بدأت مفاوضات رسمية بين الصهيونيين الموجودين في بريطانيا والحكومة البريطانية في اجتماع عقد في٧/٢/١٩١٧م، وحضر الاجتماع عن الجانب الصهيوني اللورد روتشيلدو وسوكولوف ووايزمان، بينما مثّل بريطانيا بصفته الخاصة فقط مارك سايكس عضو مجلس الحرب البريطاني، وخلال الاجتماع أعرب معظم الصهيونيين عن معارضتهم لإقامة أي حكم دولي في فلسطين، ورغبتهم في أن تحكم بريطانيا البلد وحدها، لأن اليهود على حد تعبير وايزمان في كل أنحاء العالم يثقون ببريطانيا، ويعلمون أن القانون والنظام سيسودان في ظل الحكم البريطاني، الذي لن يتدخل في النشاط الاستيطاني أو التطور الثقافي لليهود هناك، وذلك بعكس فرنسا التي تحاول فرض الروح الفرنسية في البلدان الخاضعة لحكمها، وأكد وايزمان في هذه الجلسة أن اليهود سيهاجرون إلى فلسطين لتأسيس أمة يهودية فيها ويكونون هناك يهوداً مائة بالمائة، لا عرباً ولا دروزاً ولا بريطانيين، وأن أي حكم في البلد لن يفرض أية قيود على الهجرة اليهودية إليه[٣].

أصر الصهاينة في لقائهم مع مارك سايكس على إقامة حكم بريطاني صرف في فلسطين دون إشراك أية قوة من الحلفاء فيه، وربما يحمل هذا التأكيد من قبل الصهاينة اليهود على فهم عميق لأهداف بريطانيا من وراء تأسيس كيان لليهود في فلسطين، ولهذا كسبوا ثقة سايكس في أول جولاتهم معه، وأوضح لهم سايكس أن فكرة فلسطين اليهودية تحظى بعطفه التام وأنه لا يتوقع صعوبات بسبب إصرار الصهيونيين على استعمال تعبير "القومية اليهودية" ولكن المشكلة بالنسبة لفلسطين تتعلق بالدول الكبرى وخصوصاً فرنسا،

---

(1) ملف وثائق فلسطين، ج١، ص٢٠٣.

(2)גרינבוים، יצחק: התנועה הציונית، חלק 4، ע' 179.

(3) גרינבוים، יצחק: התנועה הציונית، חלק 4، ע 180.

والتي تصر على الاستيلاء على سوريا ومن ضمنها فلسطين، وأنه (أي سايكس) لا يستطيع أن يفهم الفرنسيين لإصرارهم على موقفهم هذا (ولم يكن الصهاينة على علم بوجود اتفاقية سايكس بيكو، ولم يعلموا بها إلاّ في منتصف إبريل سنة ١٩١٧م(١)، وأخيراً اقترح سايكس على الزعماء الصهاينة بحث هذه المسألة مع الحكومة الفرنسية، ولم يفت سايكس تحذير الزعماء الصهاينة من الحركة القومية العربية في فلسطين والبلدان المجاورة لها التي قد تقاوم مخططاتهم، ونصحهم بمحاولة الوصول إلى اتفاق مع العرب، مما قد يسهل عملهم في فلسطين(٢).

ذهب سوكولوف إلى مقابلة بيكو، الذي كان موجوداً في العاصمة البريطانية بعد أن قدم سايكس الواحد منهما للآخر، واجتمع سوكولوف مع بيكو مرتين يومي ٨/٩/ ١٩١٧م وحاول في بداية تلك الاجتماعات جس نبض الحكومة الفرنسية لمعرفة موقفها من المشاريع الصهيونية وذلك بعد أن أبلغ بيكو أن الحركة الصهيونية تفضل أن تكون فلسطين تحت الحكم البريطاني فقط. فأجاب بيكو أن المسألة لا تقتصر على بريطانيا وفرنسا وإنما تشمل روسيا وإيطاليا (الحلفاء)، فرد سوكولوف أن روسيا غير معنية بما يحدث في فلسطين، أما إيطاليا ففيها أصدقاء للصهيونيين يستطيعون تدبير المسألة، ولهذا لم يبق إلا بريطانيا وفرنسا. وأجاب بيكو على ذلك معلناً أنه سيبذل كل ما في وسعه لشرح وجهة النظر الصهيونية للحكومة الفرنسية، ولكن على اليهود الموجودين في الدول المحايدة على الأخص أن يظهروا تعاطفهم مع دول الحلفاء، ثم يجب استطلاع وجهة نظر إيطاليا في المسألة، وعلى الصهاينة القيام بذلك. لكن وايزمان وسوكولوف قررا التريث بعد استشارة سايكس حتى يتضح الموقف الأمريكي، إذ كان برانديس وليفين يسعيان إلى حمل الرئيس ولسون على الإعلان عن تأييده للصهيونية(٣).

---

(1) Weizmann, Chaim: op. cit., p. 241.

(2) גרינבוים, יצחק: התנועה הציונית, חלק 4، ע 182.

(3) גרינבוים, יצחק: התנועה הציונית, חלק 4، ע 184.

وبناءً على طلب بيكو وإصرار سايكس على إمضاء هذا الطلب، سافر سوكولوف إلى روما في أوائل نيسان سنة ١٩١٧م واجتمع مع البابا بندكيت الخامس عشر في الفاتيكان وعرض عليه المشاريع الصهيونية فشدد البابا على المحافظة على الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين وأبدى رأيه في ضرورة عقد معاهدة دولية تضمن ذلك، ولما ألح سوكولوف على الحصول على "تأييد معنوي" من الفاتيكان لمشاريعه أجاب البابا: "آمل أن نكون جيراناً طيبين في فلسطين"، أما رئيس حكومة إيطاليا بوزلي فقد أبدى موافقته على المشروع وأكد أن حكومته "ستحاول أن تكون مفيدة للصهاينة"(١)، وفي نهاية حديثه أكد رئيس حكومة إيطاليا ضرورة المحافظة على المقدسات المسيحية في فلسطين بواسطة اتفاقية دولية تضمن ذلك، موضحاً أن إيطاليا ستشترك في المفاوضات مع الدول الأخرى وتؤيد الاقتراحات التي قدمها سوكولوف وستبلغ الحكومة الفرنسة موفقها هذا(٢).

وعندما رجع سوكولوف إلى باريس أطلع المسؤولين الفرنسيين على نتائج محادثاته مع البالبا والمسؤولين الإيطاليين، فقرر أولئك الإعلان عن موقفهم على شكل رسالة وجهها السكرتير الأول في وزارة الخارجية الفرنسية، كمبون إلى سوكولوف بتاريخ ١٩١٧/٦/٤م وجاء في هذا الرسالة التي كانت بمثابة أول تعهد رسمي يحظى به الصهاينة من إحدى دول الحلفاء أنه: "إذا كانت الظروف مناسبة، وإذا أصبح بالإمكان تحرير الأماكن المقدسة سيكون من العدل أن تؤيد دول الحلفاء بعث الشعب اليهودي في البلد الذي نفي منه قبل مئات السنين. إن الحكومة الفرنسية التي دخلت هذه الحرب لتدافع عن شعب هوجم ظلماً، وهي مستمرة فيها لتأمين انتصار العدل على القوة، لا تستطيع إلا أن تشعر بالعطف على طلباتكم، التي يتوقف نجاحها على انتصار الحلفاء. ويسعدني أنه باستطاعتي تقديم تأكيد ذلك"(٣).

بعد الاتصالات مع فرنسا وإيطاليا نشط وايزمان في بريطانيا ذاتها لكسب تأييد المسؤولين فيها فاجتمع في ١٩١٧/٣/٢٢م مرة أخرى بوزير الخارجية البريطاني بلفور.

---

(1) גרינבוים، יצחק: התנועה הציונית، חלק 4، ע 194

(2)גרינבוים، יצחק: התנועה הציונית، חלק 4، ע 194

(3) גרינבוים، יצחק: התנועה הציונית، חלק 4، ע 195

وكان وايزمان قد تعرف لأول مرة على بلفور سنة ١٩٠٦م عندما كان الأخير يقوم بجولة انتخابية في مانشستر ثم قابله مرة أخرى سنة١٩١٤م(١).

وخلال الاجتماع الأخير "كادت الدمعة تفر من عيني بلفور" عطفاً على مشاريع الصهيونية ودعوتها لتوطين اليهود في فلسطين كما عرضها له وايزمان، وذلك رغم أن بلفور كان رئيساً للحكومة البريطانية التي أصدرت قانون الأجانب سنة ١٩٠٥م بغية تحديد الهجرة اليهودية من روسيا ودول أوروبا الشرقية إلى بريطانيا (لكن تلك الحكومة نفسها كانت هي التي قدمت من ناحية ثانية، اقتراح أوغندا للمنظمة الصهيونية) وفي نيسان من السنة نفسها اجتمع وايزمان أيضاً برئيس الحكومة البريطانية، لويد جورج لحثه على الإسراع في اتخاذ موقف علني مؤيد للصهيونية(٢).

وكان بلفور قد سافر في أواخر إبريل سنة ١٩١٧م إلى الولايات المتحدة الأمريكية للبحث في تحسين علاقات حكومتها مع بريطانيا، وأثناء وجوده هناك التقى مرتين بالزعيم الصهيوني القاضي برانديس، وهو صديق الرئيس الأمريكي ولسون ومستشاره، الأولى حال وصول بلفور إلى الولايات المتحدة، والثانية في ١٠/ ١٩١٧/٥م، واستطاع برانديس خلال هذه الاجتماعات كسب ثقة بلفور والتأثير عليه، موحياً له أن استجابة بريطانيا لطلبات الصهيونيين ستحظى بتقدير وشكر اليهود في أمريكا، ومن بينهم برانديس نفسه، وفي المقابل سيبذل أولئك مساعيهم الحميدة لدى الحكومة الأمريكية لحملها على توثيق علاقاتها مع بريطانيا وتقديم المساعدات الاقتصادية لها، وهي المساعدات التي كانت بريطانيا بحاجة ماسة إليها، خصوصاً خلال مرحلة الحسم الأخيرة من الحرب العالمية الأولى التي بدأت آنذاك، واستطاع برانديس أيضاً التأثير على الرئيس الأمريكي ويلسون وحمله على إبداء تأييده لطلبات الصهيونيين أمام بلفور، وتمنياته على الحكومة البريطانية الاستجابة لها(٣).

وفي نفس الوقت الذي حث فيه ويلسون بلفور على تأييد المطالب الصهيونية كان

---

(1)גרינבוים, יצחק: התנועה הציונית, חלק 4, ע 196

(2) גרינבוים, יצחק: התנועה הציונית, חלק 4, ע 196

(3) سليم، محمد عبد الرؤوف: م. س. ذ.، ص٢٨٨.

ويلسون يسعى إلى إنهاء الحرب بعقد صلح مع دول المحور (ألمانيا وتركيا)، لكن فشل الصلح مع تركيا، وعاد بلفور من أمريكا[١].

وفي هذه الأثناء دخلت المفاوضات بين الزعماء الصهاينة اليهود والحكومة البريطانية حول إصدار تصريح رسمي وعلني يتبنى المطالب الصهيونية مرحلة متقدمة، وفي ١٩١٧/٧/١٨م قدم اللورد روتشيلد بالنيابة عن المجموعة الصهيونية إلى بلفور، بناءً على طلبه، مشروع قرار بهذا الشأن لعرضه على الحكومة طلب بموجبه من بريطانيا أن تعلن عن "قبول مبدأ الاعتراف بفلسطين وطناً قومياً للشعب اليهودي، و كذلك طالب مشروع القرار بمنح القومية اليهودية حق الحكم الذاتي في فلسطين وحرية هجرة اليهود إليها، وإقامة شركة استيطان يهودية لإعادة تأسيس البلد وتطويره اقتصادياً على أن توضع التفاصيل لتنفيذ ذلك مع ممثلي المنظمة الصهيونية[٢]. وفي نفس التاريخ قدم وايزمان رسالة مشابهة إلى مارك سايكس[٣].

وبينما كان الصهاينة اليهود يبذلون مساعيهم مع الحكومة البريطانية والرئيس الأمريكي من أجل تبني المشروع الصهيوني عبر تصريح علني تصدره الحكومة البريطانية التي كانت تتحين أفضل الفرص لإقامة كيان يهودي تحقيقاً لوعود العهد القديم وحماية لطريق التجارة، فقد كان زعماء اليهود المندمجين في إنجلترا يعيشون في عالم آخر، ويخشون من التأثيرات السلبية المحتملة من وراء إنشاء كيان قومي لليهود على أرض فلسطين، ونشأ عن هذا الموقف مصاعب أمام الحكومة البريطانية والصهاينة بسبب معارضة اليهود على صدور وعد لليهود بإقامة وطن قومي لهم، وقد حدث ذلك عندما قدم روتشيلد مشروع القرار الذي ينص على إقامة "وطن قومي لليهود" للحكومة البريطانية، حيث أوضح يهود بريطانيا أن اليهودية دين وليست شعباً، وكان لهؤلاء اليهود ممثل في مجلس الحرب البريطاني هو أدوين مونتاجو حاكم الهند الذي عارض بشدة طلبات

---

([1]) ن. م.، ص٢٨٩.

([2]) Weizmann, Chaim: op. cit., p. 356.

([3]) انظر نص الرسالة. أيوب، سمير: م. س. ذ.، ج٢، ص٢٤.

الصهيونية معلناً أنه "قد قضى حياته كلها في السعي للخروج من الجيتو ولا يريد العودة إليه ثانيةً"[١].

وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة من اليهود البريطانيين كانوا قد تقدموا في شهر شباط ١٩١٧ بمذكرة للحكومة البريطانية يهنئون بالانتصارات التي تحققت للحلفاء خاصة تقدم الجيش البريطاني نحو فلسطين "لما سترتب عليه من ازدهار الجالية اليهودية في فلسطين، ومنح اليهود الأمان والحرية والمساواة مع باقي السكان. ولكنا علمنا أن زعماء الصهيونية في هذه البلاد يريدون مشروعاً أكبر له صفة سياسية. وأن القصد هو الاعتراف المستعمرات اليهودية في فلسطين بالصفة القومية وعلى أساس سياسي... وهذا ينبثق من الرأي الصهيوني القائل بأن الجماعات اليهودية في العالم تؤلف قومية بلا وطن.. ونحن نحتج بكل قوة ضد هذه النظرية"[٢].

وإضافة إلى ما تقدم فإن كل من دافيد الكسندر رئيس لجنة المبعوثين اليهودية الانجليزية" وكلود مونتفيوري رئيس "الجمعية الإنجليزية اليهودية" قد أصدرا بياناً في مايو ١٩١٧م أعلنا فيه تحفظهما من البرنامج الذي تبناه الصهيونيون موضحين أنهما كانا قد تعاونا مع المنظمات الصهيونية في المجال الثقافي، ولكنهما لا يستطيعان الاستمرار في هذا التعاون بسبب الأهداف السياسية التي يسعى الصهاينة لتحقيقها. وعارض ألكسندر ومونتفيوري في بيانهما البرنامج الصهيوني في نقطتين أساسيتين:

١- أنه لا يجوز طابع قومي سياسي على اليهود في فلسطين وخلق قومية يهودية علمانية في البلد لأن اليهود ليسو أكثر من طائفة دينية.

---

(1) انظر نص مذكرة مونتاجو: ن. م.، ج٢، ص٢٨-٣٤.

George, Lloyd: The Truth about, p. 113.

Khalidi, Walid: From Haven To Conquest, P. 143.

(2) انظر نص الوثيقة: أيوب، سمير: م. س. ذ.، ج٢، ص٢٣.

Khalidi, Walid: op. cit., P. 135.

٢- أنه لا يجوز منح الشركة الاستيطانية التي قد يؤسسها الصهيونيون امتيازات سياسية واقتصادية لأن هذا يضر بمبدأ المساواة، وقد يؤثر على الحقوق المدنية والساسية التي اكتسبها اليهود في البلدان التي حررتهم[١].

لم تؤثر الاعتراضات التي تقدم بها مونتاغو وألكسندر ومونتفيوري على أسس السياسة التي قررت الحكومة البريطانية اتباعها تجاه الصهيونيين، خصوصاً بعد أن اضطر الكسندر ومونتفيوري إلى الاستقالة من منصبهما أثر الضجة التي أثارها الصهاينة ضدهما، لكن تلك الاعتراضات كانت كافية من ناحية ثانية، لتقليص الالتزامات التي قررت الحكومة تقديمها للصهيونية وفرض القيود عليها، ففي ١٩١٧/٩/٣م بحثت الحكومة البريطانية الطلبات الصهيونية وقررت مبدئياً الاستجابة لها، وعرضت على الصهاينة إصدار تصريح من قبلها بتبني طلباتهم، آخذة بالاعتبار مشاريع تعديل عدة، قدمت من أشخاص مختلفين، واقترحت التعهد بتسهيل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بدلاً من اعتبار البلد بأكمله وطناً قومياً لليهود، وعلى ألا يمس ذلك بحقوق الطوائف غير اليهودية في فلسطين، أو بحقوق اليهود المكتسبة في أي مكان خارجها. ولكن بسبب ظروف الحرب تم تأجيل الإعلان عن التصريح المقترح[٢].

لم يرتح الصهاينة لتأجيل إعلان التصريح، واستأنفوا اتصالاتهم وضغوطهم، ففي ١٠/٣ /١٩١٧م قدم وايزمان و روتشيلد مذكرة أخرى إلى الحكومة البريطانية، وأبرق وايزمان في ١٠/٩/ ١٩١٧م إلى برانديس في الولايات المتحدة ليبلغه "أنه من الضروري، ليس فقط، الحصول على موافقة الرئيس الأمريكي وتوصياته لإصدار التصريح دون تأخير وإنما ينبغي على برانديس نفسه والصهيونيين والأمريكيين، وكذلك بعض الصهيونيين البارزين في أمريكا إعلان تأييدهم أيضاً[٣].

---

(1) גרינבוים، יצחק: התנועה הציונית، ע 205

(2) George, Lloyd: The Truth about, p. 1130.

(3) Weizmann, Chaim: op. cit., p. 260.

وقد كانت هذه المرة الثانية التي يتصل فيها وايزمان ببرانديس للغاية ذاتها إذ كان قد أبرق له للمرة الأولى في ١٩١٧/٩/١٩ وأبلغه نص مشروعي التصريح المتقدمين من قبل الصهيونيين والحكومة البريطانية، وكان البريطانيون أنفسهم قد اتصلوا بالرئيس الأمريكي لاستطلاع رأيه وذلك في اليوم التالي ١٩١٧/٩/٤ لجلسة الحكومة البريطانية التي أقرت بها السياسة المبدئية تجاه الطلبات الصهيونية، لكن ويلسون نسي المذكرة التي قدمها له أحد مساعديه حول ذلك في جيبه ولم يجدها إلاّ في ١٩١٧/١٠/١٣ وأعلن أنه يؤيد النص الذي اقترحته الحكومة البريطانية، وطالب إبلاغها بذلك[١]، وأعلن ويلسون للشعب الأمريكي بعد ذلك بمدة قصيرة عن مواقفه على "إرساء أسس كومنولث يهودي في فلسطين"[٢].

وفي ١٩١٧/١٠/٣١م اجتمعت الحكومة البريطانية وأقرت موقفها النهائي من طلبات الصهاينة، وفي ١٩١٧/١١/٢م أصدر بلفور بصفته وزيراً للخارجية التصريح المعروف منذ ذلك الوقت باسم "وعد بلفور". وبعد أن صادقت الحكومة البريطانية على هذا القرار، خرج سايكس من الجلسة، واتجه نحو وايزمان الذي ينتظر بالقرب من مكان الاجتماع مبشراً "دكتور وايزمان أنه صبي" ويصف وايزمان ردة فعله على هذه البشرى بقوله: "حسناً لم أحب هذا الصبي في البداية، إنه لم يكن كما توقعت"[٣].

وقد أخذ الوعد شكل رسالة بعث بها لورد بلفور إلى أحد زعماء الحركة الصهيونية آنذاك وهو اللورد روتشيلد. وينص الوعد على[٤]:

"عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته: إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين

---

(1) גרינבוים، יצחק: התנועה הציונית، חלק 4، ע 209

(2) George, Lloyd: The Truth about, p.1117.

(3 )Weizmann, Chaim: op. cit., p.262.

(4) انظر نص وعد بلفور. ملف وثائق فلسطين،ج١، ص٢١٧.

وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يُفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى".

يتضح من قراءة نص وعد بلفور أنه يستبطن الوعي التوراتي بشأن اليهود وأرض فلسطين، هذا الوعي الذي تغلغل في نسيج المجتمع البريطاني منذ القرن السابع عشر، والذي يؤكد على أن اليهود ليسوا مجرد أصحاب ديانة بل شعب متماسك، وأنه صاحب جذور تاريخية، فهو شعب الله المختار الذي وعده الرب، حسب زعمهم، أن يعود إلى أرض فلسطين، وأن المقيمين على أرض فلسطين إن هم إلا أقلية –أكد وعد بلفور على حقوقها الدينية والمدنية فقط- دينية وليس قومية، بمعنى أنهم مجرد سكان وليسوا شعب صاحب هوية قومية أو سياسية. وبسبب وعي بريطانيا لرفض أغلب اليهود البريطانيين للفكرة الصهيونية فقد طمأنتهم من الإشارة إلى أن إقامة الوطن للشعب اليهودي في فلسطين لن يضر بحقوقهم السياسية والقانونية في الدول التي يقيمون فيها.

الحقيقة أن التصريح لم يصدر بالشكل الذي توقعه الصهاينة اليهود الذين كانوا يتوقعون أن يشمل الوعد اعتبار فلسطين كلها وطناً قومياً لليهود، ويمكن القول أن سبب ارتفاع سقف توقعاتهم يعود إلى الأجواء المشجعة التي لمسوها لدى المسؤولين البريطانيين. لكن الوعد اقتصر على "إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين"، كما كانت الحركة الصهيونية قد طالبت حكومة بريطانيا ببذل كل جهودها، لتسهيل إنشاء هذا الوطن، بعد بحث الوسائل الضرورية لذلك والتشاور بشأنها مع المنظمة الصهيونية ولكن بلفور تحدث بدلاً من ذلك عن "الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين"، وقد جاء وعد بلفور على هذا الشكل للأسباب التالية(١):

١- لأن الحكومة البريطانية سعت إلى كسب تأييد الصهاينة، وذلك لإبعاد النفوذ الفرنسي عن فلسطين ولاستغلال النفوذ اليهودي في أمريكا.

---

(1) جريس، صبري: م. س. ذ.، ج١، ص ٢٨٩.

٢- ولمراعاة مواقف اليهود غير الصهاينة والأوضاع التي كانت قائمة في فلسطين(١).

يتضح من صياغة الوعد أن الحكومة البريطانية اعترفت باليهود كشعب له الحق في إقامة كيان سياسي، وأن الحكومة البريطانية ملتزمة ببذل الجهود الكافية لتحقيق هذا الهدف، وبهذا تبنت الحكومة البريطانية المشروع الصهيوني رسمياً. ويمكن القول أن تفسيرات المؤرخين الصهاينة، والعرب كذلك، تنحصر في ثلاثة محاور رئيسة . يعتبر المحور الأول أن السبب الكامن وراء إصدار وعد بلفور يتمثل في الإحساس بالشفقة على اليهود وبأن الوقت قد حان لتعويضهم بسبب ما عانوه من اضطهاد، وفي هذا الإطار يذكر المؤرخ الصهيوني إسحق غرينبويم أنه "كادت الدمعة تفر من عيني بلفور عطفاً على مشاريع الصهيونية كما قدمها له وايزمان"(٢). ويتبنى صبري جريس هذا التفسير نقلاً عن إسحق غرينبويم(٣). ويبدو أن هذا التفسير غير دقيق فبلفور كان يحمل نظرة معادية لليهود تجلت في موقفه الصارم الرافض لقبول المهاجرين اليهود إلى بريطانيا بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٠٥، واستصدر تشريعات تحد من الهجرة اليهودية حيث كان رئيساً للوزراء في تلك الفترة.

أما المحور الثاني فيتمثل في القول بأن إنجلترا قد أصدرت الوعد تعبيراً عن اعترافها بالجميل لوايزمان لاختراعه مادة الأسيتون المحرقة أثناء الحرب العالمية الأولى. لكن هذا التفسير لا يصمد كثيراً أمام الحقائق التي تقول أن لويد جورج طلب من وايزمان الالتقاء بهربرت صموئيل عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، وأن وايزمان تفاجأ من حماس هربرت صموئيل للفكرة الصهيونية، وعلّق على ذلك قائلاً "لوكنت يهودياً متديناً لظننت أن

(1) George, Lloyd: The Truth about, p. 1120.

(2) גרינבוים: התנועה הציונית, חלק 4, ע' 196.

(3) جريس، صبري: م. س. ذ.، ج١، ص٢٨٥.

عودة الماشيح قد دنت"(١) وقد كانت مفاجأة وايزمان عبارة عـن ردة فعـل علـى موقـف هربرت صموئيل الذي أخبره بأن " أعضاء الوزارة يفكرون في أهداف صهيونية"(٢).

والمحور الثالث في تفسير صدور وعد بلفور يتجلـى فـي الادعـاء بـأن الـضغط الصهيوني اليهودي هو الذي أدى إلى صدور وعد بلفور(٣). لكن هذا التفسير غيـر دقيـق، خاصة وأن وضع قيادة المنظمة الصهيونية كان في غاية الحرج، إضافة إلى أن الـصهاينة الإنجليز لم يكونوا يشكلون قوة ضاغطة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن أغلب أثرياء اليهود فـي إنجلترا كانوا معادين للصهيونية. كما أن المنظمة الصهيونية كانت في وضع حـرج خـلال الحرب وأعلنت الحياد.

إن التفسير الأقرب إلى الصواب بشأن إصدار وعد بلفور يتمثـل فـي القـول بـأن الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى، وبعد دراسة مـستقبل المنـاطق العربيـة الخاضعة للدولة العثمانية، كانت منقسمة إلى تيارين، يمثل التيـار الأول رئـيس الـوزراء أسكويث الذي كان ملتزماً بسياسة إحلال العرب محل الأتراك. والتيار الثاني كان يمثله لويد جورج وبلفور الذين تبنوا الاقتراح المقدم في مذكرة هربرت صموئيل والذي يـنص علـى إقامة محمية بريطانية في فلسطين لضمان سلامة مصر، وفي ظل هذه المحميـة سـتعطى المنظمات الصهيونية تسهيلات لشراء الأراضي في فلسطين وإنشاء المـستعمرات عليهـا، وستنال مسألة الهجرة اليهودية مركز الأفضلية بحيث يتحول السكان اليهود إلى أكثرية فـي فلسطين. وهذا سيمهد الطريق –حسب هربرت صموئيل- لإقامة دولة يهودية مـستقلة فـي فلسطين، بحيث تكون جزءاً من الحضارة الغربية وتدافع عن مصالحها(٤). وتجدر الإشـارة إلى أن مذكرة هربرت صموئيل اعتبرت أن إنشاء دولة يهودية في فلـسطين لا زال أمـراً

---

(1) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٦، ص٤٥.

سليم، محمد عبد الرؤوف: م. س. ذ.، ص٢٦٠.

(2) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٦، ص٤٥.

(3) Khalidi, Walid: op. cit., P. 173.

(4) أيوب، سمير: م. س. ذ.، ج٢، ص١٢،١٣.

مبكراً[1]. وبناءً على الخلافات السابقة الذكر داخل الحكومة البريطانية فقد استقال رئيس الحكومة أسكويث عام ١٩١٦، وحل محله لويد جورج كرئيس للوزراء وبلفور وزيراً للخارجية، وتم اتخاذ القرار بإعلان وعد بلفور كما تقدم ذكره.

وهكذا فقد اكتمل نمو المشروع الصهيوني في بريطانيا بعد مشوار طويل تخلّقت خلاله مضامين المشروع الصهيوني في نسيج المجتمع البريطاني، وأخذت تزداد عمقاً وشمولاً مع كل تطور جديد يشهده المجتمع البريطاني. ولولا أن البيئة البريطانية كانت مهيأة لتبني المشروع الصهيوني، الذي تختلط فيه المعتقدات الدينية بالمصالح السياسية والاقتصادية الاستعمارية، ربما لتعثرت أو على الأقل تأخرت عملية إصدار وعد بلفور الذي جاء كنهاية طبيعية لجملة التطورات التي ناقشها هذا البحث.

---

([1])ن. م.، ص١١.

# الخاتمة

# النتائج والتوصيات

# النتائج

من خلال ما تقدم يمكن استخلاص مجموعة من النتائج تتمثل في:

١-دخل اليهود إنجلترا سنة ١٠٦٦ مع الغزو النورماندي، وكونوا فيها طبقة اقتصادية تعمل لصالح الملك في ابتزاز أموال الناس فثارت ضدهم مشاعر الحقد والكراهية والتي تحولت إلى أعمال انتقامية تصاعدت وتيرتها في فترة الحروب الصليبية، وانتهت بإصدار قرار بطرد اليهود من إنجلترا سنة ١٢٩٠. وقد استند هذا القرار إلى خلفيات اقتصادية واجتماعية وسياسية في الأساس بسبب الدور الذي كان يلعبه اليهود في إنجلترا. لكن لا يمكن إغفال البعد الديني للقرار وذلك لأن المسيحيين يعتبرون اليهود قتلة المسيح عليه السلام.

٢-أدت حركة الإصلاح الديني في أوروبا إلى انفتاح المتدينون والمثقفون على دراسة العهد القديم ومفاهيمه الأسطورية بشأن اليهود باعتبار أنهم شعب الله المختار، وفلسطين باعتبارها الأرض التي يملكها هذا الشعب إلى الأبد وفق العهد الإلهي المزعوم.

٣-يمكن القول أن سنة ١٦٥٦ شهدت انفجار التراكم الذي حدث عبر ما يزيد على نصف قرن من النقاش والجدال والصراع متعدد الأبعاد داخل المجتمع البريطاني، وقد أسفر هذه التراكم عن وضع فكرة عودة اليهود إلى بريطانيا –كتمهيد لعودتهم إلى فلسطين- على جدول الأعمال القومي في بريطانيا. لكن هذه الفكرة وُلدت بسيطة ولم يستطع أصحابها إقناع المجتمع البريطاني بها، رغم أنهم استخدموا في تبريرها مسوغات نفعية تجارية.

٤-لقد أدت أجواء الحرية والتسامح وانفتاح المثقفين الإنجليز على دراسة نصوص الكتاب المقدس إلى تزايد عدد المؤمنين بأن اليهود المعاصرين هم شعب الله المختار وارث العهد الإلهي وصاحب الحق في إقامة الدولة في وطنهم فلسطين حسب زعمهم. ولم تعد تقتصر دوائر المؤيدين للفكرة الصهيونية في القرن الثامن عشر على رجال الدين وحدهم، بل أصبحت تشمل العديد من أهم المفكرين العلمانيين الإنجليز مثل جون لوك، وعلماء الطبيعة مثل اسحق نيوتن.

٥-لقد أدت سلسلة الأحداث السياسية والعسكرية الكبرى في القرن الثامن عشر بدءاً من حرب الوراثة الأسبانية والنمساوية إلى حرب السنوات السبع إضافة إلى الانتصار الروسي على العثمانيين الذي انتهى بمعاهدة كوجك قينارجة، ثم استقلال المستعمرات الأمريكية عن

بريطانيا، وأخيراً الثورة الفرنسية واحتلال نابليون بونابرت لمصر والشام، كل هذا دفع بريطانيا باتجاه إعادة ترتيب أولوياتها، وأدى ذلك إلى تركيز اهتمامها على الاستعمار في العالم القديم والطريق الموصلة إليه، وهذا ما يفسر التدخل العسكري البريطاني السريع والحاسم لطرد الفرنسيين من فلسطين ومصر.

٦-لقد أدت الثورة الصناعية إلى إحداث تغيرات مهمة في المجتمع البريطاني حيث أدى تعاظم الانتاج إلى تزايد الاهتمام بالاستعمار بحثاً عن الأسواق والموارد الخام، الأمر الذي أدى إلى زيادة الاهتمام بطريق التجارة والمستعمرات الذي تقع فلسطين في مركزه.

٧-وأدت الثورة الصناعية إلى إحداث تغيرات هامة في تركيبة المجتمع البريطاني حيث ازدادت كثافة السكان في المدن التي أصبحت مراكز تجمع للرأسماليين، والمثقفين من الطبقة الوسطى، إضافة إلى العمال الذين يعملون في المصانع الكبرى. وأدى تضارب مصالح هذه الفئات والشرائح إلى تعزيز دور الأحزاب السياسية وتعددها لكي تمثل مصالح مختلف الشرائح الاجتماعية، وأصبح بامكان ممثلي الطبقة الوسطى والعمال التأثير في صناعة القرار السياسي الذي لم تعد صناعته تقتصر على قمة الهرم السياسي فقط.

٨-مكنت كل هذه التطورات الداخلية المؤمنين بالأفكار الصهيونية من ممارسة الضغط ومحاولة التأثير على صناع القرار في بريطانيا ومن أبرز هؤلاء اللورد شافتسبري. إضافة إلى أن العمل من خلال الأحزاب والتجمعات والمؤسسات أصبح سمة العصر -مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر- لذلك نجد أن العمل من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين وتأكيد الارتباط بينهما أصبح يتم من خلال العمل المؤسسي المنظم في أوساط المسيحيين، كما أن المسيحيين أخذوا ينصحون اليهود في شتى أنحاء العالم بضرورة العمل المنظم من أجل العودة إلى فلسطين. وكان واضحاً أن انتشار الأفكار الصهيونية بين المسيحيين في بريطانيا يزداد عمقاً وشمولاً مع الوقت.

٩-يتضح من خلال الدراسة أن الصهاينة اليهود لم يبرزوا إلى حيز الوجود إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأن كلاً من لورانس أوليفانت ووليام هيكلر قد لعبا دوراً مهماً في تشجيع هذه الجهود، وأحياناً فقد قام كل من أوليفانت وهيكلر بمهام رسمية لإسكان اليهود في فلسطين عبر الحصول على موافقة الدولة العثمانية. يُضاف إلى ما تقدم أن تصاعد الروح الاستعمارية والقومية ساهمتا في لفت أنظار اليهود إلى إمكانية إقامة دولة

خاصة بهم، كما فعل الإيطاليون والألمان في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وتم تغذية هذا التوجه لدى اليهود بسبب تصاعد المشاكل والمذابح ضد اليهود في أوروبا. لكن الجهود اليهودية حتى تلك اللحظة بقيت محلية وغالباً فردية، ولم يكن من بين هؤلاء المفكرين أي يهودي بريطاني.

١٠-كان هرتزل يهودياً مندمجاً متشبعاً بروح الثقافة الغربية العملية النفعية التي تتحرك نحو المصلحة. ويمكن القول أنه لم يتحرك لحل المسألة اليهودية بناءً على خلفية دينية بل استناداً إلى قراءة الواقع وبحثاً عن المتاح والممكن في إطاره. ويتضح هذا من خلال أفكاره التي تتسم بالبساطة والتوفيقية لأنه يقدمها لأطراف مختلفة، ويسعى لأن تحظى بالقبول لديهم جميعاً.

١١-انطلق هرتزل للعمل بقناعة راسخة تؤكد على ضرورة الاعتماد على الاستعمار في خلق الدولة اليهودية والحفاظ على بقائها واستمرارها. تجدر الإشارة هنا إلى أن ما طرحه هرتزل من أفكار في كتابه "الدولة اليهودية" هو تلخيص لأفكار الصهاينة المسيحيين الذين أطلقوا نداءات كثيرة لإقامة كيان لليهود في فلسطين؛ وذلك لاعتبارين يتمثل أولهما في كونها تقع على طريق المستعمرات البريطانية في الهند. أما الاعتبار الثاني فيهدف إلى التخلص من اليهود وإخراجهم من بريطانيا لكونهم شعب منبوذ.

١٢-وجاء وعد بلفور تعبيراً عن رغبة بريطانيا في اقتطاع فلسطين وإقامة وطن قومي لليهود فيها كجزء من المخطط الاستعماري البريطاني، أكثر من كونه استجابة لضغوط مارستها الحركة الصهيونية، أو كمقابل لخدمات قدمتها الحركة الصهيونية لبريطانيا إبان الحرب العالمية الأولى. إن تغيير نظرة المجتمع البريطاني لليهود، من عدو إلى حليف، لم تكن مجرد صدفة، أو قرار عابر، وإنما نمت وبلغت مرحلة النضوج على نار التطورات متعددة الأبعاد سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي أو الديني والفكري والسياسي والاقتصادي.

## التوصيات

بعد الانتهاء من الدراسة وجد الباحث أنه من الأهمية بمكان تسجيل التوصيات التالية:

١ - ضرورة الاهتمام بتزويد المكتبات بما يحتاجه الباحثون من كتب التاريخ والمراجع والمصادر والوثائق والدوريات وذلك لتشجيع الباحثين على خوض غمار التجربة وإعداد الدراسات، حيث لاحظ الباحث نقصاً شديداً في هذا المجال.

٢ - يوصي الباحث بإنشاء مراكز أبحاث متخصصة لدراسة تاريخ الصهيونية وعلاقتها بدول العالم المختلفة ومخططاتها في ديار العرب والمسلمين.

٣ - يلفت الباحث أنظار زملائه لإعداد دراسات وأبحاث علمية عن نمو الفكرة الصهيونية في الدول الأوروبية المختلفة وكذلك في الولايات المتحدة الأمريكية.

٤ - الاهتمام بالبعد الديني للصراع الدائر على أرض فلسطين، وإعداد المزيد من الدراسات العلمية الجادة في هذا الموضوع.

# الملاحق

# ملحق رقم (١)[١]

## صدور كتاب "أمل إسرائيل" ١٦٥٠

## Menasseh ben Israel dedicates the 'Hope of Israel' to the Fathers of the English Commonwealth

The *'Hope of Israel'* appeared in 1650, in Spanish, Latin and English. It was more than a treatise: it was a political document. The book represented Jewry's first reaction to the call of the English millenarians. Besides confirming, by new biblical evidence, the Puritan faith in the approaching restoration of the Jewish people, Menasseh, taking the discovery of Montezinos as his

point of departure, maintained that the people of Israel was scattered over the earth, England alone excepted, and proceeded to argue, on the basis of Numbers XXVIII. 64, and Daniel XII. 7, that only through the readmission of the Jews to England would all the conditions indispensable for the restoration of the Jews to their own land and for the realization of the expected Millennium be fulfilled. This line of argument was the reason for Menasseh's dedication of his book to the Fathers of the Commonwealth.

---

([1] ) Koblar, Franz: A Treasury of Jewish Letters (Letters from The Famous an The Humble, Vol.,2, P. 509.

# ملحق رقم(٢)[١]

## رسالة من منسى بن إسرائيل إلى المحكمة العليا والبرلمان ومحكمة الدولة ١٦٥٠

## MENASSEH BEN ISRAEL TO THE HIGH COURT, THE PARLIAMENT OF ENGLAND AND THE COUNCIL OF STATE

'*And so all those things which God is pleased to have foretold by the prophets do and shall obtain their accomplishment*'

[ Amsterdam, 1650]

......

As for me, most renowned Fathers, in my dedicating this Discourse to you, I can truly affirm that I am induced to it upon no other ground than this, that I may gain your favour and good will to our Nation, now scattered almost over the earth, neither think that I do this, as if I were ignorant how much you have hitherto favoured our Nation, for it is made known to me, and to others of our Nation, by them who are so happy as to be near at hand, to observe your apprehension, that you do vouchsafe to help us, not only by your prayers; yes, this hath compelled me to speak to you publickly, and to give you thanks which come not only from the tongue, but as are conceived by a grateful mind.

Give me leave, therefore, most renowned Fathers, to supplicate you, that you would still favour our good, and farther love us. Truly, we men doe draw so much nearer to Divine nature, when by how much we increase, by so much we cherish, and defend the small and weak ones; and with how much diligence doe you perform this, most renowned Fathers? who, though you seem to be arrived to the highest top of felicity, yet you do not only not despise inferior men, but you so wish well to them, that you seem sensible of their calamity; you knowing how acceptable to God you are by so doing, who loves to do

good to them who do good. And truly it is from hence, that of late you have done so great things valiantly, and by an unusual attempt, and things much to be observed among the Nations. The whole world stands amazed at these things, and the eyes of all are turned upon you that they may see whither all these things do tend, which the great Governour of all Kings seems to bring upon the world by so great changes, so famously remarkable, of so many Nations; and so all those things which God is pleased to have foretold by the prophets do and shall obtain their accomplishment. All which things of necessity must be fulfilled, that so Israel at last being brought back to his own place, peace which is promised under the Messiah may be restored to the world; and concord, which is the only Mother of all good things.

---

([1] )Koblar, Franz: A Treasury of Jewish Letters (Letters from The Famous an The Humble, Vol.,2, P. 510.

# ملحق رقم(٣)(١)

## رسالة من منسى بن إسرائيل ومجموعة من اليهود المارانو المقيمين في لندن إلى أوليفر كرومويل سنة ١٦٥٦

## MENASSEH BEN ISRAEL AND THE LONDON MARRANOS TO OLIVER CROMWELL

'*We pray with Humbleness that...such Protection may be granted us in writing as that we may therewith meet at our private devotions in our particular houses without fear*'

[ London, March 1656]

To His Highness Oliver Lord Protector of the Commonwealth of England, Scotland & Ireland & the Dominion thereof.

The Humble Petition of the Hebrews at present Residing in this city of London whose names are underwritten

Humbly shoeweth:

That acknowledging the manyfold favours and Protection your Highness hath been pleased to grant us in order that we may with security meet privately in our particular houses to our Devotions, and being desirous to be favoured more by your Highness we pray with Humbleness that by the best meanes which may be such Protection may be granted us in writing as that we may therewith meet at our private devotions in our particular houses without feare of molestations either to our persons, families or estates, our desires being to live peaceably under your Highness' Government. And being we all mortal, we also humbly pray your Highness to grant us license that those which may die of our nation may be buried in such a place out of this city as we shall think convenient with the proprietors' leave in whose land this place shall be, and so we shall as well in our lifetime, as at our death be highly favoured by your Highness for whose long life and prosperity we shall continually pray to the almighty God....

Menasseh ben Israel

---

(1) Koblar, Franz: A Treasury of Jewish Letters (Letters from The Famous an The Humble, Vol.,2, P. 519, 520.

David Abrabanel [ Manuel Martinez Dormido]

Abraham Israel Carvajal [ Antonio Fernandez Carvajal] [14]

Abraham Coen Gonzales

Jahacob de Caceres [ Simon de Caceres] [15]

Abraham Israel De Brito [ Domenigo Vaez de Brito]

Isak Lopez Chillon

Although the offices concerned with the case of Robles -- the Admiralty Commissioners and the Council of State -- failed to decide the question of his nationality, the Council of State recognized his claim to be a persecuted Jew and reinstated him in possession of his fortune. This decision was the first official readmission of a confessing Jew to England after their expulsion in the year 1290. As to the petition of the Hebrews, no formal document dealing with their request is known so far, but two facts show that Cromwell went some way to grant the demands of the London Marranos: before the end of 1656 a house was rented in London for use as a synagogue, and a few months later Carvajal and Caceres (both of whom were signatories of the petition) leased a piece of ground for a Jewish cemetery. Thus the symbols

of a new Jewish community began to emerge as the fruit of Menasseh's efforts and the courageous behaviour of the Crypto-Jews.

# ملحق رقم (٤)[١]

## منسى بن إسرائيل يغادر إنجلترا مكسور القلب سنة ١٦٥٧

## Menasseh ben Israel, heartbroken, takes leave of England

The strain put on Menasseh ben Israel by the struggle against the opponents of the Jewish cause was grievously accentuated by a personal misfortune: the long illness and death of his son Samuel, whose company and assistance he had enjoyed during these fateful years. He now felt an overpowering desire to return to Amsterdam, which he had left two years before with such bright expectations. But in spite of an annuity granted him by Cromwell his means were exhausted. In this most tragic moment of his life he once again ventured to approach the Lord Protector. The letter he wrote on this occasion lifts the curtain on the last, gloomy scene of Menasseh ben Israel's mission to England.

**MENASSEH BEN ISRAEL TO OLIVER CROMWELL**

'*Help, most noble prince, for God's sake*'

[ London, 17 September 1657]

To His Highness, the Lord Protector, the humble petition of Menasseh ben Israel

May it please your Highnesse, my only sonne, being now dead in my house, who before his departure, engaged me to accompany his corps to Holland, & I indebted here, I know not which way to turn mee but (under God) to your Highnesse for help in this condition, emploring your bowells of compassion (which I know are great & tender) to supply me with three hundred pounds, & I shall surrender my pension seal & never trouble or charge your Highnesse any more, I am very sensible considering your great kindnesse (which with all thankfullnesse I acknowledge) how highly-bold this my petition is, but the necessitie of my present exigence & my experience of your admirable graciousness to mee have layd me prostrat at your feet, crying, Help, Most noble prince, for God's sake, your most humble supplicant

Menasseh ben Israel

(1) Koblar, Franz: A Treasury of Jewish Letters (Letters from The Famous an The Humble, Vol.,2, P. 521.

Cromwell's benevolent intention of meeting this moving appeal was frustrated by the Treasury. Nevertheless, Menasseh managed to leave

London with the coffin of his son. But death was calling him, too: it was denied to him to see his beloved Amsterdam again. As he was born, so he died, on the way -- in Middleburgh, on 12 November 1657. In the last dark hour of his life despair may have overwhelmed the author of the *'Hope of Israel'*. But the verdict of history must be that what he had achieved did not fall short of his original intentions. A breach was made in an anti-Jewish barrier of centuries, the road leading to readmission was opened, and, in the long run, some steps were even taken on the steep path to the restoration of the Jewish people.

# ملحق رقم (٥)(١)

## قانون التسامح سنة ١٦٨٩

# The Toleration Act

FORASMUCH as some ease to scrupulous consciences in the exercise of religion may be an effectual means to unite Their Majesties' Protestant subjects in interest and affection:

II Be it enacted by the king and queen's most excellent Majesties, by and with the advice and consent of the lords spiritual and temporal and the commons in this present parliament assembled, and by the authority of the same, that neither the statute made in the three and twentieth year of the reign of the late Queen Elizabeth, entitled, An Act to Retain the Queen's Majesty's Subjects in their due Obedience; nor the statute made in the twenty ninth year of the said queen, entitled, An Act for the more speedy and due Execution of certain Branches of the Statute made in the three and twentieth year of the Queen's Majesty's Reign, viz. the aforesaid act; nor that branch or clause of a statute made in the first year of the reign of the said queen, entitled, An Act for [the] Uniformity of Common Prayer and Service in the Church and Administration of the Sacraments, whereby all persons having no lawful or reasonable excuse to be absent are required to resort to their parish church or chapel or some usual place where the common prayer shall be used upon pain of punishment by the censures of the church and also upon pain that every person so offending shall forfeit for every such offence twelve pence; nor the statute made in the third year of the reign of the late King James the First, entitled, An Act for the better Discovering and Repressing Popish Recusants; nor that other statute made in the same year, entitled, An Act to Prevent and Avoid Dangers which may grow by Popish Recusants; nor any other law or statute of this realm made against papists or popish recusants, except the statute made in the five and twentieth year of King Charles the Second, entitled, An Act for Preventing Dangers which may happen from Popish Recusants; and except also the statute made in the thirtieth year of the said King Charles the Second, entitled, An Act for the more effectual preserving the King's Person and Government by disabling Papists from sitting in either House of Parliament; shall be construed to extend to any person or persons dissenting from the Church of England, that shall take the oaths mentioned in a statute made this present parliament, entitled, An Act for removing and preventing all Questions and Disputes concerning the assembling and sitting of this present Parliament; and shall make and subscribe the declaration mentioned in a statute made in the thirtieth year of King Chasrles the Second, entitled, An Act to prevent Papists from sitting in either House of Parliament, which oaths and declaration the justices of peace at the general sessions of the peace to be held for the county or place, where such person shall live, are hereby required to tender and administer to such persons as shall offer themselves to take, make and subscribe the same and thereof to keep a register; and likewise none of the persons aforesaid shall give or pay as any fee or reward to any officer or officers belonging to the court aforesaid above the sum of six pence, nor that more than

(1) Documents Illustrative of English Church History, P. 654.

once, for his or their entry of his taking the said oaths, and making and subscribing the said declaration nor above the further sum of six pence for any certificate of the same to be made out and signed by the officer or officers of the said court.

III And be it further enacted by the authority aforesaid, that all and every person and persons already convicted, or prosecuted in order to conviction, of recusancy by indictment, information action of debt or otherwise grounded upon the aforesaid statutes or any of them, that shall take the said oaths mentioned in the said statute made this present parliament, and make and subscribe the declaration aforesaid, in the court of exchequer or assizes or general or quarter sessions to be held for the county where such person lives, and to be thence respectively certified into the exchequer, shall be thenceforth exempted and discharged from all the penalties, seizures, forfeitures, judgments and executions incurred by force of any the aforesaid statutes without any composition, fee or further charge whatsoever.

IV And be it further enacted by the authority aforesaid, that all and every such person and persons that shall as aforesaid take the said oaths, and make and subscribe the declaration aforesaid, shall not be liable to any pains, penalties or forfeitures mentioned in an act made in the five and thirtieth year of the reign of the late Queen Elizabeth, entitled, An Act to retain the Queen's Majesty's Subjects in their due Obedience; nor in an act made the two and twentieth year of the reign of the late King Charles the Second, entitled, An Act to prevent and suppress seditious Conventicles; nor shall any of the said persons be prosecuted in any ecclesiastical court for or by reason of their nonconforming to the Church of England.

V Provided always, and be it enacted by the authority afore-

said, that if any assembly of persons dissenting from the Church of England shall be had in any place for religious worship with the doors locked, barred or bolted during any time of such meeting together, all and every person or persons that shall come to and be at such meeting shall not receive any benefit from this law, but be liable to all the pains and penalties of all the aforesaid laws recited in this act for such their meeting, notwithstanding his taking the oaths and his making and subscribing the declaration aforesaid.

**VI.** Provided always, that nothing herein contained shall be construed to exempt any of the persons aforesaid from paying of tithes or other parochial duties or any other duties to the church or minister, nor from any prosecution in any ecclesiastical court or elsewhere for the same.

* * * * * * * * *

**VIII.** And be it further enacted by the authority aforesaid, that no person dissenting from the Church of England in holy orders or pretended holy orders or pretending to holy orders, nor any preacher or teacher of any congregation of dissenting Protestants, that shall make and subscribe the declaration aforesaid and take the said oaths at the general or quarter sessions of the peace to be held for the county, town,

parts or division where such person lives, which court is hereby impowered to administer the same, and shall also declare his approbation of and subscribe the articles of religion mentioned in the statute made in the thirteenth year of the reign of the late Queen Elizabeth, except the thirtyfourth, thirty-fifth and thirty-sixth and these words of the twentieth article, viz. * * * the Church hath power to decree rights or ceremonies, and authority in controversies of faith and yet * * *, shall be liable to any of the pains or penalties mentioned in an act made in the seventeenth year of the reign of King Charles the Second, entitled, An Act for restraining Nonconformists from inhabiting in Corporations; nor the penalties mentioned in the aforesaid act, made in the two and twentieth year of his said late majesty's reign, for or by reason of such persons preaching at any meeting for the exercise of religion, nor to the penalty of one hundred pounds mentioned in an act made in the thirteenth and fourteenth of King Charles the Second, entitled, An Act for the Uniformity of Public Prayers and Administration of Sacraments and other Rites and Ceremonies, and for establishing the Form of making, ordaining and consecrating of Bishops, Priests and Deacons in the Church of England, for officiating in any con-

gregation for the exercise of religion permitted and allowed by this act. * * *

* * * * * * * * *

**XVI.** Provided always, and it is the true intent and meaning of this act, that all the laws made and provided for the frequenting of divine service on the Lord's day, commonly called Sunday, shall be still in force and executed against all persons that offend against the said laws, except such persons come to some congregation or assembly of religious worship allowed or permitted by this act.

**XVII.** Provided always, and be it further enacted by the authority aforesaid, that neither this act nor any clause, article or thing herein contained shall extend or be construed to extend to give any ease, benefit or advantage to any papist or popish recusant whatsoever, or any person that shall deny in his preaching or writing the doctrine of the Blessed Trinity, as it is declared in the aforesaid articles of religion.

* * * * * * * * *

**XIX.** Provided always, that no congregation or assembly for religious worship shall be permitted or allowed by this act, until the place of such meeting shall be certified to the bishop of the diocese, or to the arch-deacon of that arch-deaconry, or to the justices of the peace at the general or quarter sessions of the peace for the county, city or place in which such meeting shall be held, and registered in the said bishop's or arch-deacon's court respectively, or recorded at the said general or quarter sessions; the register or clerk of the peace whereof respectively is hereby required to register the same, and to give certificate thereof to such person as shall demand the same, for which there shall be no greater fee nor reward taken than the sum of six pence.

# ملحق رقم (٦)[١]

(1) ملف وثائق فلسطين، ج١، ص٤١.

# ملحق رقم(٧) [1]

[1] ملف وثائق فلسطين، ج١، ص١٥٩.

# ملحق رقم(٨) [1]

(1)ملف وثائق فلسطين، ج١، ص٢١٧.

# قائمة المصادر والمراجع

# قائمة المصادر والمراجع


**الوثائق المترجمة إلى العربية**

١-أيوب، سمير: وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ثلاثة أجزاء، م ت ف مركز الأبحاث، بيروت، لبنان، ١٩٧٢.

٢-قاسم، قاسم عبدة: الحملة الصليبية الأولى وثائق تاريخية، عين للدراسات والبحوث الأنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر ٢٠٠١.

٣-ملف وثائق فلسطين، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية، وزارة الإرشاد القومي، لبنان، ١٩٦٩.

**المصادر باللغة العربية**

١-الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، لبنان،، ط٤، ١٩٩٧.

٢- صايغ، أنيس: الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، ترجمة لطفي العابد وموسى (م ت ف) مركز الأبحاث، ، بيروت، لبنان، ١٩٧٠.

٣-مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق والشام ٢، د.ت.

٤-هرتزل، تودور: الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الزهراء للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٤.

**الموسوعات باللغة العربية**

١-البازعي، سعد عبد الرحمن (رئيس التحرير):الموسوعة العربية العالمية ٢٨ م، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ١٩٩٩.

٢-البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٨ م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠.

٣-ليفيه، جورج وموسنييه، رولان: موسوعة تاريخ أوروبا العام، ٣ أجزاء، ترجمة أنطوان الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥.

٤-المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٨ أجزاء، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٩.

**المراجع العربية**


١-إبراهيم، عبد العزيز: محاضرات في تاريخ أوروبا بين النهضة والثورة الفرنسية، منشورات ELGA ، فاليتا، مالطا، ١٩٩٧.

٢-أبو عليّة، عبد الفتاح وياغي، إسماعيل: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٩٩٣.

٢-أنيس، محمد وحراز، السيد رجب: الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ١٩٦٧.

٣-البراوي، راشد: تطور الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٧٦.

٤-البطريق، عبد الحميد ونوار، عبد العزيز: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

٥-جريس، صبري: تاريخ الصهيونية الجزء الأول التسلل الصهيوني إلى فلسطين ١٨٦٢-١٩١٧، القدس، فلسطين، ١٩٨٧.

٦-الجمل، شوقي وعبد الرازق: تاريخ أوروبا الحديث، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر ٢٠٠.

٧-الجوهري، يسري: الجغرافية الحضارية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٥.

٨-حلاق، حسان: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩، دار الهدى، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.

٩-حمادة، حسين: آثار فلسطين بين حرب الهياكل العظمية التوراتية اليهودية ووثائق الاكتشافات الأثرية العلمية والإدانة الدولية، د. م.، د. ت.

١٠-حميدة، عبد الرحمن: جغرافية أوروبا الغربية، دار الفكر لعربي، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٥.

١١-الخولي، حسن صبري: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٣.

١٢-الراهب، هاني: الشخصية الصهيونية في الرواية الإنجليزية، مركز الأبحاث م ت ف، بيروت، لبنان، ١٩٧٤.
١٣-رزوق، أسعد: إسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، م ت ف، مركز الأبحاث، بيروت، لبنان، ١٩٦٨.
١٤-الزغبي، فتحي: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٤.
١٥-زكي، أحمد: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥.
١٦-سعيد، حبيب: سيرة بولس الرسول، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالتعاون مع دار الثقافة، القاهرة، مصر، د.ت.
١٧-سلطان، علي: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، د.ت.
١٨-السماك، محمد: الصهيونية المسيحية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٠.
١٩-السيد، محمود: تاريخ الحروب الصليبية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢.
٢٠-الشناوي، عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٣.
٢١-الشيخ، محمد مرسي: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٩٥.
٢٢-ــــــــــــــــ: عصر الحروب الصليبية في الشرق، الاسكندرية، مصر، ١٩٩٨.
٢٣-صايغ، أنيس (محرر): من الفكر الصهيوني، م ت ف مركز الأبحاث، بيروت، لبنان، ١٩٦٨.
٢٤-طويلة، عبد الوهاب: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، المدينة المنورة، المملكة السعودية، ط١، ١٩٩٠.
٢٥-عاشور، سعيد عبد الفتاح: أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط٨، ١٩٨١.

٢٦-عامر، عبد العزيز: بنو إسرائيل شعب الله الذي كان مختاراً، مدبولي الصغير، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢.

٢٧-عباس، راوية: جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنـــان، ١٩٩٦.

٢٨-عبد الرحيم، عبد الرحيم: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، دار الكتاب الجـــامعي، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٨٦.

٢٩-عبد الملك، بطرس: قاموس الكتاب المقـــدس، دار الثقافـــة، ط١١، القـــاهرة، مـــصر، ١٩٩٧.

٣٠-عبد المولى، محمود: تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبـــر العـــصور، الـــشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط١، ١٩٨٦.

٣١-عبد الوهاب، أحمد: المسيح في مصادر الاعتقاد المـــسيحية خلاصـــة أبحـــاث علمـــاء المسيحية في الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ١٩٧٨.

٣٢-عثمان، أحمد: تاريخ اليهود، ثلاثة أجزاء، مكتبة الشروق، القاهرة، مصر، ١٩٩٤.

٣٣-عمران، محمود سعيد: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

٣٤-قاسم، قاسم عبدة: ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة عدد ١٤٩، الكويـــت، ١٩٩٠.

٣٥-كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٦، ١٩٧٩.

٣٦-محادين، موفق: دورة الدين اليهودي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧.

٣٧-محمود، أمين: مشاريع الاستيطان اليهودي، سلسلة عالم المعرفـــة، الكويـــت، أكتـــوبر ١٩٨٥.

٣٨-مصطفى، أحمد فريد (وآخرون): تطور الفكر والوقائع الاقتـــصادية، مؤســـسة شـــباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٨٥.

٣٩-مظهر، سليمان: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ١٩٩٥.

٤٠-مقّار، شفيق: المسيحية والتوراة بحث في الجذور الدينية للصراع في الشرق الأوسط، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، إنجلترا، ط١، ١٩٩٢.

٤١-نافع، بشير: الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٩.

٤٢-نجيب، القس مكرم: قراءة عربية للمجئ الثاني للمسيح المزاعم الصهيونية لنهاية التاريخ، دار الثقافة، القاهرة، مصر، د.ت.

٤٣-نوار، عبد العزيز وجمال الدين، محمود: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٩٩٩م.

٤٤-نوار، عبد العزيز وجمال الدين، محمود: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠٠١.

٤٥-وافي، على عبد الواحد: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٦.

٤٦-وافي، علي عبد الواحد: اليهودية واليهود، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.

٤٧-يسري، عبد الرحمن: تطور الفكر الاقتصادي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ط٤، ١٩٩٧.

**المراجع المترجمة**

١-أبو لغد، إبراهيم (محرر): تهويد فلسطين، ترجمة أسعد رزوق، م ت ف مركز الأبحاث، بيروت، لبنان ١٩٧٢.

٢-بالكين، جون (وآخرين): مدخل إلى الكتاب المقدس، ترجمة نجيب إلياس، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٣.

٣-برينتون، كرين: تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة عدد٨٢، الكويت، ١٩٨٤.

٤-تسمرلنغ، ديتر: النهايات الهوس القيامي الألفي، ترجمة ميشيل كيلو، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٩.

٥-جارودي، روجيه: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار التراث، القاهرة، مصر، ١٩٨٦.

٦-جالبريث، جون كينيث: تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، عالم المعرفة عدد ١٦١، الكويت، أيلول ٢٠٠٠.

٧-داندسن، فرنسيس (وآخرون): تفسير الكتاب المقدس، ستة أجزاء، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

٨-ديزموند، ستيوارت: تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، ترجمة فوزي وفاء وإبراهيم منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١٩٨٩،٢.

٩-ديورانت، ول: قصة الحضارة، ٤٠ جزء، ترجمة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، مطابع الدجوي، القاهرة، مصر، ط٤، ١٩٧٣.

١٠- ــــــــــــ: قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، د.ت.

١١-رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيءة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،القاهرة، ١٩٧٧.

١٢-رسل، برتراند: حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة عدد ٦٢، الكويت، ١٩٨٣.

١٣-سباين، جورج: تطور الفكر السياسي، خمسة أجزاء، ترجمة راشد البراوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦١.

١٤-سبرول، ر. ك: حقائق وأساسيات الدين المسيحي، ترجمة نسيم سلامة، مكتبة المنار، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠.

١٥-سترومبرج، رونالد: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٩٤م.

١٦-سترونج، ماري: سفر الرؤيا والأزمنة الأخيرة، ترجمة، ماستير ميديا، إدارة مكتبات النيل المسيحية، القاهرة، مصر، ١٩٩٤.

١٧-شوفالييه، جان جاك: تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٨.

١٨- ــــــــــــ: تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٢.

١٩-فرته، مير: عودة اليهود في الفكر البروتستانتي الإنجليزي ١٧٩٠-١٨٤٠، ترجمة فاضل جتكر، قدمس للتوزيع والنشر، دمشق، سورية، ط١، ٢٠٠١م.

٢٠-فشر، هارولد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، مصر، د. ت.

٢١-كيتشنام، رالف: من مستعمرة إلى دولة مستقلة ثورة الفكر الأمريكي ١٧٥٠-١٨٢٠، ترجمة ثابت رزق الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د.ت.

٢٢-لوريمر، جون: تاريخ الكنيسة، خمسة أجزاء، ترجمة عزرا مرجان، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٠.

٢٣-مكدويل، جوش: برهان يتطلب قراراً (براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي)، ترجمة منيس عبد النور، دار الثقافة، القاهرة مصر ١٩٧٧.

٢٤-هامرتون، السير جون: تاريخ العالم، ٥م، ترجمة إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر،ط٢، د. ت.

٢٥-هلستر، س.: أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٨.

**الرسائل الجامعية**

١-سليم، محمد عبد الرؤوف: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٩١٤-١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ. د. أحمد عزت عبد الكريم، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١.

٢-عبد القوي، زينب عبد المجيد: دور إنجلترا في الحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٣٩١، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الزقازيق قسم التاريخ، إشراف د. قاسم عبدة قاسم، ١٩٩٣.

**المقالات باللغة العربية**

١-حصو، توفيق يوسف: الصهيونية الأمريكية وفلسطين حتى الحــرب العالميـــة الأولـــى، المستقبل العربي، عدد ١٠٤، أكتوبر ١٩٨٩.

٢-الخالدي، محمد علي: يوتوبيا أم تبشير صهيوني قراءة في رواية هرتسل ألتنيولاند، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٤٥-٤٦ شتاء وربيع ٢٠٠١.

٣-العيسى، محمد عبد الله: الفكرة الصهيونية عند هرتزل بين النظريـــة والتطبيـــق، مجلـــة الدراسات والعلوم الإنسانية، م ٢٠أ، عدد ٢، ١٩٩٣.

٤-محمود، أمين: الصهيونية فكرة ودولة في كتابات أحاد هعام، مؤتة للبحوث والدراســات، جامعة مؤتة، عدد ١، م ٢، حزيران ١٩٨٧.

**الوثائق باللغة الإنجليزية**

1- Adams, George Burton (Editor): Select Documents of English Constitutional History, Macmillan, New York, USA, 1901.

2- Gardiner, Samuel (editor): The Constitutional Documents of The Puritan Revolution 1625-1660, Clarendon Press, Oxford, England, 1951.

3- Joseph, Jacobs: The Jews of Angiven England (Documents and Rolls)

4 - Koblar, Franz: A Treasury of Jewish Letters (Letters from The Famous an The Humble, 3 Vols., Jewish Publication Society, Philadelphia, 1953.

5 - Tanner, J. (Editor): Constitutional Documents of The Reign of James I, Cambridge University Press, London, England, 1952.

6- Tawney, R. H.: Tudor Economic Documents, Longmans, London, England, 1924.

7- Weisgal, Meyer (Editor): The Letters and Papers of Chaim Weizman August 1914- November 1917, Israel University Press, Jerusalem, 1975.

8- Wiener, Joel (Editor): Great Britain Foreign Policy and The Span of Empire 1689-1971 A Documentary History, Chelsea House Publishers, New York, USA, 1972.

9- The Statutes of The Realm, 11 Vols., Record Commission, London, England, 1828.

10- Documents Illustrative of English Church History, Macmillan, Washington, 1896.

**المصادر باللغة الإنجليزية**

1- Bigham, Clive: The Prime Ministers of Britain 1721-1921, E.P. Dutton, New York, USA, 1922.
2- Calvin, Jean: Theological Treatises, Trans. J. Reid, Westminster Press, 1954.
3- Cecil, Lady Gwendolen: Life of Robert Marquis of Salisbury, Hodder and Stoughton Limited, London, England, W. H.
4- Dillenberger, John (Editor): Martin Luther Selections from His Writings, Doubleday, New York, USA, 1961.
5- George, Lloyd: The Truth About The Peace Treaties, V. Gollancz, London, UK, 1938.
6- George, Lloyde: War Memories, 2Vols., Odham Press, London, UK, 1938.
7- Hayward, Sir John: Annals of The First Four Years of The Reign of Queen Elizabeth, Ams Press, New York, USA, 1968.
8- Jacobs, Joseph: The Jews of Angiven England Documents and Records, London, 1893.
9- Locke, John: Two Treatises of Civil Government, G. Routledge, London, UK, 1884.
10- ---------------: A letter Concerning Toleration, A Liberal Arts Press Book, Chicago, USA, 1955.
11- Lord Lindsy: Letters on Egypt Edom and the Holy Land, 2 Vols., Henry Colbrun Publisher, London, England, 1838.
12- Lowenthal, Marvin (Editor): The Diaries of Theodor Herzl, The Dialy Press, USA, 1962.
13- Luther, Martin: On The Jews and Their Lies, Trans. By Martin Bertram, /www.fordham.edu/halsall.
14- Roger of Hovden: The History of England and of Other Countries of Europe From AD 732 to AD 1201, 2 Vols., London, England, 1853.
15- Sokolow, Nahum: History of Zionism 1600-1918, 2 Vols., Ktav Publishing House INC., New York, USA, 1969.
16- Weizmann, Chaim: Trial and Error The Autobiography of Chaim Weizmann, Shocken Books Inc., New York, USA, 1960.

17- William of Newburgh: History of England, www.fordham.edu/halsall/basis

**الموسوعات باللغة الإنجليزية**

1-Encyclopedia Amrecana, 30 Vols., Grolier incorporated, New York, USA., 1981.

2-Encyclopedia Britannica, 33 Vols., Robert P. Gwinn, Printed in USA.

3- Encyclopedia Judaica, Keter Publishing House, Jerusalem, 1972.

4- The Jewish Encyclopedia, 12 Vols., New York and London Funk and Wagnalls Company 1901.

**المراجع باللغة الإنجليزية**

1- Abrahams, Israel: Jewish Life in the Middle Ages, The Jewish Publication Society of America, USA, 1969.

2- Allen, J.: English Political Thought 1603-1660, Methuen, London, England, 1938.

3- Amery, Julian: The Life of Joseph Chamberlain, 4 Voks., Macmillan, London, England, 1951.

4- Anderson, G.: Tradition and interpretation, Clarendon Press, Oxford, England, 1979.

5- Anderson, M.S: The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, Macmillan, London, England, 1966.

6- Arnold, Mathew: St. Paul & Protestanism With an Essay on Puritanism & The Church of England, Macmillan, New York, USA, 1883.

7- Ashton, T. S.: An Economic History of England in The $18^{th}$ Century, Meuthen, London, England, 1955.

8- Artz, Frederick: The Mind of The Middle Ages 200-1500 An Historical Survey, Clarendon Press, Chicago, USA, 1954.

9- Beer, George Louis: British Colonial Policy 1754-1765, Peter Smith, New York, USA, 1958.

10- Bein, Alex: Herzl, Translated by Maurice Samuel, The Jewish Publication Society of America, New York, USA. 1982.

11- Best, Geoffery: Mid Victorian Britain 1851-1875, Schoken Books, New York, USA, W.D.

12- Cadman, Parkes: The Three Religious Leaders of Oxford and Their Movements (John Wycliffe, John Wesley, John Henry Newman), Macmillan Company, New York, USA, 1916.
13- Cain, P. J.: British Imperialism (Innovation and Expansion) 1688-1914, Pearson Publication UK, London, UK, 1993.
14- Christie, Ian: Wars and Revolutions Britain 1760-1815, Edward Arnold Ltd., London, England, 1982.
15- Cohen, Stuart: English Zionists and British Jews The Communal Politics of Anglo Jewry 1895-1920, Princeton University Press, New Jersy, USA,
16- Court, W.: A Concise Economic History of Britain from 1750 to Recent Times, Cambridge Press, London, England, 1962.
17- Courvoisier, Jaques: Zwingli A reformed Theologian, John Knox Press, Richmond, 1963.
18- Cragg, G.: From Puritanism To The Age of Reason A Study of Changes in Religious Thought Within The Church of England 1660-1700, Cambridge, England, 1950.
19- Deblij, H. and Muller, Peter: Geography Realms, Regions and Concepts, Seventh Edition, 1999.
20- Dickens, A. G.: The Age of Humanism and Reformation Europe in The Fourteenth and Sixteenth Centuries, Prentice Hall International Inc., London, England, 1977.
21- Elton, G. R.: Reformation Europe, William Collins Sons & Co. LTD, Glasgow, London, Great Britain, 1963.
22------------------: The Tudor Revolution in Government Administrative Changes in The Reign of Henry VIII, Cambridge, 1962.
23- Endelman, Todd: The Jews of Britain 1656-2000, University of Calefornia Press, London, England, 2002.
24- Eyre, A.: An Outline of History of England, Longman Back ground Books, 1978.
25- Gibon, Edward: The Decline and Fall of The Roman Empire, 6 Vols., A millennium project, London, UK., 1994.
26- Glick, Leonard: Abraham Heirs (Jews and Christian in Medieval Europe), Syracuse University Press, New York, USA, 1999.
27- Graetz, Heinrich: History of the Jews, 5 Vols., Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1949.

28- Grimes, Alan: Modern Political Ideologies, Oxford University Press, New York, USA, 1959.
29- Harrison, David: Tudor England, 2 Vols., Cassell Place of Publication, London, England, 1953.
30- Hazen, Charles Downer: The French Revolution and Napoleon, H. Holt, New York, 1917.
31- Hobsbawm, E. J.: The Age of Revolution Europe 1789-1848, Weidenfeld and Nicolson, London, England, 1962.
32- Israel, Jonathan: European Jewry in The Age of Mercantalism 1550-1750, The Littman Library, London, England, 1989.
33- Jones, R.: Economic and Social History of England 1770-1970, Longman Group Limited, London, 1971.
34- Judd, Denis: The British Imperial Experience from 1765 to The Present, Basic Books, New York, USA, 1997.
35- Khalidy, Walid (Editor): From Haven To Conquest, The Institute for Palestinian Studies, Beirut, Lebanon, 1971.
36- Koebner, Richard: Empire, University Press of Cambridge, Cambridge, England, 1961.
37- Lipman, V.: A History of The Jews in Britain, Holmes & Meier, New York. 1990.
38- Ludovici, Anthony: The Jews in England, Boswell Publishing Company, London, England, 1938.
39- Mackie, J.: The Earlier Tudors, 1485-1558, Clarendon Press, Oxford, England, 1952.
40- Mahood, M. (Edited By): The Merchant of Venice, Cambridge University Press, Cambridge, Great Britain, 1987.
41- Mathew, David: The Age of Charles I, Eyre & Spottiswoode, London, England, 1951.
42- Mcgiffert, Arthur: The Protestant Thought Before Kant, Scribners Sons, New York, USA, 1931.
43- Mollat, G.: The Popes at Avignon, 1305-1378, T. Nelson and Sons, New York, USA, 1963.
44- Monypenny, William: The Life of Benjamin Disraeli, 6 Vols., John Murray, London, England, 1910.
45- Pollard, A.: The Evolution of Parliament, Longmans Green and Co., London, UK, 1926.

46- Polins, Harold: Economic History of the Jews in England, The Littman Library of Jewish Civilization, London, England, 1982.
47- Pragai, Michael: Faith and Fulfilment Christians and the Return to the promised land, Vallentine Mitchell and Company Limited, London, Great Britain, 1985.
48- Prall, Stuart and Willson, David: Ahistory of England 1603 to the Present, Fourth Edition, The Dryden Press USA, 1991.
49- Ramsay, James: The Foundation of England, S. Sonnenschein Ltd., London, England, 1898.
50- Ridley, Jasper: Classic Biography Elizabith I, Pengwin Books Ltd, London, England, 1987.
51- Robinson, James Harvey: Readings in European History, 2Vols., Boston, Ginn and Co., 1904.
52- Rose, Norman: Chaim Weizmann A Biography, Viking Penguin Inc. USA, 1986.
53- Russell, Conrad: The Causes of English Civil War, Clarendon Press, Oxford, 1990.
54- Sayles, G.: The Medieval Foundation of England, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1950.
55- Scarisbrick, J.: Henry VIII, Pelican Biographies, London, England, 1968.
56- Sharif, Regina: Non Jewish Zionism, Zed Press, London, England, 1983.
57- Sidebotham, Herbert: England and Palestine, Constable and Company LTD., London, England, 1918.
58- Smith, John and Creed, John: Relegious Thought in The 18$^{th}$ Century Illustrated from Writers of The Period, Cambridge, England, 1934.
59- Sypherd, Wibur: The Literature of English Bible, Oxford University press, 1938
60- Trevelyan, George : A Shortned History of England, Hunt Barnard, London, Great Britain, 1960.
61- Tuchman, Barbara: Bible and Sword England and Palestine from the Bronze Age to Balfour, University Press New York, New York, USA, 1956.

62- Vital, David: The Origins of Zionism, Clarendon Press, Oxford, Great Britain, 1975.
63- Vital, David: Zionism The Formative Years Clarendon Press, Oxford, Great Britain, 1988.
64- Webb, R.: Modern England From The 18th Century to the Present, Harper and Row Publishers, USA, 1968.
65- Webster, Sir Charles: The Foreign Policy of Pakmerston 1830-1841, 2 Vols., G. Bell & Sons LTD, London, England, 1951.

**المقالات باللغة الإنجليزية**

1- Brand, Paul: Jews and the Law in England 1275-1290, English Historical Review, November 2000.
2- Coward, Barry: Why Charles I was Excuted in 1649, History, 1998.
3- Frankforter, Daniel: Elizabeth Bowes and John Knox  A Woman and Reformation Theology, Church History, Vol. 56, Issue 3, 1987.
4- Jones, Norman: Elizabeth Edification and the Latin Prayer book of 1650, Church History Journal, Vol. 53, 1984.
5- Reinharz, Jehuda: Weizmann and the British General Elections of 1906, Studies in Zionism, Vol. 5, No. 2, 1984.
6- Roots, Ivan: Union or Devolution in Cromwell s Britain, History Review, Issue 29, 1997.
7- Yost, John: The Reformation Defense of Clerical Marriage in The Reigns of Henry VIII and Edward VI, Church History, Vol. 50, 1981.

**المصادر باللغة العبرية**

1- הס، מושה: כתבים כללים، הספריה הציונית، ירושלים، תשט"ז.
2 -הס، מושה: רומי וירושלים، תרגום ישורון קשת، הספריה הציוניתת، ירושלים، תשנ"ג.
3-העם، אחד: אגרות אחד העם، הוצאת דבירת תל אביבת، ישראל، תש"ד.
217 -מדזיני، מירון: קובץ מסמכים בתולדות המדינה،
4-נורדאו، מאכס: כתבים ציונים، 4 חלקים، תרגום יבין גולדברג، הספריה הציונית، ירושלים، ישראל، 1960.
5-סוקולוב، נחום: הצופה לבית ישראל، הספריה הציוניתת ירושלימת، תשכ"א.

**المراجع باللغة العبرية**

1-אילון، עמוס: הרצל، ספרית אפקים עם עובד، תל אביב، 1977.

2-אילת، אליהו: שיבת ציון וערב،
3-בן אריה، יהושע (עורך): מחקרים בגיוגרפיה ההיסטורית – ישובית של ארץ ישראל، הוצשת יד יצחק בן צבי، ירושליםK ישראל، תשמ"ח.
4- גרינבוים، יצחק: התנועה הציונית، 4 חלקים، ההסתדרות הציונית، ירושלים، ישראל، מהדורה שניה، תש"ד.
5-קוטיק، מאיר: פרשת דריפוס، הוצאת מלוא בע"ם، תל אביב، ישראל، 1982.

**المقالات باللغة العبرية**

1-אליאב، מרדכי: מקומו של מושה מונטיפיורי בתולדות ישראל، כיוונים כתב עת ליהדות ולציונות، חוברת 29، נובמבר 1985.
2-גולדשטין، יוסף: פרשת אוגנדה היבטים נוספים، ציון רבעון לחקר תולדות ישראל، ירושלים، תשמ"ג.
3-הלוי، מושה: דרכו של נורדאו، הציונות מאסף לתולדות התנועה הציונית והישוב היהודי בארץ ישראלת، חלק ט"ז.
4-מנשה، סופיה: לשאלת גירושי היהודים מאנגליה ומצרפת، ציון רבעון לחקר תולדות ישראל، ירושלים، תשמ"ו.
5-סמט، משה: משה מונטיפיורי וארץ ישראל מיתוס ומציאות، הציונות מאסף לתולדות התנועה הציונית והישוב היהודי בארץ ישראל، אוניבירסיטת תל אביב، הוצאת הקיבוץ המאוחד، 1986.
6-ספיר، שאול: שלןשת מסעותיו הראשונים של משה מונטיפיורי לארץ ישראל، מחקרים בגיאוגרפיה היסטורית ישובית של ארץ ישראל، יהושע בן ארייה، הוצאת יד יצחק בן צבי، ירושלים، תשמ"ח، 1987
7-ריינהרץ، יהודה: חיים וייצמן עיצובו של מנהיג ציוני לפני מלחמת העולם הראשונה، יןדות זמננות האוניבירסיטה העברית، ירושלים، תשמ"ה.

# Abstract

This study is concerned with the role of Britain in promoting the Zionist project in the period 1656-1917. The introductory chapter deals with the situation of the Jews in the English society and its Normandy kings. It shows that the Jews entered Britain in 1066 with William the Conqueror when he invaded the country and set up his kingdom. They worked in dirty jobs for the king and feudalists, but they were hated by the public and were dismissed later from England 1290 by king Edward I. They were badly treated then and their property confiscated, and were also accused of different libels, such as blood libel. King Edward did that after the crusades when the economic role of the Jews became weak.

It is being shown that there where no Jews in England up to mid 17th century. New factors then influenced the discussion of the question of Jewish entry into the country by politicians, economists and religious authorities. England at the time was ruled by Puritans under the leadership of Cromwell. The Puritans, as Protestant, believed in the Old Testament which predicts the return of the Jews to Palestine. This was in addition to the existence of the Marano Jews who had great international commercial experience. These two factors were accompanied by the increase of commercial imperialist competition among European countries, especially between England and Holland which accepted a good number of these Marano after being expelled from Spain in 1492.

There were negotiations between the Puritans and the Marano Jews who lived in Holland. These negotiations ended by the agreement if submitting the question of Jewish return to England to the British Parliament. The latter, however, did not approve of that. Cromwell, meanwhile, announced his support of their return. That question, however, remained unsetlled.

The study sheds light also on the relationship between the Protestant reformers in Europe, including England and the Zionists. It affirms that Christians reading of the Old Testament and its literal interpretation by them helped in the spreading of the Hebrew culture and the spirit of tolerance among protestants toward Jews. It is being assured that the increase of the number of those who supported Zionism in England is connected with religious reformation as well as with the economic development from commercial capitalism era up to the industrial capitalism era. It was also connected with new political ideas of this era: respect of the rights and freedom of man and religious tolerance advocated by John Locke. This was in addition to the thought that aroused conflict because of the spread of the concept of development and survival of the fittest – Social Darwenism. This has supported the ideas of the dominance of the white man. Aspects which helped widen the circle of Zionism supporters were shown to be: religious groups in the 17th

century; educated groups in the 18$^{th}$ century; and were joined by some military people, politicians, diplomats and travelers.

In addition the 19$^{th}$ century witnessed an important development when activities to send the Jews back to Palestine change from hazardous individual work into an organized work undertaken by established institutions to achieve that goal.

William Young, the British consul in Jerusalem, was to be the first among diplomats who considered "Jews" as one nation. This was in the 1840s. Young, meanwhile, asked the Ottoman Sultans permission to put new Jewish immigrants as well as Ottoman Empire Jews all under British protection.

It is being assured that the concept of "Jewish People" and the Zionist project were chrystalized among Protestants by the help of Lord Shaftesbury, Oliphant and Hechlar before the emergence of Jewish Zionism which called for the establishment of a Jewish state.

It is shown that the Balfour Declaration did not come about only as aresult of the effort of international Zionist Organization, but also as a part of the British strategy which combined both religious Protestant concepts inspired by the Old Testament and British imperialist interests in the Islamic Arab world.

The study proved that embodiment of the Zionist project became possible through the efforts and interaction between both Christian and Jewish Zionists from the beginning of 20$^{th}$ century until proclamation of the Balfour Declaration which was considered the cornerstone of Zionist project.